بساتينُ ورياضُ عُلاةِ الهِمَم

✍ اعلم يا أخي أن هَمَّ علاة الهمم في نيل الدرجات واكتساب الحسنات، والسباق والتنافس في الأعمال الصالحات.

□ قال الشيخ الخضِرُ حسينٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِمَّا جُبِلَ عليه الحرُّ الكريم، أنْ لا يقْنع مِنْ شرف الدُّنْيا والآخرةِ بشيءٍ ممَّا انبسط له، أملًا فيما هو أسْنَى منه درجةً وأرْفَعُ منزلةً»[1]. وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

لَا يَكْتَفِـــي مِـــنْ نَيْـــلِ مَكْرُمَـــةٍ ... حَتَّى يَرُومَ[2] الَّتِي مِنْ دُونِهَا الْعَطَبُ[3]

يَـسْعَى بِـهِ أَمَـلٌ مِـنْ دُونِـهِ أَجَـلٌ ... إِنْ كَفَّـهُ رَهَـبٌ يَـسْتَدْعِهِ رَغَـبُ

لِـذَاكَ مَـا سَـالَ مُوسَـى رَبَّـهُ أَرِنِي ... أَنْظُـرْ إِلَيْـكَ وَفِي تَـسْآلِهِ عَجَـبُ

يَبْغِـي التَّزَيُّـدَ فِـيمَا نَـالَ مِـنْ كَـرَمٍ ... وَهْوَ النَّجِيُّ لَدَيْهِ الْوَحْيُ وَالْكُتُبُ[4]

□ إنَّ معالي الأمُور وَعْرَةُ المسالكِ محفُوفةٌ بالمَكارهِ.

الفرق بين الطُّموح وعلو الهمة:

إذا كان كلٌّ من الطُّموح وعلوِّ الهمَّةِ يشتركان في الهدف والغايةِ، أي تطلُّب المعالي، فإنَّهما قَدْ يختلِفَان في الوسيلة والباعثِ، إذا الباعِثُ في علُوِّ الهمَّةِ قدْ يكون الأنَفَةَ منْ حُلولِ الضَّعَةِ أو الاستنكارَ لمهَانةِ النَّقْصِ، أمَّا الباعِثُ على الطُّمُوحِ فهو نزوعُ النفس دائمًا نحو الأعلى والأرْقَى، ومنْ

---

(١) «رسائل الإصلاح» للشيخ الخضر حسين (ص٥٤).

(٢) يروم: يطلب.

(٣) العَطَب: الهلاك.

(٤) «تهذيب الأخلاق» للجاحظ (ص٢٨).

حيث الوسيلةُ نجدُ أنَّ الطُّموحَ قدْ يجْنَحُ بصاحبه إلى الغُلُوِّ والإسرافِ على النفس أو الغير، أمَّا علُوُّ الهمَّةِ فلا يَسْلُكُ صاحبُها إلَّا الدُّروبَ الشَّريفةَ التي تتَّفِقُ مع مبادئ الشَّرْع الحَنيفِ (١).

□ قِيلَ للعَتَّابي: «فلانٌ بعيدُ الهِمَّة قال: إذنْ لا يكونُ لهُ غايةٌ دون الجنَّة» (٢).

□ عن دُكيْن الراجز قال: «أتيتُ عُمَرَ بنَ عبد العزيزِ بعد ما استُخْلِفَ أستنْجِزُ منه وعدًا كان كان وعَدَنيهِ وهو والي المدينة فقال لي: يا دُكَيْنُ، إنَّ لي نَفْسًا توَّاقةً (٣)، لم تزل تتوق إلى الإمارةِ، فلمَّا نلتُها تاقتْ إلى الخلافةِ. فلمَّا نِلْتُها تاقَتْ إلى الجنَّةِ» (٤).

□ نظر رجلٌ إلى أبي دُلَفٍ في مجلس المأمون فقال: «إن هِمَّتَه ترمي به وراء سِنِّه.

□ قال الشاعر:

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الأوْسِيَّ يَسْمُو ... إلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ

إذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ (٥)

□ وقال الشَّاعرُ:

سَافِرْ إذَا حَاوَلْتَ قَدْرَا ... سَارَ الْهِلالُ فَصَارَ بَدْرَا

---

(١) «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٣٣٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٣٢).

(٣) توّاقة: تشتاق إلى الشيء وتنزع إليه.

(٤) «عيون الأخبار» (١/ ٣٣٤).

(٥) «المستطرف» (١/ ٢٠٦).

وَالْمَاءُ يَكْسِبُ مَا جَرَى طِيبًا ويَخْبُثُ مَا اسْتَقَرَّا

وبنقلها الدُّرَرُ النَّفيسةُ بُدِّلتْ بالبحر نَحْرَا»[1].

الفرق بين العزم والإرادة والهَمِّ:

□ قال الكفويُّ: «دَواعي الإنسانِ إلى الفعل مِنْ خيرٍ أو شَرٍّ على مراتبَ، منها: الإرادةُ، ومنها: الهَمُّ «بالشَّيءِ»، ومنها: العزْمُ. وذكرَ الفرق بين هذه الثلاثةِ فقال: «الهمُّ اجتماعُ النَّفْسِ على الأمرِ، والإزْماعُ عليه، والعزْمُ هو القصد على إمضائِهِ، فالهمُّ فوقَ الإرادةِ ودونَ العزْمِ، وهو - أي: الهمُّ- أوَّلُ العزِيمَةِ»[2].

□ قال الرَّاغبِ: «عَقْدُ القلب على إمضاء الأمْرِ».

□ وقال الكَفَوِيُّ: «هو القصدُ على إمضاءِ الأمر»[3].

• وعن شدَّادِ بن أوْسٍ رضي الله عنه قال: «إنَّ رسول الله ﷺ كان يقول في صلاتهِ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ في الأَمْرِ، والْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وأسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وحسْنَ عبادَتِكَ، وأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، ولسَانًا صَادِقًا، وأسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما تَعْلَمُ، وأسْتغْفِرُكَ لِمَا تَعْلمُ**»[4].

---

(١) «الفلاكة والمفلكون» للإمام الدلجي (ص١٤١).

(٢) «الكُلِّيات» للكفوي (ص٩٦١).

(٣) «مفردات القرآن» للأصفهاني (ص٥٦٥)، و«الكليات» للكفوي (ص٦٩١).

(٤) صحيح: رواه النسائي (٣/ ٥٤) واللفظ له، والترمذي (٣٤٠٧)، وأحمد (٤/ ١٢٥)، وقال محقق «جامع الأصول» (٤/ ٢٥٩): ورواه الحاكم وصحّحه ووافقه الذهبي، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٢٤١٦).

• عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «ثَلاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ، وثَلاثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللهُ، فَأَمَّا الذِينَ يُحِبُّهُمُ اللهُ: فَرَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ باللهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ فمَنَعُوهُ، فتَخَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللهُ، والَّذِي أَعْطَاهُ، وقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حتَّى إذا كانَ النَّوْمُ أحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ به نزَلُوا فوضَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فقامَ أَحَدُهُم يتمَلَّقُنِي ويتْلُو آيَاتِي. ورَجُلٌ كان في سَرِيَّةٍ فلَقِيَ العدوَّ فهُزِمُوا، وأقبَلَ بِصَدْرِهِ حتى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ له. والثَّلاثَةُ الذين يُبْغِضُهُمُ اللهُ: الشَّيْخُ الزَّانِي، والفقيرُ المُخْتَالُ، والغَنِيُّ الظَّلومُ»[١].

□ سمع عامِرُ بن عبد الله بنِ الزُّبَيْرِ (المتوفى سنة ١٢٣هـ) -رحمهُ الله تعالى- المؤَذِّنَ وهو يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فقال: خُذُوا بِيَدِي، فقيلَ: إنَّكَ عَلِيلٌ، قال: أَسْمَعُ دَاعِيَ الله فلا أُجِيبُهُ، فأَخُذُوا بِيَدِهِ، فدخَلَ معَ الإمَامِ في المغْرِبِ، فَرَكَعَ رَكْعَةً ثمَّ مات»[٢].

□ قال أبو حازم: «عند تصحيح الضمائر تُغفَر الكبائر، وإذا عَزَم العبد على تَرْكِ الآثام أَمَّهُ[٣] الفتوح»[٤].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٥٦٨) واللفظ له، وقال: هذا حديث صحيح، والنسائي (٥/ ٨٤)، وأحمد (٥/ ١٥٣)، وهو في «المشكاة» حديث (١٩٢٢)، وقال محقق «جامع الأصول» (٩/ ٥٦٤): «وهو حديث حسن».

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٢٠).

(٣) أَمَّهُ الفتوح: أتاه وقصده.

(٤) «حلية الأولياء» (٢/ ٢٣٠).

أزاهير يحرص على قَطفها عُلاة الهمم:

١- الأسباب والأعمال التي يُضاعَف بها الثواب [١]:

وهذه تدل على خير عظيم بسبب عمل يسير، وتدفع إلى مزيد من البر والإحسان، وترفَعُ الآخذ بها درجات؛ فهي – بحق- ميدان فسيح للمرابحة والتجارة التي لا تبور.

ولا ريب أن هذا باب من أبواب العلم لطيف شريف يفتح آفاقًا من الخير، وينهض بالعبد إلى أعلى مقامات العبادة والسعادة، ويرقى بالأمة إلى أقصى مراتب السيادة والمجادة، ويغلق أبوابًا من الشر لا تحصى، ويدعو إلى تنزيل الأعمال منازلها، وأن يُجعل لكل مقام ما يليق به.

وكم حصل من الجهل أو التفريط بهذا الأصل – وهو معرفة مراتب الأعمال، وأسباب مضاعفتها- من ضياع للفرص، وحرمان الأمة من خير عظيم، وطاقات كثيرة.

هذه مسألة عظيمة تقود إلى الآخرة في زمنٍ شاع فيه التكالب على الدنيا.

□ ومعلوم أن الأصل في الحسنة مضاعفتها إلى عشر. وقد تزيد المضاعفة على عشر إلى أضعاف كثيرة إذا حصل موجبها.

□ وهذه الأسباب والأصول العامة للمضاعفة، إمَّا متعلِّقة بالعامل، أو بالعمل نفسه، أو بزمانه، أو بمكانه، أو بآثاره.

---

(١) انظر رسالة «الأسباب والأعمال التي يُضاعف بها الثواب» وهي ضمن مجلد الفتاوى (ص٣٥- ٣٩) وهو ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

□ وقد أوصلها الشيخ السعدي إلى سبعة عشر سببًا، وإليكها على سبيل الإجمال:

١- تحقيق الإخلاص والمتابعة.

٢- صحة العقيدة، وقوة الإيمانِ والإرادةِ والرغبةِ في الخير.

٣- عموم نفع العمل للإسلام، وعظم وقعه وأثره، ويدخل تحت ذلك أمور كثيرة: الجهاد البدني والمالي، والجهاد في تعلم العلم وتعليمه، والمشاريع الخيرية العامة.

٤- الشراكة في الخير المتعدى، والاجتماع على العمل.

٥- التسبب في الخير، ودلالة الناس عليه.

٦- كبر النفع للعمل، كالإنجاء من المهالك، وإزالة الأضرار، وكشف الكرب.

٧- حسن الإسلام، وحسن الطريقة، وترك الذنوب.

٨- رفعة العامل، ومقامه العالي في الإسلام.

٩- الصدقة من الكسب الطيب.

١٠- شرف الزمان.

١١- شرف المكان.

١٢- العبادة في الأوقات التي حث الشارع على قصدها.

١٣- القيام بالأعمال الصالحة عند المعارضات: النفسية، والخارجية.

١٤- الاجتهاد في تحقيق مقام الإحسان، والمراقبة، وحضور القلب في العمل.

١٥- الآثار الحسنة للعمل الصالح في نفع العبد، وزيادة إيمانه، ورقة قلبه، وما جرى مجرى ذلك.

١٦- إسرار العمل إذا اقتضاه المقام.

١٧- إعلان العمل إذا كان هو الأنسب، كما إذا حصل بذلك التأسي[1].

١٨- الصبر بكافة أنواعه؛ لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر].

نص رسالة الشيخ عبد الرحمن السعدي:

المسألة التاسعة: في الأسباب والأعمال التي يضاعف بها الثواب

ما هي الأسبابُ والأعمالُ التي يُضاعفُ ثوابُها؟

□ الجواب وبالله التوفيق: أما مضاعفةُ العملِ بالحسنةِ إلى عَشْرِ أمثالها - فهذا لا بدَّ منه في كلِّ عملٍ صالحٍ، كما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وأما المضاعفةُ بزيادةٍ عن ذلك - وهي مراد السائل - فلها أسبابٌ: إما متعلقةٌ بالعاملِ، أو بالعمل نفسِه، أو بزمانه، أو بمكانه، وآثاره.

□ فمن أهمِّ أسباب المضاعفةِ إذا حقَّق العبدُ في عَمَلِهِ الإخلاصَ للمعبودِ والمتابعةَ للرسول؛ فالعمل إذا كان من الأعمالِ المشروعةِ، وقَصَدَ العبدُ به رِضَى ربِّه وثوابَهُ، وحقق هذا القصدَ بأن يجعلَه هو الداعيَ له إلى

---

(١) «الأسباب والأعمال التي يُضاعف بها الثواب» للشيخ السعدي شرح محمد بن إبراهيم الحمد (ص١٦ - ١٧) - طبع دار ابن خزيمة.

العمل، وهو الغايةَ لعمله، بأن يكون عَمَلُه صادرًا عن إيمان بالله ورسوله، وأن يكون الداعي له لأجل أمر الشارع، وأن يكون القصدُ منه وجهَ الله ورضاه، كما ورد في عدة آياتٍ وأحاديثَ - هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة].

أي المتقين الله في عملهم بتحقيق الإخلاص والمتابعة.

• وكما في قوله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

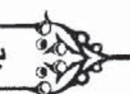
وغيرها من النصوص.

والقليلُ من العمل مع الإخلاص الكامل يَرجَحُ بالكثير الذي لم يصل إلى مرتبته في قوة الإخلاص.

. ولهذا كانت الأعمالُ الظاهرةُ تتفاضل عند الله بتفاضل ما يقوم بالقلوب من الإيمان والإخلاص.

ويدخل في الأعمالِ الصالحةِ التي تتفاضل بتفاضل الإخلاص - تركُ ما تشتهيه النفوس من الشهوات المحرمة إذا تركها خالصًا من قلبه، ولم يكن لتركها من الدواعي غيرُ الإخلاصِ، وقصةُ أصحابِ الغارِ شاهدةٌ بذلك.

□ ومن أسباب المضاعفة - وهو أصل وأساس لما تقدم - صحةُ العقيدة، وقوةُ الإيمان بالله وصفاته، وقوةُ إرادة العبد، ورغبتُهُ في الخير؛ فإن أهلَ السنة والجماعة المحضة، وأهلَ العلم الكامل المفصَّل بأسماء الله وصفاته، وقوة لقاء الله - تُضاعفُ أعمالُهم مضاعفةً كبيرةً لا يحصل مثلُها، ولا قريبٌ منها لمن لم يشاركوهم في هذا الإيمان والعقيدة.



ولهذا كان السلف يقولون: أهل السنة إن قَعَدتْ بهم أعمالُهم قامت بهم عقائدُهم، وأهلُ البدع إن كثرت أعمالُهم قَعَدتْ بهم عقائدهم.

ووجه الاعتبار أن أهل السنة مهتدون، وأهل البدع ضالون، ومعلومٌ الفرقُ بين مَنْ يمشي على الصراط المستقيم، وبين من هو منحرف عنه إلى طرق الجحيم، وغايتُه أن يكون ضالًا متأولًا.

□ ومن أسباب مضاعفة العمل أن يكون من الأعمال التي نَفْعُها للإسلام والمسلمين له وقْعٌ وأثرٌ وغَنَاءٌ، ونفعٌ كبيرٌ، وذلك كالجهاد في سبيل الله: الجهاد البدنيِّ، والماليِّ، والقوليِّ، ومجادلةِ المنحرفين كما ذكر اللهُ نفقةَ المجاهدين ومضاعفتَها بسبعمئة ضعف.

ومن أعظم الجهاد سلوكُ طرقِ التعلم والتعليم؛ فإن الاشتغال بذلك لمن صحت نيتُه لا يوازنه عملٌ من الأعمال، لما فيه من إحياء العلم والدين، وإرشاد الجاهلين، والدعوة إلى الخير، والنهي عن الشر، والخير الكثير الذي لا يستغني العباد عنه؛ «**فمن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**».

ومن ذلك المشاريع الخيرية التي فيها إعانةٌ للمسلمين على أمور دينهم ودنياهم التي يستمر نفعُها، ويتسلسل إحسانُها، كما ورد في «الصحيح»: «**إذا مات العبد انقطع عمله إلَّا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به من بعده، أو ولدٍ صالح يدعو له**».

□ ومن الأعمالِ المضاعفةِ العملُ الذي إذا قام به العبدُ شاركه به غيرُه؛ فهذا – أيضًا– يضاعَفُ بحسب مَنْ شاركه، ومن كان هو سببَ قيام إخوانه المسلمين بذلك العمل؛ فهذا – لا ريب– يزيد أضعافًا مضاعفةً

على عمل إذا عمله لم يشاركه فيه أحد، بل هو من الأعمال القاصرة على عاملها.

ولهذا فضَّل العلماء الأعمال المتعدية للغير على الأعمال القاصرة.

□ومن الأعمال المضاعفة إذا كان العمل له وقع عظيم، ونفع كبير، كما إذا كان في إنجاء من مهلكة، وإزالة ضرر المتضررين، وكشف الكرب عن المكروبين؛ فكم من عمل من هذا النوع يكون أكبر سبب لنجاة العبد من العقاب، وفوزه بجزيل الثواب، حتى البهائمُ إذا أُزيل ما يضرُّها كان الأجر عظيمًا؛ وقصة المرأة البغيِّ التي سقت الكلبَ الذي كاد يموت من العطش؛ فَغُفِرَ لها بَغْيُها- شاهدةٌ بذلك.

• ومن أسباب المضاعفة أن يكون العبدُ حسنَ الإسلامِ، حسنَ الطريقة، تاركًا للذنوب، غير مُصِرٍّ على شيء منها؛ فإن أعمال هذا مضاعفةٌ كما ورد بذلك الحديث الصحيح: «**إذا أحسن أحدُكم إسلامَه فكل حسنة يعملها تُكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف..**» الحديث.

* ومن أسبابها رِفْعَةُ العاملِ عند الله، ومقامُهُ العالي في الإسلام؛ فإن الله تعالى شكور حليم؛ لهذا كان نساء النبي ﷺ أجرهن مضاعفًا، قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ [الأحزاب: ٣١].

وكذلك العالِمُ الربانيُّ، وهو العالِم العامِلُ المعلِّم تكون مضاعفةُ أعمالِه بحسب مقامه عند الله كما أن أمثال هؤلاء إذا وقع منهم الذنب كان أعظمَ من غيرهم؛ لما يجب عليهم من زيادة التحرّز، ولما يجب عليهم من زيادة الشكر لله على ما خصهم به من النعم.

□ ومن الأسبابِ الصدقةُ من الكسب الطيب كما وردت بذلك النصوص.

□ ومنها شرفُ الزمان، كرمضانَ وعشرِ ذي الحجة ونحوِها، وشرفُ المكان كالعبادة في المساجد الثلاثة، والعبادةُ في الأوقات التي حثَّ الشارعُ على قصدها، كالصلاة في آخر الليل، وصيام الأيام الفاضلة ونحوها.

وهذا راجع إلى حقيق المتابعةِ للرسول المُكَمِّل - مع الإخلاص- للأعمال المنمي لثوابها عند الله.

□ ومن أسباب المضاعفةِ القيامُ بالأعمال الصالحة عند المعارضات النفسية، والمعارضات الخارجية؛ فكلما كانت المعارضات أقوى والدواعي للترك أكثر كان العمل أكمل، وأكثر مضاعفةً، وأمثلة هذا كثيرًا جدًّا، ولكن هذا ضابطُها.

□ ومن أهم ما يضاعف فيه العملُ: الاجتهاد في تحقيق مقام الإحسان والمراقبة، وحضور القلب في العمل؛ فكلما كانت هذه الأمور أقوى كان الثواب أكثر.

ولهذا ورد في الحديث: «**ليس لك من صلاتك إلَّا ما عقلت منها**».

فالصلاة، ونحوها وإن كانت تجزئُ إذا أتى بصورتها الظاهرةِ، وواجباتها الظاهرة والباطنة - إلَّا أن كمالَ القبولِ، وكمالَ الثوابِ، وزيادةَ الحسناتِ، ورفعةَ الدرجاتِ، وتكفيرَ السيئاتِ، وزيادةَ نورِ الإيمان - بحسب حضور القلب في العبادة.

□ ولهذا كان من أسباب مضاعفة العمل حصولُ أثره الحسن في نفع العبد، وزيادةِ إيمانه، ورقة قلبه، وطمأنينته، وحصول المعاني المحمودة

للقلب من آثار العمل؛ فإن الأعمال كلما كملت كانت آثارُها في القلب أحسنَ الآثارِ،وبالله التوفيق.

□ ومن لطائف المضاعفة أن إسرار العمل قد يكون سببًا لمضاعفة الثواب؛ فإن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله: «رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شمالُه ما تنفق يمينه، ومنهم رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه».

□ كما أن إعلانها قد يكون سببًا للمضاعفة كالأعمال التي تحصل فيها الأسوة والاقتداء، وهذا مما يدخل في القاعدة المشهورة: قد يَعْرِضُ للعمل المفضول من المصالح ما يصيِّره أفضل من غيره.

ومما هو كالمتفق عليه بين العلماء الربانيين أن الاتصاف في كل الأوقات بقوة الإخلاص لله، ومحبة الخير للمسلمين مع اللهج بذكر الله لا يلحقها شيءٌ من الأعمال، وأهلها سابقون لكل فضيلة وأجر وثواب، وغيرُها من الأعمال تبعٌ لها؛ فأهل الإخلاص والإحسان والذكر هم السابقون السابقون المقربون في جنات النعيم» اهـ.

٢- الأجر الكبير مع العمل اليسير بُغية عُلاة الهمم[(١)] :

يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمين الرحمن شيئًا، كيف ينقص مُلْك هو قيّمه وهو مالك الملك، لو أن عباده إنسهم وجنّهم، مؤمنهم وكافرهم، قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحدٍ مسألته، ما نقص ذلك من ملكه إلَّا كما ينقص المخيط إذا أدْخِل في البحر.

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ١١١).

والله ﷻ هو أكرم الكرماء وهو الجَوَاد الذي عَلَى على كل من جاد، وبه جاد من جاد، وهو أرحم الرحماء، وهو الودود ذو الفضل العظيم.

خصّ بعض الأعمال اليسيرة بالأجور الكبيرة تفضّلًا منه وكرمًا ومِنَّة على عباده، وعُلاة الهمم يُراعون هذه الأعمال وتعَضُّون عليها بالنواجذ ويحرصون على تأديتها أشد من حرصهم على الحياة.. وقد تفرَّقت هذه الأعمال في موسوعتنا فأردنا أن نجمعها هنا لعُلاة الهمم ومن سار على دربهم.

▫ قال عمرو بن قيس: «وجدنا أنفع الحديث لنا، ما نفعنا في أمر آخرتنا: من قال كذا فله كذا».

«وقد يتساءل البعض عن سِرِّ ترتُب هذه الأجور الكبيرة من الفضل والمغفرة الشاملة على تلكم الأعمال السهلة اليسيرة، بل ربَّما استعظم بعضهم ذلك واستغربه، متعجِّبًا أن يكون ذلك، مع أن ثمَّة أعمالًا هي أجلُّ وأعظمُ وأخطرُ، ولكنها لم تحظ من الأجر والفضل والمغفرة بمثل ما حظيت به هذه ولا بنصفه، بل ولا أقلّ من ذلك!! وإن خير من أجاب عن مثل هذا الإمام الجليل والعالم الشهير العز بن عبد السلام سلطان العلماء – رحمه الله تعالى رحمة واسعة-[١] فقد قال في كتابه القيِّم «قواعد الأحكام»: «فإن قِيل قد يُرَتِّب الشرع على الفعل اليسير مثل ما يُرتِّب على الفعل الخطير، كما رتَّب غفران الذنوب على الحج المبرور، ورتب مثل ذلك على موافقة تأمين المصلى تأمين الملائكة، ورتَّب غفران الذنوب على

---

(١) «الأربعون المنيرة في الأجور الكبيرة على الأعمال اليسيرة» للدكتور عيادة بن أيوب الكبيسي (ص٣٣)- طبع دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث.

قيام ليلة القدر، كما رتَّبه على قيام جميع رمضان، فالجواب: أن هذه الطاعات وإنْ تساوتْ في التكفير فلا تساوي بينها في الأجور، فإن الله سبحانه وتعالى رتَّب على الحسنات رفع الدرجات وتكفير السيئات، ولا يلزم من التساوي في تكفير السيئات التساوي في رفع الدرجات، وكلامنا في جملة ما يترتَّب على الفعل من جلب المصالح ودرء المفاسد، وذلك مختلفٌ فيه باختلاف الأعمال، فمن الأعمال ما يكون شريفًا بنفسه، وفيما رُتِّب عليه من جلب المصالح ودرء المفاسد، فيكون القليل منه أفضل من الكثير من غيره، والخفيف منه أفضل من الشاقِّ من غيره، ولا يكون الثواب على قَدْر النَّصَب في مثل هذا الباب كما ظنَّ بعض الجهلة، بل ثوابه على قدر خطره في نفسه كالمعارف العَليَّة والأحوال السنِيَّة، والكلمات المَرْضِيَّة، فرُبَّ عبادة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان، وعبادة ثقيلة على اللسان خفيفة في الميزان، بدليل: أن التوحيد خفيف على الجنان واللسان، وهو أفضل ما أُعطيه الإنسان، ومَنّ به الرحمن، والتفوُّه به أفضل الكلام بدليل أنه يُوجِب الجِنان، ويدرأ غضَبَ الدَّيَّان، وقد صرَّح ﷺ بأنَّه أفضل الأعمال لَمَّا قيل له: «أي الأعمال أفضل؟ فقال: «إيمان بالله»، وجعل الجهاد دونه مع أنه أشقّ منه، وكذلك معرفة التوحيد أفضل المعارف، واعتقاده أفضل الاعتقادات، مع سهولة ذلك وخِفَّته مع تحقُّقه»[1].

ثم قال: «ومما يدلُّ على أن الثواب لا يترتَّبُ على قدر النَّصَب في جميع

---

(١) أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ سُئِل: أيُّ العمل أفضل؟ فقال: «**الإيمان بالله ورسوله**»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»، قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «**حجٌّ مبرور**»- كتاب الإيمان- باب من قال: إن الإيمان هو العمل (١/ ٧٧) ح (٢٦).

العبادات ما روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مَلِيككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال ذكر الله»[١]، فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما شيء أنْجَى من عذاب الله من ذكر الله».

• ومما يدلُّ على ذلك أيضًا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال حين يُصبح وحين يُمسِي: سبحان الله وبحمده، مئة مرة، لم يأت أحدٌ يوم القيامة، بأفضل مما جاء به إلَّا أحَدٌ قال مثل ما قال، أو زاد عليه**»[٢].

• وكذلك قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[٣].

* والحاصل بأن الثواب يترتَّب على تفاوت الرُّتب في الشرف، فإنْ تَسَاوَى العَملان من كُلِّ وجه كان أكثر الثواب على أكثرهما، لقوله تعالى:

---

(١) صحيح: رواه الترمذي برقم (٣٣٧٧)- وزاد في آخره فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله - كتاب الدعوات، باب ٦، (٥/ ٤٥٩)، وابن ماجه (٣٧٩٠)- كتاب الأدب- باب فضل الذكر (٢/ ١٢٤٥)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٤٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٢)، و«صحيح الجامع» (٢٦٢٩)، والمنذري في «الترغيب» (٢/ ٣٩٥)، وصححه الألباني ي «تخريج الترغيب» (٢/ ٢٢٨).

(٢) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي.

(٣) رواه أحمد،والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة] [(١)].

البحار الزاخرات من الحسنات مع الأعمال اليسيرات:

١- النيَّة الصالحة:

إن النيَّة وإن لم تكن من أعمال الجوارح فهي عمل قلبي يسير على من يسَّرَهُ الله عليه، ليس فيه أي جهد ولا مشقة اللهم إلَّا محاسبة النفس للتنبيه من الغفلة، ومع هذا اليُسر والسهولة، فقد رتَّب الشارع الحكيم على ذلك خيرًا عظيمًا، وجزاءً كبيرًا، وأيُّ خير وجزاء!!! فرُبَّ عملٍ كبير صغَّرته النيَّة، ورب عمل صغير كبَّرته النيَّة.

٢- في فضل الأذان:

• عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري ثم المازني عن أبيه أنه أخبره: أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال له: «**إني أراك تُحِبُّ الغنم والبادية، فإذا كنتَ في غنمك أو باديتك فأذَّنت بالصلاة، فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جنٌّ ولا إنس ولا شيءٍ إلَّا شهد له يوم القيامة**». قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ [(٢)].

٣- ثواب الذكر عند الأذان:

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمَّدًا**

(١) «قواعد الأحكام» (ص٢٩- ٣٠) للعز بن عبد السلام.

(٢) رواه البخاري (٦٠٩) (٢/ ٨٧- ٨٨)- كتاب الأذان- باب رفع الصوت بالنداء. ومدى صوت المؤذن: أي غاية صوته.

الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حَلَّت له شفاعتي يوم القيامة»[١].

٤- ثواب الذكر عند الأذان:

• عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيتُ بالله ربًّا، وبمحمد رسولًا، وبالإسلام دينًا، غُفِر له ذنبه**»[٢].

• وفي رواية: «**من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد..**» إلخ بزيادة الواو.

٥- فضل الوضوء السابغ:

• عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: كانت علينا رعاية الإبل[٣]، فجاءت نوبتي، فروَّحتُها[٤] بعشيٍّ، فأدركتُ رسول الله ﷺ قائمًا يحدِّث الناس، فأدركت من قوله: «**ما من مسلم يتوضَّأ، فيُحسن وضوءَه، ثم يقوم، فيصلي ركعتين، مقبلٌ عليهما بقلبه ووجهه، إلَّا وجبت له الجنة**». قال: فقلتُ: ما أجود هذه! فإذا قائلٌ بين يديّ يقول: التي قبلها أجود! فنظرتُ، فإذا عمر! قال: إني قد رأيتك جئتَ آنفًا، قال: «**ما منكم من أحدٍ يتوضأ، فيُبلغ، أو فيُسبغ الوضوء**[٥]**، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا**

(١) أخرجه البخاري (٦١٤)- كتاب الأذان- باب الدعاء عند النداء (٢/ ٩٤).

(٢) رواه مسلم (٣٨٦) (١/ ٢٩٠).

(٣) إبل الصدقة، وكانوا يتناوبون عليها.

(٤) أي رددتها إلى المُرَاح، وهو الموضع الذي تأوي إليه الإبل ليلًا.

(٥) أي: فيوصل الوَضوء إلى مواضعه، أو يُكمله على الوجه المسنون.

عبد الله ورسولُه إلَّا فُتحتْ له أبوابُ الجنةِ الثمانيةُ يدخلُ من أيِّها شاء»[(١)].

• عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من رجل يقرب وضوءه، فيتمضمض، ويمج، ويستنشق، فينثر، إلَّا جَرَت خطايا وجهه، وفيه، وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله، إلَّا جَرَت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلَّا جرف خطايا يديه من أطراف أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه كما أمره الله، إلَّا جرت خطايا رأسه من أطراف شعره من الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبَيْن كما أمره الله، إلَّا جرتْ خطايا رجليه من أطراف أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلَّى، فحمد الله وأثنى عليه، ومجدَّه بالذي هو أهله، وفرَّغَ قلبه لله، إلَّا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه»[(٢)].

٦- المشي إلى المساجد:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من تطهَّر في بيته، ثم مشى إلى بيتٍ من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداهما تحطُّ خطيئة، والأخرى ترفع درجة»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٣٤)- كتاب الطهارة- باب: الذكر المستحبُّ عقب الوضوء (١/ ٢١٠)، والترمذي بالزيادة المذكورة برقم (٥٥) في أبوب الطهارة- باب (٤١) فيما يُقال بعد الوضوء (١/ ٧٨)، وروى هذه الزيادة ابن ماجه، والبزار، والطبراني في «الأوسط»، وزاد النسائي: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلَّا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وصححه موقوفًا على أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٨٣٢).

(٣) رواه مسلم برقم (٦٦٦)- كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب المشي إلى الصلاة (١/ ٤٦٢).

٧- ركعتا الفجر:

• عن عائشة رضي الله عنها، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها**»[١].

والمراد بهما ركعتا السنَّة.. فكيف بصلاة الفريضة؟!

• وروت عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال في شأن الركعتين عند طلوع الفجر: «**لهما أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعًا**»[٢].

٨- صلاة الجماعة وانتظار الصلاة:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**صلاة الجميع تَزيدُ على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمسة وعشرين درجةً، فإن أحدكم إذا توضَّأ، فأحسنَ، وأتى المسجد لا يريد إلَّا الصلاة، لم يَخْطُ خَطوةً إلَّا رفعه الله بها درجةً، وحطَّ عنه خطيئةً حتى يدخل المسجد؛ وإذا دخل المسجد كان في صلاةٍ ما كانتْ تَحْبِسُه، وتصلي** - يعني: عليه - **الملائكة ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يؤذ، يُحْدثْ**[٣]»[٤].

---

(١) رواه مسلم- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب استحباب ركعتي سنة الفجر (٢/ ١٦٠)، والترمذي في أبواب الصلاة - باب ما جاء في ركعتي الفجر من الفضل رقم (٤١٦) (٢/ ٢٧٥) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم.

(٣) آخر الحديث عند مسلم (.. ما لم يؤذِ فيه، ما لم يُحدِث فيه».

(٤) أخرجه البخاري واللفظ له- كتاب الصلاة- باب الصلاة في مسجد السوق (١/ ١٢٢)، ورواه مسلم- كتاب الصلاة- باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة (٢/ ١٢٨-١٢٩).

• عن عبد الرحمن بن أبي عَمْرَة قال: دخل عثمان بن عفان رضي الله عنه المسجد بعد صلاة المغرب، فقعد وحده، فقعدتُ إليه، فقال: يا ابن أخي، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَنْ صلَّى العِشاء في جماعةٍ فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبحَ في جماعة فكأنما صلَّى الليل كُلَّه**»[١].

٩- غسل يوم الجمعة والذهاب إلى المسجد مُبكِّرًا لصلاة الجمعة:

• عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن غَسَّلَ يوم الجمعة واغتسل، ثم بكَّر وابتكر، ومشى ولم يركبْ، ودَنَا من الإمام، واستمعَ، وأنصتَ، ولم يَلغُ، كان له بكل خُطوة يخطوها من بيته إلى المسجِدِ، عملُ سنةٍ، أجرُ صيامها وقيامها**»[٢].

١٠- صلاة الضُّحى:

• عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يُصبح على كل سُلَامَي من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صَدَقة،وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويُجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**»[٣].

---

(١) رواه مسلم- كتاب الصلاة- باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة.

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذي رقم (٤٩٦) (٢/ ٣٦٧- ٣٦٨)، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة (١٧٦٧) (٣/ ١٣٢)، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» وصححه، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٣٧٢)، و«صحيح الترغيب» (٦٩٠)، و«صحيح الجامع» (٦٤٠٥).

(٣) رواه مسلم (٧٢٠)، وأبو داود، والنسائي.

١١- السجود لله عز وجل:

• عن معدان بن طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني بعمل أعمله يُدخلني الله به الجنة، أو قال: قلت: بأحبِّ الأعمال إلى الله. فسَكَت، ثم سألتُه، فسكت، ثم سألتُه الثالثة، فقال: سألتُ عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجدُ لله سجدةً إلَّا رفعكَ الله بها درجة، وحطَّ عنك بها خطيئة**»(١).

□ قال معدان: «ثم لقيت أبا الدرداء، فسألتُه، فقال لي مثلما قال لي ثوبان».

١٢- الصلاة على الجنائز وتشييعها:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شهد الجنازةَ حتى يُصَلِّيَ فله قيراط، ومن شهدها حتى تُدْفَن كان له قيراطان**». قيل: وما القيراطان؟ قال: «**مثل الجبلين العظيمين**»(٢).

• وفي إحدى روايات مسلم: «**من صلى على جنازة ولم يَتْبَعْها فله قيراط، فإن تبعها فله قيراطان**». قيل: وما القيراطان؟ قال: «**أصغرهما مثلُ أحد**».

• وعند مسلم أيضًا: قيل لابن عمر رضي الله عنهما: إن أبا هريرة رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من تَبعَ جنازةً فله قيراطٌ من الأجر**». فقال

---

(١) رواه أحمد، ومسلم واللفظ له- كتاب الصلاة- فضل السجود والحثِّ عليه (٢/ ٥١- ٥٢)، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري -كتاب الجنائز- باب من انتظر حتى تُدفن (٢/ ٩٠).

ابن عمر رضي الله عنهما: أكثر علينا أبو هريرة رضي الله عنه[(١)]؛ فبعث إلى عائشة فسألها، فصدَّقت أبا هريرة. فقال ابن عمر رضي الله عنهما: لقد فرَّطنا في قراريط كثيرة[(٢)].

يتبين من قول ابن عمر رضي الله عنهما ما كان الصحابة عليه من الرغبة في الطاعات حين يبلغهم الخبر، والتأسف على ما يفوتهم منها، وإن كانوا لا يعلمون عظم موقعه[(٣)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَن تبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا وكان معها حتى يصلي عليها، ويُفرَغ من دفنها، فإنه يرجع من الأجر بقِراطين، كل قيراط مثل أُحُد، ومن صلى عليها، ثم رجع قبل أن تُفدنَ؛ فإنه يرجع بقيراطٍ من الأجر»**[(٤)].

١٣- قيام رمضان:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه»**[(٥)].

١٤- قيام ليلة القدر:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قام ليلة القدر**

---

(١) يعني أن ابن عمر رضي الله عنهما خاف لكثرة روايات أبي هريرة من أنه اشتبه عليه الأمر في ذلك واختلط عليه حديث بحديث، لا أنه نسبه إلى رواية ما لم يسمع؛ لأن مرتبة ابن عمر وأبي هريرة أجلّ من هذا. انظر «صحيح مسلم بشرح النووي» (٧/ ١٥- ١٦).

(٢) «صحيح مسلم»- كتاب الجنائز - باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها (٣/ ٥١).

(٣) المصدر السابق (٧/ ١٥).

(٤) رواه البخاري (٤٧).

(٥) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»[١].

١٥- قيام الليل:

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قام بعشر آيات لم يُكتَب من الغافلين، ومن قام بمئة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتُب من المقنطِرين**»[٢].

والمقنطِرين: من لهم قنطارٌ من الأجر.

وأعجب من هذا الحديث والأجر الحديث الآتي:

• عن فضالة بن عُبيد وتميم الداري رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من قرأ عشر آيات في ليلة كُتِب له قنطارٌ من الأجر، والقنطار خير من الدنيا وما فيها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل: اقرأ وارق بكل آية درجة، حتى ينتهي إلى آخر آية معه، يقول ربك عز وجل للعبد: اقبض، فيقول العبد بيده: يا رب! أنت أعلم. يقول بهذه الخلد وبهذه النعيم**[٣]»[٤].

١٦- في الصلاة: من وافق تأمينه تأمين الملائكة:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا، فإنه**

---

(١) رواه البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٤٢)، و«صحيح الجامع» (٦٤٣٩).

(٣) قال الألباني: أي اقبض يمينك على الخلد وشمالك على النعيم، كما في رواية أخرى لابن عساكر.

(٤) حسن: قال المنذري: رواه الطبراني في «الكبير»، و«الأوسط» بإسناد حسن، وفيه إسماعيل بن عياش عن الشاميين، وروايته مقبولة عند الأكثرين، وحسَّنه الألباني. انظر «صحيح الترغيب» رقم (٦٣٤).

من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه»، قال ابن شهاب: وكان رسول الله ﷺ يقول: «آمين»(١).

١٧- من وافق قوله: «اللهم ربنا لك الحمد في الصلاة قول الملائكة»:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**»(٢).

١٨- انتظار الصلاة:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الملائكة تُصَلِّي على أحدكم ما دام في مُصَلَّاه الذي صلَّى فيه، ما لم يُحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**». وفي رواية زيادة: «**اللهم تُب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يُحدث فيه**».

• وفي رواية: «**لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلَّا الصلاة**»(٣).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٨٠)- كتاب الأذان- باب جهر الإمام بالتأمين (٢/ ٢٦٢)، ومسلم برقم (٤١٠) في كتاب الصلاة- باب التسميع والتحميد والتأمين (١/ ٣٠٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٧٩٦)- كتاب الأذان- باب: فضل اللهم ربنا لك الحمد (٢/ ٢٨٣)، ومسلم برقم (٤٠٩)- كتاب الصلاة- باب التسميع والتحميد والتأمين (١/ ٣٠٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٤٤٥) (١/ ٥٣٨)، ورقم (٦٥٩) (٢/ ١٤٢)، ومسلم رقم (٦٤٩) (١/ ٤٥٩).

١٩- صلاة التسبيح:

• عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: «يا عباس يا عماه، ألا أُعطيك، ألا أمنحك ألا أحبوك، ألا أفعل بُك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله ذنبك أوله وآخره، قديمه وحديثه، خطأه وعمده، صغيره وكبيره، سرَّه وعلانيته؟ عشر خصال: أن تصلي أربع ركعات، تقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة فقل وأنت قائم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله والله أكبر، خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرًا، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرًا، ثم تهوي ساجدًا فتقولها وأنت ساجد عشرًا، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرًا، ثم تسجدُ فتقولها عشرًا، ثم ترفع رأسك فتقولها عشرًا، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة، تقل ذلك في أربع ركعات، وإن استطعت أن تصليها في كل يوم مرَّة فافعل، فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرَّة، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٢٩٧)، والنسائي، وابن ماجه (١٣٨٧)، وابن خزيمة (١٢١٦) (٢/ ٢٢٣) والطبراني في «الكبير» (١١٦٢٢) (١١/ ١٩٤- ١٩٥)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» برقم (٣٩٣) (٢/ ١٥٩)، وفي «السنن» (٣/ ٥١- ٥٢) وروى الترمذي عن أبي رافع نحوه (٤٨٢) وأخرجه الحاكم بنحوه عن ابن عمر وقال: هذا إسناد صحيح لا غبار عليه، ووافقه الذهبي (١/ ٣١٩)، وقال في حديث عبد الله بن المبارك الذي رواه بنحوه: روا هذا الحديث كلهم ثقات، ووافقه الذهبي (١/ ٣٢٠)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١١٧٣- ١١٧٥)، و«تخريج المشكاة» (١٣٢٨، ١٣٢٩)، و«صحيح الجامع» (٧٩٣٧).

الصيام:

٢٠- صيام رمضان إيمانًا واحتسابًا:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**»[١].

٢١- صيام ست من شوال:

• عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام رمضان، وأتبَعه سِتًّا من شوَّال، كان كصوم الدهر**»[٢].

• وعن ثوبان رضي الله عنه عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام سِتَّة أيام بعد الفِطرِ، كان تمام السَّنةِ، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾**»[٣].

٢٢- صيام يوم في سبيل الله:

• عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صامَ يومًا في سبيل الله بَعَّد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا**»[٤].

• وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام يومًا في سبيل الله، باعد الله منه جهنم مسيرة مئة عام**»[٥].

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي وابن ماجه.

(٢) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه، والنسائي، وابن خزيمة، وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٩٧)، و«صحيح الجامع» (٦٣٢٨).

(٤) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي.

(٥) حسن: رواه النسائي، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢/ ٦٢)، و«صحيح الجامع» (٦٣٣٠).

• وقال ﷺ: «من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض»(١).

٢٣- صيام يوم عرفة:

• عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم عرفة غفر الله له سنتين: سنة أمامه، وسنة خلفه»(٢).

٢٤- صيام يوم عاشوراء:

• عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صوم عاشوراء، يُكَفِّر سنة ماضية»(٣).

٢٥- صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صومُ شهر الصبرِ وثلاثة أيامٍ من كل شهر صوم الدهر»(٤).

٢٦- تفطير الصائم:

• عن زيد بن خالد الجُهني قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فَطَّرَ صائمًا، كان له مِثْلُ أجره، غير أنه لا يَنْقُصُ من أجرِ الصائمِ شيئًا»(٥).

---

(١) صحيح: رواه الترمذي عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٦٣)، و«صحيح الترغيب» (٩٨١)، و«صحيح الجامع» (٦٣٣٣).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه، وصحيح الألباني في «صحيح الترغيب» (١٠٠١).

(٣) رواه أحمد، ومسلم، والترمذي عن أبي قتادة.

(٤) صحيح: رواه أحمد، والبيهقي في «سننه» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الإرواء» (٩٤٦)، و«صحيح الجامع» (٣٨٠٣).

(٥) صحيح: رواه أحمد، والترمذي (٨٠٧) (٣/ ١٦٢)، وابن ماجه، وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٠٧٢)، و«صحيح الجامع» (٦٤١٥).

□ قال في «عارضة الأحوذي»: «إن الله بفضله على الخلق أجرهم على ما ابتلاهم به من الأمر والنهي، لا باستحقاق وَجَبَ لهم، ثم زادهم من فضله المضاعفة فيه، ثم زادهم من فضله أن جعل للمعين عليه لغيره مثلَ أجره، لا ينقص ذلك من أجره شيئًا. وهذا كقوله: «**من جهَّز غازيًا فقد غزا..**»[(١)].

والتفطير: إطعام الصائم عند الإفطار. ويشمل على ظاهره الشيء اليسير أيضًا[(٢)].

٢٧- الصدقة:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن تصدَّق بِعَدْل تمرة مِن كَسْب طيِّب، ولا يقبل الله إلَّا الطَّيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه**[(٣)] **كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوّه، حتى تكون مثل الجَبَل**»[(٤)].

الحج والعمرة:

٢٨- الحج والعمرة:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**العمرة إلى العمرة كَفَّارة**

---

(١) «عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي» (٤/ ٢١).

(٢) «معارف السنن شرح سنن الترمذي» للبنوري (٥/ ٥٥٧).

(٣) وفي رواية: لصاحبها.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري واللفظ له - برقم (١٤١٠) في كتاب الزكاة باب الصدقة من كسب طيب (٣/ ٢٧٨)، ومسلم برقم (١٠١٤) في كتاب الزكاة - باب قبول الصدقة من الكسب الطيب فَلُوَّه: بفتح اللام وتشديد الواو: هو المُهْر الصغير قال النووي في «شرح مسلم» (٧/ ١٠٠): وفي الفلوّ لغتان فصيحتان أشهرهما - ما ذُكِر- والثانية: كسر الفاء وإسكان اللام، وتخفيف الواو.

لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلَّا الجنَّة»[١].

٢٩- عمرة في رمضان:

• قال رسول الله ﷺ: «**عمرة في رمضان تَعْدِل حَجَّة**»[٢].

• عن عطاء قال: سمعتُ ابن عباس رضي الله عنهما يحدثنا قال: قال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار سمَّاها ابن عباس فنسيتُ اسمها: «**ما منعكِ أن تحجي معنا؟**». قالت: لم يكن لنا إلَّا ناضحان [٣]، فحجَّ أبو ولدها وابنُها على ناضح، وترك لنا ناضحًا نَنْضَحُ عليه. قال: «**فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عُمرةً فيه تَعْدِلُ حَجَّةً**»[٤].

وفي رواية لمسلم: «**تَقْضِي حَجَّةً، أو حَجَّةً معي**».

• وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُمْرَة في رمضان كحجّة معي**»[٥].

والعمرة في رمضان تعدل حَجَّةً في الأجر لا في النيابة عن الفرض.

• وفي رواية مسلم الأخرى: «**تقضي.. حَجَّةً معي**»، أي تقوم مقامها

---

(١) رواه البخاري - كتاب العمرة- باب وجوب العمرة وفضلها (٢/ ١٩٨)، ومسلم - كتاب الحج- باب في فضل الحج والعمرة (٤/ ١٠٧).

(٢) رواه أحمد، والبخاري وابن ماجه عن جابر، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه عن ابن عباس، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه عن أم معقل، وابن ماجه عن وهب بن خنبش، والطبراني في «الكبير» عن ابن الزبير.

(٣) الناضح: البعير الذي يُسقَى عليه.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري - كتاب العمرة- باب عمرة في رمضان (٢/ ٢٠٠)، ومسلم -كتاب الحج- باب فضل العمرة في رمضان (٤/ ٦١)، واللفظ لمسلم.

(٥) صحيح: رواه سموية عن أنس، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٥٨٧)، و«صحيح الجامع» (٤٠٩٨).

في الثواب، وهو مبالغة في الترغيب.

□ وفي «أُسد الغابة» لابن الأثير أن المرأة الأنصارية يقال لها: أم سنان، قاله لها النبيّ ﷺ لما لقيها حين رجع من حجَّة الوداع.

المساجد:

٣٠- من بنى لله مسجداً:

• عن عبيد الله الخولاني أنه سمع عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول - عند قول الناس فيه حين بنى [١] مسجد الرسول ﷺ-: إنكم أكثرتم، وإني سمعتُ النبيّ ﷺ يقول: «**من بنى مسجدًا** - قال بُكير [٢]: حسبتُ أنه قال: **يبتغي به وجه الله- بنى الله له مثله في الجنة**»[٣].

ومعنى «**بنى الله له مثله في الجنة**»: يحتمل مثله في القدر والمساحة، ولكنه أنفس منه بزيادات كثيرة، ويحتمل: مثله في مسمى البيت، وإن كان أكبر مساحة وأشرف [٤].

٣١- من جاء المسجد للتعليم أو التعلُّم:

• عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبيَّ ﷺ قال: «**من غدا إلى المسجد لا يريد إلَّا أن يتعلَّم خيرًا أو يعلِّمه، كان له كأجر حاج تامًّا حَجَّتُه**»[٥].

---

(١) احتجاج عثمان رضي الله عنه -بالحديث - وهو إنما زاد في المسجد - هو بناء على أن الزيادة في المسجد عند الحاجة لها كبناء المسجد أصلًا.

(٢) بكير هو راوي الحديث عن عاصم بن عمر بن قتادة، الذي سمع عبيد الله الخولاني.

(٣) رواه البخاري -كتاب الصلاة- باب من بني مسجدًا (١/ ١١٦)، ومسلم - كتاب الزهد- باب فضل بناء المساجد (٨/ ٢٢٢).

(٤) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨/ ١١٣).

(٥) إسناده جيد: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم (٧٤٧٣) (٨/ ١١١- ١١٢).

=

٣٢- فضل الصلاة في المساجد الثلاثة ومضاعفة الأجر فيها:

• عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلَّا المسجد الحرام، وصلاةٌ في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه**»[1].

• وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا - ونحن عند رسول الله ﷺ- أيهما أفضلُ أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضلُ من أربع صلوات فيه، ولنِعْم المُصَلَّي هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا**»[2].

فالصلاة في المسجد الأقصى تعدل مئتين وخمسين صلاة فيما سواه من

وقال في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١/ ١٢٨): «رجاله موثقون كلهم». وقال الحافظ ضياء الدين المقدسي في «فضائل الأعمال» (ص٩٩): «هذا إسناده على شرط صحيح مسلم. وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٤/ ٤٦١): «إسناده جيد».

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الألباني في «الإرواء» (١١٢٩)، و«صحيح الجامع» (٣٨٣٨).

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٠٩) وقال صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه إبراهيم بن طهمان في «مشيخته» (٦٢)، والمقدسي في «فضائل بيت المقدس» (١٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٢٤٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨/ ٨٣) (٣٨٤٩) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٧): رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال «الصحيح»، وقال المنذري في «الترغيب» (٢/ ٢١٧): «رواه البيهقي بإسناد لا بأس به، وفي متنه غرابة، وصححه الألباني في «تحذير الساجد» (ص١٩٨).

المساجد».

٣٣- الصلاة في مسجد قباء تعدل عمرة:

• عن أسيد بن ظُهير الأنصاري رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**صلاةٌ في مسجدِ قُباء كعمرة**»[١].

• وعن سهل بن حنيف قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تَطهَّر في بيته، ثم أتى مسجد قُباء، فصلَّى فيه صلاةً، كان له كأجر عمرة**»[٢].

• عن عبد الله بن دينار أنه سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: «كان رسول الله ﷺ يأتي قُباءَ راكبًا وماشيًا»[٣].

• وفي رواية أخرى: «كان يأتي قُباءُ كلَّ سبت، وكان يقول: رأيتُ النبيَّ ﷺ يأتيه كلَّ سبت»[٤].

٣٤- صلاة الفجر في جماعة والذكر حتى تشرق الشمس وصلاة ركعتين:

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجَّة، وعمرة، تامةٍ، تامة، تامَّة**»[٥].

---

(١) صحيح: رواهما ابن ماجه في أبواب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في المسجد قباء، الرقمان (١٤٠٩)، (١٤١٠) (١/ ٢٥٨)، وصححها الألباني في: «صحيح ابن ماجه» رقم (١١٥٩) و(١١٦٠) (١/ ٢٣٧- ٢٣٨).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه»- كتاب الحج- باب فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته (٤/ ١٢٧)

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٦٤)، و«صحيح الجامع» (٦٣٤٦).

٣٥- من صلى لله أربعين يومًا يدرك التكبيرة الأولى:

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن صلى لله أربعين يومًا في جماعة، يُدرِكُ التكبيرة الأولى، كُتِب له براءتان: براءة من النار، وبراءةٌ مِن النفاق»(١).

٣٦- من صلى في اليوم والليلة اثنتي عشرة ركعة تطوُّعًا:

• عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى في اليوم والليلة اثنتي عشرة ركعة تطوُّعًا، بنى الله له بيتًا في الجنة»(٢).

• وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى في يوم وليلة ثِنْتَيْ عشرة ركعة بُنِي له بيت في الجنة: أربعًا قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتيْن بعد المغرب، وركعتيْن بعد العشاء، وركعتين قبل صلاة الغداة»(٣).

القرآن والذكر والدعاء:

٣٧- قراءة القرآن:

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: آلم حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»(٤).

---

(١) حسن: رواه الترمذي، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٦٥)، وانظر «الترغيب والترهيب» (٤٠٧).

(٢) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

(٣) صحيح: رواه الترمذي عن أم حبيبة، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٥٧٨)، و«صحيح الجامع» (٦٣٦٢).

(٤) صحيح: رواه الترمذي برقم (٢٩١٠) (٥/ ١٧٥) كتاب فضائل القرآن- باب: ما =

٣٨- قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثلث القرآن:

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الأخلاص]: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»[(١)].

• وقال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثلث القرآن»[(٢)]. وقراءتها توجب محبة الله لك؛ فهي صفته.

• وعن أُبيّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **من قرأ فكأنما قرأ ثلث القرآن**»[(٣)].

• وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ** ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجنة**»[(٤)].

جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر، وأخرجه الحاكم بنحوه في كتاب «فضائل القرآن» وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وأقرّه الذهبي (١/ ٥٦٦)، والطبراني في «الكبير» (ص١٤١، ١٤٢) (١٨/ ٧٦- ٧٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٦٠) (٢/ ٢٦٧- ٢٦٩).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٠١٣) في كتاب فضائل القرآن – باب: فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ (٩/ ٥٩)، ومسلم برقم (٨١١) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ (١/ ٥٥٦).

(٢) روه مالك، وأحمد، والبخاري، وأبو داود، والنسائي عن أبي سعيد، والبخاري عن قتادة بن النعمان، ومسلم عن أبي الدرداء، والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة، والنسائي عن أبي أيوب، وأحمد وابن ماجه عن أبي مسعود الأنصاري، والطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود وعن معاذ، وأحمد عن أم كلثوم بنت عقبة، والبزار عن جابر، وأبو عبيد عن ابن عباس.

(٣) صحيح: رواه أحمد، والنسائي والضياء عن أُبَي، ورواه أحمد، والترمذي، والنسائي عن أبي أيوب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٧٣).

(٤) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٨٩)، و«صحيح الجامع» (٦٤٧٢).

٣٩- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ تعدل ربع القرآن:

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **تعدل ثلث القرآن،** ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ **تعدل ربع القرآن**»[١].

• وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **عدلت له بربع القرآن، ومن قرأ** ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ **عدلت له بثلث القرآن**»[٢].

٤٠- قراءة آية الكرسي دبر كُلِّ صلاة:

• عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي دُبُرَ كل صلاة مكتوبة، لم يمنعْه من دخول الجنة إلَّا أن يموت**»[٣].

٤١- قراءةُ الآيتين من آخر سورة البقرة عند النوم:

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»[٤].

• وعن أبي سعيد البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ**

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٨٨)، و«صحيح الجامع» (٤٤٠٥).

(٢) حسن: رواه الترمذي عن أنس، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٦٦).

(٣) صحيح: رواه النسائي، وابن حبان، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٧٢)، و«تخريج المشكاة» (٩٧٤)، و«صحيح الجامع» (٦٤٦٤).

(٤) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه وأحمد، والدارمي، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٢٦٣)، و«صحيح الجامع» (٦٤٦٤).

بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كَفَتاه»[(١)].

٤٢- قراءة سورة الكهف يوم الجمعة:

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قرأ سورة «الكهف» في يوم الجمعة، أضاء له من النور ما بين الجمعتيْن**»[(٢)].

• وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قرأ سورة «الكهف» يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق**»[(٣)].

٤٣- من حفظ آيات من القرآن:

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يُقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعدُ لكل آيةٍ، حتى يقرأ آخر شيء معه**»[(٤)].

• وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتِّل، كما كنتَ ترتِّل في دار الدنيا؛ فإن منزلتك عند**

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٠٠٩) (٩/ ٥٥)- كتاب فضائل القرآن- باب: فضل سورة البقرة، ومسلم (٨٠٨) (١/ ٥٥٥)- كتاب صلاة المسافرين -باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة.

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» والبيهقي في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٧٣٨)، و«المشكاة» (٢١٧٥)، و«الإرواء» (٦٢٦)، و«صحيح الجامع» (٦٤٧٠).

(٣) صحيح: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» وصححه الألباني في «الإرواء» (٦٢٦)، و«صحيح الترغيب»، و«صحيح الجامع» (٦٤٧١).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣١٧)، و«صحيح الجامع» (٨١٢١).

آخر آية كنت تقرؤها»(١).

٤٤- قراءة آية الكرسي عند النوم:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «.. قلت: يا رسول الله، زعم أنه يُعلِّمني كلمات ينفعني الله بها فخلَّيت سبيله، قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾. وقال لي: لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب**»(٢).

فانظر إلى حافظ القرآن كم يصعد من الدرجات في أعلى الجنان!!!

٤٥- سيد الاستغفار وفضله:

• عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيِّدُ الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدِك ما استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عَليَّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفر، فإنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت. من قالها من النهار مُوقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يُمْسِي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو مُوقِنٌ بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣١٧)، و«صحيح الجامع» (٨١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٣١١)- كتاب الوكالة- باب: إذا وكَّل رجلًا فترك الوكيل شيئًا.. إلخ (٤/ ٤٨٧).

(٣) رواه أحمد، والبخاري، والنسائي، والحاكم في «المستدرك».

٤٦- من استغفر للمؤمنين والمؤمنات:

• عن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استغفر للمؤمنين والمؤمنات، كتب الله له بكل مُؤْمِنٍ ومؤمنةٍ حسنة**»(١).

أي كرم فوق هذا الكريم.. سبحانك ربي من جواد؛! تُعطي في ثانية من الزمان عبدًا من عبادك مليارًا من الحسنات تنفرج شفتاه عن دعاء لا يستغرق إلَّا ثوان معدودة، وتُعطي لقائله ما يفوق المليار من الحسنات!!!

٤٧- سبحان الله وبحمده:

• عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن جورية رضي الله عنها، أن النبيَّ ﷺ خرج من عندها بُكْرَةً حين صلى الصبح وهي في مسجدها (٢)، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «**ما زلتِ على الحال التي فارقتُكِ عليها؟**»، قالت: نعم. قال النبي ﷺ: «**لقد قلتُ بعدكِ أربعَ كلماتٍ ثلاثَ مراتٍ لو وُزِنَتْ بما قلتِ منذ اليوم لَوَزَنَتْهُنَّ: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزِنَةَ عرشه ومِداد كلماتِه**».

وفي رواية: «**سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زِنَةَ عرشه، سبحان الله مِداد كلماته**»(٣).

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن عبادة، وحَسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٢٦)، وانظر «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٠) وقال: إسناده جيد. قال الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ١٠٤٢): «والعهدة عليه».

(٢) أي: في موضع صلاتها.

(٣) رواه مسلم – كتاب الذكر والدعاء – باب التسبيح أول النهار وعند النوم (٨/ ٨٣-٨٤).

٤٨- التسبيح والتحميد والتكبير دُبُر كل صلاة وعند النوم:

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَلَّتانِ لا يُحصيهما رجلٌ مسلم إلَّا دخل الجنة، أَلَا وهما يسير ومن يعمل بهما قليل: يُسبِّحُ الله في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ عشرًا، ويَحْمَدُهُ عشرًا، ويكبِّره عشرًا – قال: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يَعْقِدُها بيده، قال: – فتلك خمسون ومئةٌ باللسان، وألف وخمسُمئةٍ في الميزان. وإذا أخذتَ مَضْجَعَكَ تسبِّحه وتكبِّره وتَحْمَده مئةً فتلك مئةٌ باللسان وألفٌ في الميزان. فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمئةِ سيئة؟». قالوا: وكيف لا يُحصيهما؟. قال: «يأتي أحَدَكم الشيطانُ وهو في صلاته فيقول: اذكر كذا اذكر كذا، حتى ينتقل، فلعلَّه لا يفعل، ويأتيه وهو في مضجعه فلا يزال ينوِّمه حتى ينام»[(١)].

٤٩- الذكر بـ «لا إله إلا الله»:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مئة مرةٍ، كانت له عَدْلَ عشرِ رِقابٍ، وكُتِبَتْ له مئة حسنةٍ، ومُحيتْ عنه مئةُ سيئةٍ، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاء إلَّا رجلٌ عَمِلَ أكثر منه»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والبخاري في الأدب، وأبو داود، والترمذي (٣٤١٠) والنسائي، وابن ماجه، وعبد الرزاق في «المصنف»، وابن السني وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٦٠٥) و(٢/ ٢٦١)، و«صحيح الجامع» (٣٢٣٠) خلتان: خصلتان. لا يحصهما: لا يحافظ عليهما.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم. البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التهليل (٧/ ١٦٧)، ومسلم – كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل
=

□ قال الإمام النووي: «وظاهر إطلاقِ الحديث أن يحصل هذا الأجر المذكور في هذا الحديث مَنْ قال هذا التهليل مئة مرة في يومه، سواء قاله متواليةً أو متفرقةً في مجالس، أو بعضها أولَ النهار وبعضها آخره؛ لكن الأفضل أن يأتي بها متوالية في أول النهار، ليكون حرزًا له في جميع نهاره»[١].

وقال كذلك في فضل هذا الحديث العظيم: «قد ثبت أن مَنْ أعتقَ رقبةً أعتق الله بكل عضوٍ منها عضوًا منه من النار! فقد حصل بعتق رقبةٍ واحدةٍ تكفيرُ جميع الخطايا، مع ما يبقى له من زيادة عتق الرقاب الزائدة على الواحدة، ومع ما فيه من زيادة مئة درجة، وكونه حرزًا من الشيطان»[٢].

٥٠- سبحان الله العظيم.. سبحان الله وبحمده:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده**»[٣].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال حين يُصبح وحين يُمسي: سبحان الله وبحمده، مئة مرة، لم يأتِ أحدٌ يوم القيامة**

والتسبيح والدعاء (٨/ ٦٩).

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٧/ ١٧).

(٢) المصدر السابق (١٧/ ١٨).

(٣) رواه البخاري ومسلم، واللفظ للأول. البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح (٧/ ١٦٨) مسلم، كتاب الدعوات.. فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٨/ ٧٠).

بأفضل مما جاء به، إلَّا أحدٌ قال مثلما قال أو زاد عليه»[١].

وقوله: «**حبيبتان إلى الرحمن**».. خُصَّ «**الرحمن**» من الأسماء الحسنى للتنبيه على سعة رحمة الله، حيث يُجازى على العمل القليل بالثواب الجزيل، ولما فيها من التنزيه والتحميد والتعظيم[٢].

٥١- سبحان الله وبحمده ومغفرة الذنوب:

• عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة، حُطَّتْ عنه خطاياه وإن كانت مثل زَبَد البحر**»[٣].

٥٢- فضل الصلاة على النبي ﷺ:

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ صَلَّى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليها بها عشرًا**»[٤].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى عليَّ واحدةً صلَّى الله عليه عشرًا**»[٥].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الدعوات، باب فضل التهليل، (٨/ ٦٩).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٢٠٨).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري رقم (٦٤٠٥)- كتاب الدعوات- باب فضل التسبيح (١١/ ٢٠٦)، ومسلم برقم (٢٦٩١) في كتاب الذكر والدعاء- باب فضل التهليل والتسبيح (٤/ ٢٠٧١).

(٤) أخرجه مسلم (٣٨٤)- كتاب الصلاة- باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي (١/ ٢٨٨)، وأخرجه أيضًا برقم (٤٠٨) من حدث أبي هريرة (١/ ٣٠٦).

(٥) رواه أحمد مسلم (٤٠٨)- كتاب الصلاة- باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد (١/ ٣٠٦)، وأبو داود، والترمذي والنسائي.

وصلاة الله على العبد: رحمتُه وتضعيفُ أجره[1].

فيا له من أجر عظيم عظيم عظيم لا تُحيط به الكَلِمات!!! أضف إلى ذلك بقية الأجر العظيم الذي جاء في أحاديث أخرى سبق بيانها.

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صَلَّى عليَّ واحدة، صلَّى الله عليه عشر صلواتٍ، وحَطَّ عنه عشر خطيئاتٍ، ورفعَ له عشر درجات»**[2].

٥٣- دعاءُ السُّوق:

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ دخل السُّوق فقال: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له المُلك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف درجة، وبنى له بيتًا في الجنة»**[3].

فيا لله ما أرحم مالك الملوك، وما أعظمه وأكرمه!!!

دعاء لا يستغرق ثانيتيْن من الزمان يكون له هذا الأجر العظيم الذي لا تُحيط بكنهه العقول والألباب.

---

(١) نقله النووي في «شرح صحيح مسلم» (٤/ ١٢٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد، والبخاري في «الأدب»، والنسائي، والحاكم في «المستدرك»، وابن حبّان وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٩٢٢)، و«صحيح الجامع» (٦٣٥٩).

(٣) حسن: رواه أحمد، والترمذي وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» عن ابن عمر، وحسَّنه الألباني في «تخريج المشكاة» (٢٩٥٤)، و«صحيح الجامع» (٦٢٣٢).

٥٤- في الاستغفار وفضله:

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلَّا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثًا، غُفِرَت له ذنوبه وإن كان فارًّا من الزَّحْف»(١).

٥٥- من قال: لا إله الله مخلصًا:

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلَّا الله مُخلصًا دخل الجنة»(٢).

• وقال ﷺ: «من شهد أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله حرَّم الله عليه النار»(٣).

٥٦- دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب:

• عن صفوان بن عبد الله بن صفوان قال: قدمتُ الشام، فأتيتُ أبا

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٥١٧) (٢/ ٨٥)- كتاب الصلاة- باب الاستغفار، والترمذي (٣٥٧٧) (٥/ ٥٦٩)، والطبراني في «الكبير» (٤٦٧٠) (٥/ ٨٩)، والحاكم – واللفظ له- وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي في كتاب الدعاء (١/ ٥١١)، ورواه ابن أبي شيبة (٢٩٤٤٩) من حديث معاذ ابن جبل رضي الله عنه، ومن حديث أبي سعيد الخدري (٢٩٤٤٧) وفيه «خمس مرات» وفي آخره «وإن كان عليه مثل زبد البحر»، وذكره الحافظ أبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» برقم (٢١٨)، (١/ ١٧١)، والمنذري برقم (٢٥١٩) (٢/ ٤٧٠) وقال: إسناده جيِّد.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٢٣٦)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٢٠٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥٤)، ورواه البزار عن أبي سعيد، وأبو نعيم في «الحلية» عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٣٣)، و«الصحيحة» (٢٣٥٥).

(٣) رواه مسلم (٢٩) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

الدرداء رضي الله عنه في منزله فلم أجده، ووجدتُ أم الدرداء رضي الله عنها، فقالت: أتريد الحجَّ العام؟ فقلت: نعم. قالت: فادعُ الله لنا بخير، فإن النبي ﷺ كان يقول: «**دعوة المرءِ المسلمِ لأخيه بظهر الغيب مستجابةٌ، عند رأسه مَلَكٌ موكَّلٌ، كلما دعا لأخيه بخيرٍ قال المَلَك الموكَّل به: آمين، ولكَ بِمِثْلٍ**».

قال: فخرجتُ إلى السوق، فلقيتُ أبا الدرداء رضي الله عنه، فقال لي مثل ذلك، يرويه عن النبي ﷺ [(١)].

٥٧- الحمد على الطعام واللباس:

• عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أكلَ طعامًا، ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام، ورزقنيه من غير حَوْلٍ مني ولا قوة، غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه، ومن لبس ثوبًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورَزَقَنيه من غير حول مني ولا قوة غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر**»[(٢)].

٥٨- عيادة المريض واستغفار الملائكة:

• عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من أتى أخاهُ المسلم عائِدًا، مشى في خرافة الجنة حتى يجلس، فإذا جلس**

---

(١) رواه مسلم - واللفظ له- كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٨/ ٨٦- ٨٧)، ورواه أبو داود ويظهر الغيب، معناه في غيبة المدعو له وفي سِرِّه؛ لأنه أبلغ في الإخلاص.

(٢) حسن: رواه أحمد (٣/ ٤٣٩)، وأبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٣٤٥٨)، والنسائي، وابن ماجه (٣٢٨٥)، والحاكم، وصححه، وحسَّنه الألباني في «الإرواء» (١٩٨٩)، «الكلم الطيب» (١٨٧)، و«صحيح الجامع» (٦٠٨٦).

غمرته الرحمة، فإن كان غُدوة، صلَّى عليه سبعون ألف مَلَكٍ حتى يمسي، وإن كان مساءً، صَلَّى عليه سبعون ألف ملك حتى يُصبح»[١].

• وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من عاد مريضًا لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس، فإذا جَلَسَ غُمِرَ فيها»[٢].

٥٩- تنحية الأذى من طريق الناس:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لقد رأيتُ رَجُلًا يتقلَّبُ في الجنة، في شجرةٍ قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس»[٣].

• وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَرّ رجلٌ بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله لأُنَحِيَنَّ هذا عن المسلمين، لا يُؤذيهم، فأُدخِل الجنة»[٤].

الإنفاق:

٦٠- فضل المنيحة:

• عن أبي كبشة السلولي قال: سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «أربعون خَصْلَةً، أعلاهنَّ مَنِيحَةُ العَنْزِ، ما من عاملٍ يعملُ بخَصْلَةٍ منها رجاءَ ثوابها وتصديقَ موعودها إلَّا أدخله الله بها الجنة».

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٨١)، وأبو داود (٣١٠٠)، وابن ماجه (١٤٤٢)، والحاكم (١/ ٣٤٩)، والبيهقي (٣/ ٣٨٠)، وفي «شعب الإيمان» (٨٧٤٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٣٠٤) وابن أبي شيبة (٣/ ٢٣٤)، وابن حبان (٢٩٥٦- الإحسان)، والحاكم (١/ ٣٥٠) وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبي، والبيهقي (٣/ ٣٨٠).

(٣) رواه مسلم (١٩١٤).

(٤) رواه مسلم (١٩١٤).

□ قال حسان[١]: «فعددنا ما دون منيحة العنز، من ردِّ السلام، وتشميت العاطس، وإماطة الأذى عن الطريق ونحوه، فما استطعنا أن نَبْلُغَ خمس عشرةَ خَصْلَةً»[٢].

٦١- الساعي على الأرملة والمسكين:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**»، وأحسبه قال[٣]: «**وكالقائم لا يَفْتُرُ، وكالصائم لا يُفْطِر**»[٤].

المراد بالساعي: الكاسب لهما، العامل لمؤنتهما.

٦٢- كافلُ اليتيم:

• عن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ قال: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**»، وقال بإصبعيه السَّبَّابة والوسطى[٥].

كافل اليتيم: القائم بأموره: من نفقة، وكسوة، وتأديب، وتربية، وغير ذلك. وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه، أو من مال اليتيم

---

(١) هو حسَّان بن عطية راوي الحديث عن أبي كبشة.

(٢) رواه البخاري – كتاب الهبة– باب فضل المنيحة. والمنيحة: هي الناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها، ثم يردها عليك.

(٣) «وأحسبه قال» هو من لفظ عبد الله بن مسلمة القَعْنَبِي الذي روى عنه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري – كتاب الأدب– باب الساعي على المسكين (٧/ ٧٧)، ومسلم – واللفظ له– كتاب الزهد– باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (٨/ ٢٢١).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري واللفظ له – كتاب الأدب– باب فضل من يعول يتيمًا (٧/ ٦٧)، ومسلم –كتاب الزهد– باب الإحسان إلى الأرملة واليتيم (٨/ ٢٢١).



بولاية شرعية[١].

□ ونقل ابن حجر قول ابن بطَّال: «حَقٌّ على من سَمِع هذا الحديث أن يعمل به؛ ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك».

قال ابن حجر: «ويحتمل أن يكون المرادُ قُرْب المنزلة حالة دخوله الجنة»[٢].

٦٣- التصافح بين المسلمين:

• عن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مُسْلِمَيْن يلتقيان فيُسَلِّم أحدُهما على صاحبه، ويأخذ بيده لا يأخذ بيده إلَّا لله، فلا يفترقان حتى يُغفرَ لهما**»[٣].

• وعن صدي بن عجلان أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا تصافح المسلمان لم تُفرَّق أَكُفُّهُمَا حتى يُغفرَ لهما**»[٤].

٦٤- رحمة البهائم:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما كلب يُطيف بَرَكِيَّةٍ**[٥] **كادَ يقتله العطش، إذْ رأته بَغِيٌّ من بغايا بني إسرائيل، فنزعت**

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨/ ١١٣).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٤٣٦).

(٣) حسن: أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٥٢٥)، و«صحيح الجامع» (٥٧٧٦).

(٤) حسن: أخرجه الطبراني في «الكبير»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٥٦/ ٥٢٥).

(٥) الركية: البئر.

موقها[١]، فاستقت له به، فَغُفِر لها»[٢].

٦٥- الأجرُ على الزرع والغرس:

• عن أنس بن ملك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يزرع زرْعًا، أوْ يغرس غرسًا، فيأكلُ من طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلَّا كانت له به صدقة»[٣].

• وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا إلَّا كان ما أُكِل منه له صدقة، وما سُرِق منه صدقة، وما أكل السَّبُع فهو له صدقة، وما أكلت الطيور فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحدٌ كان له صدقة»[٤].

٦٦- إنظار المُعسِرين:

□ عن أبي اليسر ﷺ قال: «من أنظر مُعْسِرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله، يوم لا ظل إلَّا ظله»[٥].

٦٧- الذبُّ والدفاع عن أعراض المسلمين في غيبتهم:

• عن أسماء بنت يزيد ﷺ، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من ذبَّ عن عرض أخيه بالغَيْبة، كان حقًّا على الله أن يُعتقَه من النار»[٦].

---

(١) الموق: الخُف.

(٢) رواه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

(٣) رواه البخاري (٢٣٢٠)، ومسلم (١٥٥٣).

(٤) رواه مسلم (١٥٥٢).

(٥) أخرجه مسلم (٣٠٠٦).

(٦) صحيح: رواه أحمد (١/ ٤٦١)، والطبراني (٢٤/ ١٧٤)، وابن عدي في «الكامل» =

• وعن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَن ردَّ على عِرْض أخيه، ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**»، وفي لفظ: «**كان له حجابًا من النار**»[١].

الجهاد:

٦٨- عِظمُ أجر المجاهد وثوابُه:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقًّا على الله أن يُدخله الجنة، جاهد في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي وُلد فيها**». فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشِّر الناس؟!. قال: «**إن في الجنة مئة درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة**»، أراه قال: «**وفوقه عرش الرحمن، ومنه تَفَجَّرُ أنهار الجنة**»[٢].

«**وجلس في بيته**» فيه تأنيس لمن حُرم الجهاد، وأنه ليس محرومًا من الأجر، بل له من الإيمان والتزام الفرائض ما يوصله إلى الجنة، وإن قصر عن درجة المجاهدين.

□ واستنتج ابن حجر من ظاهر الحديث أن المراد: لا تبشر الناس بما

(٥/ ٥٢٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٦٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ٤٩٥)، وصححه الألباني في «غاية المرام» (٤٣١)، و«صحيح الجامع» (٦٢٤٠).

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في «غاية المرام» (٤٣١)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٢٦٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله (٣/ ٢٠١- ٢٠٢).

ذكرته من دخول الجنة لمن آمن وعمل الأعمال المفروضة عليه؛ فيقفوا عند ذلك ولا يتجاوزوه إلى ما هو أفضل منه من الدرجات التي تحصل بالجهاد.

و«الأوسط»: الأعدل والأفضل.

وفي الحديث إشارة إلى أن درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد، إما بالنية الخالصة، أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة؛ لأنه ﷺ أمر الجميع بالدعاء بالفردوس بعد أن أعلمهم أنه أعد للمجاهدين.. [(١)].

٦٩- فضل الغُبار في سبيل الله:

• عن أبي عَبْسٍ عبد الرحمن بن جبر، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما اغبرَّت قدما عبدٍ في سبيل الله فتَمسَّه النار**»[(٢)].

□ قال الحافظ ابن حجر: «فإذا كان مجرد مَسِّ الغبارِ للقدم يحرم عليها النار، فكيف بمن سعى وبذل جهده واسْتَنْفَدَ وسعه؟!»[(٣)].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما خالط قلبَ امرئ - مسلم- رَهْجٌ في سبيل الله، إلَّا حَرَّم الله عليه النار**»[(٤)].

• وعن أبي عبس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اغْبَرَّت قدماه في سبيل الله، حرَّمه الله على النار**»[(٥)].

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ١٢- ١٣).

(٢) أخرجه البخاري - كتاب الجهاد والسير، باب من اغبرَّت قدماه في سبيل الله (٣/ ٢٠٧).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٣٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٦١٦).

(٥) رواه أحمد، والبخاري، والترمذي، والنسائي.

□ قال الحافظ ابن حجر: «دلَّ الحديث على أن من اغبرَّت قدماه في سبيل الله حرَّمه الله على النار، سواءٌ باشر قتالًا أم لا»[(١)].

وزاد الإسماعيلي: «فتمسه النار أبدًا».

وأخرج ابن حبان من حديث جابر، أنه كان في غزاةٍ فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ... فذكر نحو الحديث السابق.

قال: فتواثب الناس عن دوابِّهم، فما رُئي أكثر ماشيًا من ذلك اليوم.

٧٠- فضل الجهاد بالمال في سبيل الله تعالى:

• عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل بناقةٍ مخطومة فقال: هذه في سبيل الله[(٢)]. فقال رسول الله ﷺ: «**لكَ بها يوم القيامة سبعُمئة ناقةٍ كُلُّها مخطومة**»[(٣)].

ويحتمل أن المراد: له أجرُ سبعمئة ناقة..

ويحتمل أن يكون على ظاهره، ويكون له في الجنة بها سبعمئة، كل واحدة منهن مخطومة يركبهن حيث شاء للتنزه، كما جاء في خيل الجنة ونُجبها، وهذا الاحتمال أظهر. والله أعلم[(٤)].

٧١- من قاتل في سبيل الله فُواق ناقةٍ:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مرَّ رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) «الفتح» (٦/ ٣٦).
(٢) يعني في الجهاد.
(٣) رواه مسلم- كتاب الإمارة- باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها (٦/ ٤١).
ومخطومة: أي فيها خِطام، وهو قريب من الزِّمام.
(٤) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٣/ ٣٨).

بِشِعْبٍ فيه عُيَيْنَةٌ [١] من ماء عذبةٌ، فأجتبه لطيبها، فقال: لو اعتزلتُ الناس فأقمتُ في هذا الشِّعب [٢]، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**لا تفعل، فإن مُقام أحدكم في سبيل الله أفضلُ من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويُدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فُواق** [٣] **ناقةٍ وجبت له الجنة**» [٤].

٧٢- من جهَّز غازيًا، أو خَلَفَه بخيرٍ في أهله:

• عن زيد بن خالد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من جهَّزَ غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خَلَفَ غازيًا في سبيل الله فقد غزا**» [٥].

يعني أن الذي جهَّز غازيًا حصل له أجر بسبب الغزو. وهذا الأجر يحصل بكل جهاد، وسواء قليلُه وكثيره، ولكل خالف له في أهله بخير، من قضاء حاجة لهم، وإنفاقٍ عليهم، أو مساعدتهم في أمرهم. ويختلف قدر الثواب بقلة ذلك وكثرته. وفي هذا الحديث الحثُّ على الإحسان إلى

(١) العُيَيْنة: تصغير عين، بمعنى المنبع.

(٢) الشِّعْب: ما انفرج بين الجبليْن.

(٣) الفُواق: ما بين الحَلْبتيْن من الوقت، أوْ ما بين فتح يديك وقبضها على الضَّرْع انظر «تحفة الأحوذي» (٣/ ١٤).

(٤) رواه الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغدوِّ والرَّواح في سبيل الله، رقم (١٦٤٨) (٤/ ١٨١)، وقال: «حديث حسن». زاد في «تحفة الأحوذي»: وأخرجه الحاكم، وقال: «صحيح على شرط مسلم» (٣/ ١٤).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري - واللفظ له - كتاب الجهاد، باب فضل من جهَّز غازيًا أو خلفه بخير (٣/ ٢١٤)، ومسلم - كتاب الإمارة - باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير (٦/ ٤١).

من فعل مصلحةً للمسلمين أو قام بأمر من مهماتهم [١].

٧٣- الرِّباط في سبيل الله:

• عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**رِباطُ يومٍ وليلةٍ خيرٌ من صيام شهر وقيامِه، وإن مات جرى عليه عملُه الذي كان يعمله، وأُجريَ عليه رزقه، وأَمِنَ الفُتَّان**» [٢].

أصل الرِّباط: ما تربط به الخيل، ثم قيل لكل أهل ثغر: «أي جبهة» يدفع عمن خلفه: رباط.

□ قال الإمام النووي في هذا الحديث: «هذه فضيلة ظاهرة للمرابط، وجريانُ عمله عليه بعد موته فضيلة مختصَّة به لا يشاركه فيها أحد. وقد جاء صريحًا في غير مسلم: «**كل ميت يختم عمله إلَّا المرابط، فإنه يُنمى له عمله إلى يوم القيامة**» [٣].

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٣/ ٤٠).

(٢) رواه مسلم – كتاب الإمارة– باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل (٦/ ٥١).

(٣) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٣/ ٦١)، أما قوله ﷺ الذي رواه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عملُه إلَّا من ثلاثة: إلَّا من صدقة جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له». فقد قال في معناه: «قال العلماء: معنى الحديث أنَّ عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجددُ الثواب له إلَّا في هذه الأشياء الثلاثة، لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلَّفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية، وهي الوقف..» «صحيح مسلم بشرح النووي» (١١/ ٨٥).

ولفظ الحديث الذي أورده النووي في الترمذي: «كل ميت يُختَم على عمله إلَّا الذي مات مرابطًا في سبيل الله، فإنه يُنْمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر». وقال: حديث حسن صحيح. كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات

=

قوله: «وأجرى عليه رزقه» موافق لقول الله تعالى في الشهداء: ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران].

٧٤- من سأل الشهادة بصدق:

• عن سهل بن حنيف أن النبيَّ ﷺ قال: «**من سأل الله الشهادة بصدقٍ بَلَّغَهُ اللهُ منازلَ الشهداءِ، وإن مات على فراشه**»[(١)].

يعني أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطي من ثواب الشهداء، وإن كان على فراشه، وفيه استحباب سؤال الشهادة، واستحباب نية الخير[(٢)].

٧٥- عَمِلَ يسيرًا وأُجِرَ كثيرًا:

• عن البراء رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ من بني النَّبِيْت - قبيلٍ من الأنصار - فقال: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنك عبدُه ورسولُه. ثم تقدَّم فقاتل حتى قُتل، فقال النبيّ ﷺ: «**عَمِلَ هذا يسيرًا وأُجِرَ كثيرًا**»[(٣)].

فيه شهادة منه ﷺ له بإحرازه المرتبة العظمى والدرجة العليا، وهذا قد يوجد في بعض الأعمال، مثل كلمة التوحيد؛ فإنها لا يزنها شيء من الأعمال.

٧٦- المائد في البحر له أجرُ شهيد:

• عن أم حرام رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**للمائد أجْرُ شهيدٍ،**

مرابطًا رقم (١٦٢٢) (٤/ ١٦٥).

(١) رواه مسلم- كتاب الإمارة، باب استحباب الشهادة في سبيل الله تعالى (٦/ ٤٩).

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٣/ ٥٥).

(٣) رواه مسلم - كتاب الإمارة- باب ثبوت الجنة للشهيد (٦/ ٤٤).

وللغريقِ أجرُ شهيديْن»[١].

• وعن أم حرام رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«المائدُ في البحر الذي يُصيبه القَيءُ له أجر شهيد، والغريق له أجر شهيديْن»**[٢].

□ قال المناوي: «**للمائد**» أي: الذي يلحقه دوران رأسه من ريح البحر واضطراب السفينة، مِن ماد يميد: إذا دار رأسه.

«**أجر شهيد، وللغريق أجر شهيدين**»، قال المظهر: «هذا إن رَكِبه لنحو طاعةٍ؛ كغزو وحجٍّ وطلب علمٍ، وكذا التجارة، ولا طريق له غيره، وقَصْد طلب القوت لا زيادة ماله»[٣].

٧٧- المتمسِّك بالسُّنَّة في وقت الفِتن:

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ مِن ورائكم زمانَ صَبْرٍ، للمتمسِّك فيه أجر خمسينَ شهيدًا منكم»**[٤].

• وعن عتبة بن غزوان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ من ورائكم أيامَ الصَّبر، للمتمسِّك فيهنَّ يومئذٍ بما أنتم عليه، أجر خمسين منكم»**. قالوا: يا نبي الله، أوْ مِنهم؟ قال: **«بل منكم»**[٥].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن أم حرام، ورواه أبو داود، والحميدي، وابن معين، والدولابي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٨٧).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٤٢).

(٣) «فيض القدير» للمناوي (٥/ ٢٩١).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود، وقال الألباني في «الصحيحة» (١/ ٢٦٨): «إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم وصححه في «صحيح الجامع» رقم (٢٢٣٤).

(٥) صحيح: صحَّحه الألباني بشواهده في «الصحيحة» رقم (٤٩٤) (١/ ٢٦٨).

٧٨- العبادة في الهرج والفتنة تغفر الذنوب المتقدِّمة:

• عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما عَلِمت أَنَّ الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدِم ما كان قبلها، وأن الحج يهدمُ ما كان قبله**»[١].

• وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عبادة في الهَرْج والفتنة كهجرةٍ إليَّ**»[٢].

• وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العبادة في الهَرْج كهجرة إليَّ**»[٣].

□ قال المناوي: «**العبادة في الهَرْج**» أي: وقت الفتن واختلاط الأمور، «**كهجرة إليَّ**» في كثرة الثواب، أوْ يُقال: المهاجر في الأوَّل كان قليلًا؛ لعدم تمكُّنِ أكثر الناس من ذلك، فهكذا العابد في الهرج قليل».

□ قال ابن العربي: «وجه تمثيله بالهجرة: أن الزمن الأول كان الناس يفرُّون فيه من دار الكفر وأهله إلى دار الإيمان وأهله، فإذا وقعت الفتن تعيَّن على المرء أن يفرّ بدينه من الفتنة إلى العبادة، ويهجر أولئك القوم وتلك الحالة، وهو أحد أقسام الهجرة»[٤]، فالعبادة في الهرْج تغفر ما تقدَّم من الذنوب مثل الهجرة.

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه».

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٩٧٤).

(٣) رواه مسلم، وأحمد، والترمذي، وابن ماجه.

(٤) «فيض القدير» للمناوي (٤/ ٣٧٣).

المعاملاتُ والأخلاق:

٧٩- إصلاحُ ذاتِ البَيْن:

• عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضلَ من درجة الصيام والصلاة والصَّدَقة؟**». قالوا: بلى. قال: «**صلاح ذات البين، فإن فساد ذاتِ البين هي الحالقة**»[(١)].

□ قال الترمذي: «هذا حديث صحيح، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «**هي الحالقة، لا أقول تَحْلِق الشَّعَر، ولكن تحلق الدِّين**».

المراد بالصيام والصلاة هنا النوافل دون الفرائض.

والحالقة: الخصلة التي من شأنها أن تَحْلِقَ، أي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر.

وقيل: هي قطيعة الرَّحِم والتظالم.

وفيه حث وترغيب في إصلاح ذات البين، واجتناب عن الإفساد فيها؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله.

وعدم التفرق بين المسلمين. وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجةً فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه..[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي (٢٥٠٩) (٤/ ٦٦٣)- واللفظ له-، وأبو داود، وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٩٥)، و«غاية المرام» (٤١٤)، و«تخريج المشكاة» (٥٠٣٨).

(٢) «تحفة الأحوذي» (٣/ ٣٢٠).

٨٠- التجاوز عن المُعْسِر:

• عن أبي مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُوسِب رجلٌ ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء، إلَّا أنه كان يخالط الناس – وكان موسرًا- فكان يأمر غِلمانه أن يتجاوزوا عن المُعْسِر، قال: قال الله ﷻ: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه**»(١).

• وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**كان تاجر يداين الناسَ، فإذا رأى مُعْسِرًا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه**»(٢).

□ قال الإمام النووي: «التجاوز والتجوز معناهما المسامحة في الاقتضاء والاستيفاء، وقبول ما فيه نقص يسير.. وفي هذه الأحاديث فضل إنظار المعسر، والوضع عنه، إمَّا كل الدَّيْن، وإما بعضه، من كثير أو قليل»(٣).

٨١- من كان سَهْلا هيِّنًا ليِّنا:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن كان سَهْلًا هيِّنًا ليِّنًا، حرَّمهُ الله على النار**»(٤).

---

(١) رواه مسلم، كتاب البيوع، باب فضل إنظار المعسر (٥/ ٣٢).

(٢) «صحيح البخاري»، كتاب البيوع، باب من أنظر معسرًا (٣/ ١٠).

(٣) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٠/ ٢٢٤).

(٤) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» وصححه، ورواه البيهقي في «السنن»، والطبراني في «الأوسط»، والعقيلي في «الضعفاء»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٨)، و«صحيح الجامع» (٦٤٨٤).

٨٢- حُسْنُ الخُلُق:

• عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما شيءٌ أثقلُ في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُقٍ حسن، وإن الله لَيَبْغَضُ الفاحش البذيء**»[1].

☐ وروى الترمذي في المصدر السابق عن عبد الله بن المبارك أنه وصف حسن الخُلق فقال: هو بسط الوجه، وبذلُ المعروف، وكفُّ الأذى.

«**ما شيء**» أي ثوابه.

«.. **من حسن الخلق**»، أي: أن الله يحبه ويرضى عن صاحبه.

«**الفاحش**»: الذي يتكلم بما يُكره سماعه، أو من يرسل لسانه بما لا ينبغي.

والبذيء: هو المتكلم بالفُحش[2].

٨٣- تنفيس كُرُبات المسلمين، والتيسير عليهم، وسترهم، وطلب العلم، والذكر:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَفَّس عن مؤمن كُرْبَةً من كُرِبِ الدنيا نَفَّس الله عنه كربةً من كُرَبِ يوم القيامة. ومن يَسَّرَ على معسرٍ يَسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة. ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه. ومن سلك**

(١) صحيح: رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حُسن الخُلُق رقم (٢٠٠٢) (٤/ ٣٦٢) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٧٦)، و«صحيح الجامع» (٥٦٣٢).

(٢) «تحفة الأحوذي» (٣/ ١٤٥).

طريقًا يلتمس فيه علمًا سَهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة. وما اجتمع قوم في بيتٍ من بيوتِ الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلَّا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده. ومن بطَّأ به عملُه لم يسرع به نسبه»[1].

□ قال الإمام النووي: «وهو حديث عظيم، جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب..

ومعنى نَفَّس الكربة: أزالها، وفيه فضلُ قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسَّر من علم، أو مال، أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة، وغير ذلك..

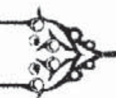
وفضل المشي في طلب العلم، ويلزم من ذلك الاشتغال بالعلم الشرعي، بشرط أن يقصد به وجه الله تعالى، وإن كان هذا شرطًا في كل عبادة، لكن عادة العلماء يقيدون هذه المسألة به لكونه قد يتساهل فيه بعض الناس، ويغفل عنه بعض المبتدئين ونحوهم.

قوله ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله..**». يلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماعُ في مدرسة ورباط ونحوهما إن شاء الله تعالى، ويكون التقييد في الحديث خرج مخرج الغالب، لا سيما في ذلك الزمان.

«**من بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه**» معناه: من كان عمله ناقصًا لم يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال، فينبغي أن لا يتكل على شرف النسب

---

(١) رواه أحمد، ومسلم- كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٨/ ٧١)،ورواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجهه.



وفضيلة الآباء ويقصر في العمل[١].

٨٤- الاجتماع على الذِّكر:

• عن سهل بن الحنظليَّة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمع قومٌ على ذكرٍ فتفرَّقوا عنه، إلَّا قيل لهم: قوموا مغفورًا لكم**»[٢].

• وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما جلسَ قومٌ يذكرون الله تعالى فيقومون، حتى يُقال لهم: قوموا قد غفر الله لكم ذنوبكم، وبُدِّلَت سيئاتكم حسنات**»[٣].

• وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما جلس قومٌ يذكرون الله تعالى، إلَّا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا مغفورًا لكم**»[٤].

٨٥- إفشاء السلام:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أَوَلَا أدُلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أَفشُوا السلام بينكم**»[٥].

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٧/ ٢١- ٢٣).

(٢) صحيح: رواه الحسن بن سفيان عن سهل، ورواه الطبراني في «الكبير»، وأحمد في «مسنده»، والطبراني في «الصغير» عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٠٧).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، والضياء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٦١٠).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والضياء، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٦٠٩).

(٥) أخرجه مسلم (٥٤)- كتاب الإيمان- باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلَّا المؤمنون.

٨٦- حُبِّ الله تعالى وحب رسوله ﷺ:

• عن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، متى الساعة؟ قال: «**وما أَعْدَدْتُ للساعة؟**»، قال: حب الله ورسوله، قال: «**فإنك مع من أحببت**»[١].

قال أنس رضي الله عنه: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشدَّ من قول النبي ﷺ: «**فإنك مع من أحببت**».

قال أنس رضي الله عنه: «فأنا أحبُّ الله رسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم».

وفي رواية: حين قال رسول الله ﷺ: «**وما أعددتَ لها؟**» قال الرجل: ما أعددتُ لها كثيرَ صلاةٍ ولا صيامٍ ولا صدقة، ولكني أحبُّ الله ورسوله.

وفي رواية: ما أعددتُ لها من كثير أحمد عليه نفسي.

٨٧- البراءة مِن الشِّرْك:

• عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشِّرْكُ فيكم أخفى من دبيب النَّمْل، وسَأَدُلُّك على شيء إذا فعلتهُ أذهب الله عنكَ صغار الشِّرْك وكبارَه، تقول: اللهم إني أعوذُ بك أن أُشرِك بكَ وأنا أعلمُ، وأستغفِرُكَ لما لا أعْلَمُ**»[٢].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦١٧١) (١٠/ ٥٥٧)- كتاب الأدب- باب علامة الحب في الله، ومسلم (٢٦٣٩) (٤/ ٢٠٣٢)- كتاب البر والصلة والآداب- باب المرءُ مع من أحبَّ.

(٢) صحيح: أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»- الأصل (٢٧٤) الرابع

٨٨- العمل الصالح في عشر ذي الحِجَّة:

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام»** -يعني: أيام العشر- قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: **«ولا الجهاد في سبيل الله إلَّا رجلٌ خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء»**(١).

٨٩- الابتلاء:

• عن أبي سعيد الخدري، وعن أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«ما يصيب المسلم من نَصَب(٢)، ولا وَصَبٍ(٣) ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أذى ولا غمٍّ، حتى الشوكة يشاكها، إلَّا كفَّر الله بها من خطاياه»**(٤).

٩٠- الصبر على من فَقَدَ بصرَه:

• قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله تعالى: يا ابن آدم، إذا أخذتُ كَرِيمَتَيْكَ، فصبرتَ واحتسبت عند الصَّدمَةِ الأولى؛ لم أرض لك ثوابًا دون**

والسبعون والمائتان (٢/ ٣٧٢)، وأخرجه أحمد في «المسند» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه (٤/ ٤٠٣)، وكذا الطبراني كما في «فيض القدير» (٤/ ١٧٣)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٧٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٦٩٤) رقم (٣٧٣١).

(١) أخرجه البخاري، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، والطبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عباس.

(٢) النَّصَب: التَّعَبُ.

(٣) الوَصَب: دوام الوجع ولزومه، ويطلقُ على التعب والفتور في البدن.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري -واللفظ له- (٦٥٤١، ٥٦٤٢) (١٠/ ١٠٣)- كتاب المرضَى- باب ما جاء في كفَّارة المرض (١٠/ ١٠٣)، ومسلم (٢٥٧٣) (٤/ ١٩٩٢، ١٩٩٣)- كتاب البر والصلة- .

الجنة»[(١)].

• وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: مَن أذهبتُ حبيبتيْه فصبر واحتسب؛ لم أرضَ له ثوابًا دون الجنة»[(٢)].

٩١- من صبر على فقْدِ صَفِيِّه:

□ قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «والصَفِيُّ: أعمُّ من أن يكونَ ولدًا أم غيره»[(٣)].

• قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: ما لِعبدي المؤمن عندي جزاءٌ، إذا قبضتُ صَفِيَّه من أهل الدنيا، ثم احتسبه؛ إلَّا الجَنَّة»[(٤)].

٩٢- من حَمِدَ الله واسترجع عند فَقْدِ الوَلَد:

• عن أبي موسى رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ماتَ وَلَدُ العَبْدِ، قال الله تعالى لملائكته: قبضتم وَلَدَ عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرةَ فؤاده؛ فيقولون: نعم. فيقول: فماذا قال عبدي؟ فيقولون: حَمَدَكَ واسترجع. فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجَنَّة وسَمُّوهُ بيْتَ الحمد»[(٥)].

---

(١) رواه أحمد، ومسلم عن أبي أمامة.

(٢) صحيح: رواه الترمذي عن أبي هريرة، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨١٤٠).

(٣) «فتح الباري» (١١/ ٢٤٧).

(٤) رواه أحمد والبخاري عن أبي هريرة.

(٥) حسن: رواه الترمذي، وحسَّنه، وصحَّحه ابن حبان، وحَسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٩٥).

٩٣- من مات له ثلاث أو اثنان من الوَلَد:

• عن واثلة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن دفن ثلاثة من الولد، حَرَّم الله عليه النار**»(١).

□ قال المناوي: «أيْ من أولاده ذكورًا أو إناثًا، ولعلَّ المُراد من أولاد الصُّلْبِ، ويحتمل شموله لأولاد الأولاد، «**حرَّم الله عليه نار جهنمِ**» بأن يدخل الجنة من غير عذاب بالكُلِيَّة»(٢).

• وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنكُنَّ امرأة تُقَدِّم بين يديْها ثلاثة من ولدها، إلَّا كانوا لها حجابًا من النار**». قالت امرأة: واثنين؟ قال: «**واثنين**»(٣).

٩٤- الصَّلاة ببيت المقدس:

• عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن سليمان بن داود لَمَّا بنى بيت المقدس، سأل الله عَزَّ وَجَلَّ خِلالًا ثلاثة: سأل الله حُكمًا يُصادِف**(٤) **حُكْمَه فأُوتيه، وسأل الله مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده فأوتيه، وسأل الله – حين فرغ من بناء المسجد- أن لا يأتيه أحد لا ينهزه**(٥) **إلَّا الصلاة فيه، أن يُخرجه مِن خطيئته كيوم ولدته أُمُّه، أما اثنتان فقد أُعطيهما، وأرجو أن**

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٣٨).

(٢) «فيض القدير» للمناوي (٦/ ١٢٦).

(٣) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم.

(٤) أيْ: يوافِق حكمه.

(٥) لا ينهزه: أي، لا يدفعه.

يكونَ قد أُعْطِيَ الثالثة»[١].

٩٥- من دَعَا إلى الهُدَى والخير:

• عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومَن دَعَا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»[٢].

• وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فعُمِل بها بعده، كُتِب له مِثْلُ أجرِ من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة فعُمِل بها بعده، كُتب عليه مثل وِزْر من عَمِل لها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»[٣].

٩٦- مُعَلِّمُ الناس الخير:

• قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكتَه، حتَّى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر، ليُصَلُّون على مُعَلِّم الناس الخير»[٤].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده»، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبّان، والحاكم في «المستدرك» وصححه، وأخرجه أيضًا بن خزيمة، وابن عساكر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٩٠).

(٢) رواه أحمد، ومسلم (١٠١٧)- كتاب العلم- (٤/ ٢٠٥٩)- وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

(٣) رواه أحمد، ومسلم (٢٦٧٤)- كتاب العلم (٤/ ٢٠٦٠)، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والضياء عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٨٣٨).

• وقال رسول الله ﷺ: «مُعَلِّمُ الخير يستغفر له كُلُّ شيءٍ حتى الحيتان في البحرِ»(١).

٩٧- مَن خُتِم له بصيام يوم:

• قال رسول الله ﷺ: «مَن خُتِم له بصيام يومٍ دخل الجنَّة»(٢).

▫ قال المناوي: «أي: مَن خَتَم عمره بصيام يوم؛ بأنْ مات وهو صائمٌ، أوْ بَعْد فِطرِه من صَوْمِه. «دخل الجنة» أيْ: مع السابقين الأوَّلين، أوْ مِنْ غير سبق عذاب»(٣).

٩٨- قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر:

• عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبرُ، تنفُض الخطايا، كما تنفضُ الشجرة ورَقها»(٤).

▫ قال المناوي: «إن سبحان الله» أي: قول سبحان الله بإخلاصٍ وحضور ذهْن، وهكذا في الباقي «والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر تنفض» أي: تُسقِط «الخطايا» عن قائلها «كما تنفض الشجرة ورقها»؛

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» عن جابر، والبزار عن عائشة، والترمذي عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (ص٧٩)، و«صحيح الجامع» (٥٨٨٣).

(٢) صحيح: رواه البزَّار عن حُذيفة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٢٤).

(٣) «فيض القدير» للمناوي (٦/ ١٢٣).

(٤) حسن: رواه أحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤٣٦).

تحقيقًا لمحو جميع الخطايا. والمراد بهذا وما أشبهه الصغائر لا الكبائر»[(١)].

٩٩- قول: لا حول ولا قوة إلا بالله:

• عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «**قل لا حول ولا قوة إلَّا بالله، فإنها كنزٌ من كنوز الجنة**»[(٢)].

١٠٠- قول: سبحان الله عدد ما خلق، سبحان الله ملء..:

• عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: رآني النبي ﷺ وأنا أُحرِّك شفتي. فقال لي: «**بأي شيء تُحرِّك شفتيك يا أبا أمامة؟**» فقلتُ: أذكر الله يا رسول الله: فقال: «**ألا أخبرك بأكثر وأفضل من ذكرك بالليل والنهار؟** قلت: بلى يا رسول الله. قال: «**سبحان الله عددَ ما خَلَق، سبحان الله ملء ما خلق، سبحان الله عدد ما في الأرض والسماء، سبحان الله ملء ما في الأرض والسماء، سبحان الله عدد ما أحصى كتابه، سبحان الله ملء ما أحصى كتابه، سبحان الله عدد كل شيء، سبحان الله ملء كل شيء، الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في الأرض والسماء، والحمد لله ملء ما في الأرض والسماء، والحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله ملء ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد كل شيء، والحمدُ لله ملء كل شيء**»[(٣)].

---

(١) «فيض القدير» (٢/ ٤٥٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٤٩) وهو حديث صحيح كما قال محقق كتاب «فضائل الأعمال» للحافظ ضياء الدين المقدسي، حديث رقم (١١٦).

١٠١- قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مئة مرَّة:

• عن أم هانئ رضي الله عنها قالت: مَرَّ بي رسول الله ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله قد كبرت وضعفت أو كما قالت، فمُرني بعمل أعمله وأنا جالسة. قال: «**سَبِّحي الله مئة تسبيحة، فإنها تعدل لك مئة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل، واحمدي الله مئة تحميدة؛ فإنها تعدل لك مئة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله، وكبِّري الله مئة تكبيرة؛ فإنها تعدل لك مئة بدنه مقلَّدة متقبلة، وهلِّلي الله مئة تهليلة. قال أبو خلف: أحسبه قال: تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع لك إلَّا أن يأتي بمثل ما أتيت**»[١].

١٠٢- قول: سبحان الله العظيم وبحمده:

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غُرِست له بها نخْلةٌ في الجنة**»[٢].

✍ **أخي:** إن اليوم والليلة ألفٌ وأربَعمئة وأربعون دقيقة كل دقيقة تغرس بها خمسين نخلة في الجنة بمعدل ثلاثة آلاف نخلة في الجنة في الساعة. وقد قال رسول الله ﷺ: «**ما من شجرة في الجنة إلَّا وساقها من خالص الذهب**»[٣]. وذهب الجنة بينه وبين ذهب الدنيا أبعد ممَّا بين السماء والأرض.

فالدنيا بذهبها وكنوزها ولآلئها لا تساوي عند الله جناح بعوضه،

---

(١) حسن: رواه أحمد، وابن ماجه، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» رقم (٣٨٧٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وابن حبَّان، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (ص٦٤)، و«صحيح الجامع» (٦٤٢٩).

(٣) جزء من حديث صحيح.

وساقُ النخيل يغرس في أرض من فضة ومسك وزعفران، ويُسقى من أنهار خمر ولبن وعسل وماء غير آسن، وثمره ألين من الزبد، وأحلى مذاقًا من العسل، ليس فيه عجم[١].

فانظر كم ضيَّعت من هذا الخير الوفير.

✍ **أخي:** لله در القائل: «الوقت سيفٌ، فإن قطعتَه وإلَّا قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحقِّ وإلَّا شغلتك بالباطل». يا لهما من كلمتين ما أنفعهما وأجمعهما وأدلَّهما على علو همَّة قائلهما ويقظته»[٢].

ساعة لربِّك فيها فلاحُك وسعدُك وأُنْسُك:

□ قال الشيخ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الواسطى المعروف بابن شيخ الحزاميين: «وليكن لنا جميعًا بين الليل والنهار ساعة نخلو فيها بربنا جل اسمه، وتعالى قدسه، نجمع بين يديه في تلك الساعة همومنا ونطرح أشغال الدنيا من قلوبنا، ونزهدُ فيما سوى الله ساعة من نهار، فبذلك يعرف الإنسان حاله مع ربه، فمن كان له مع ربِّه حال تحرَّكت في تلك الساعات عزائمه، وابتهجت بالمحبة والتعظيم سرائره، وطارت إلى العلى زفراته وكوامنه، وتلك الساعة أنموذج لحالة العبد في قبره حين خلوه عن ماله وحبِّه، فمن لم يخل قلبه ساعة من نهار لما تحوشته من الهموم الدنيوية وذوات الأصار، فليعلم أنه ليس له ثم رابطة علوية، ولا نصيب من المحبة ولا المحبوبية، فليبك على نفسه، ولا يرضَى منها إلَّا بنصيب من قُرْب ربه وأنسه، فإذا حصلت لله تلك الساعة أمكن إيقاع الصلوات

(١) العجم: النَّوَى.

(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ١٢٨) وما بعدها.

الخَمس على نمطها من الحضور والخشوع والهيبة للرب العظيم في السجود والرُّكوع. فلا ينبغي لنا أن نبخل على أنفسنا في اليوم والليلة من أربع وعشرين ساعة بساعة واحدة لله الواحد القهار، نعبده فيها حق عبادته، ثم نجتهد على إيقاع الفرائض على ذلك النهج في رعايته، وذلك طريق لنا جميعًا إن شاء الله تعالى إلى النفوذ»[١].

١٠٣- صلاة ركعتيْن لا سهو فيهما:

• عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من توضَّأ فأحسن الوضوء، ثم صلى ركعتيْن، لا يسهو فيهما، غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه»**[٢].

١٠٤- من تعارّ من الليل فدَعَا استُجِيب له، أو صلَّى قُبلت صلاته:

• عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تعارَّ [٣] من الليل، فقال حين يستيقظ: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دَعَا استُجيب له، فإن قام فتوضأ ثم صلى قُبلَت صلاته»**[٤].

---

(١) انظر إلى كتاب «العقود الدُّرِّية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» (ص١٩٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم عن زيد بن خالد الجهني، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (ص٨٤٠)، و«صحيح الجامع» (٦١٦٥).

(٣) أي: استيقظ.

(٤) رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

١٠٥- التسوُّك لقيام الليل:

• عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قام أحدكم يُصَلِّي من الليل فليستك، فإن أحدكم إذا قرأ في صلاته وَضَع مَلَكٌ فاه على فيه، ولا يخرج من فيه شيء إلَّا دَخَل فم المَلَك**»[١].

• وعن ابن شهاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قام الرجل يتوضأ ليلًا أو نهارًا فأحسن الوضوء واستنَّ، ثم قام فصلى فأطاف به المَلَكُ ودنا منه، حتى يضع فاه على فيه، فما يقرأ إلَّا في فيه، وإذا لم يستن أطاف به، ولا يضع فاه على فيه**»[٢]. فاجتماع شرف القرآن وشرف الصلاة والسواك يزيد من دُنُوِّ الأرواح القدسية، وفي هذا من الفيوض الرحمانيَّة ما فيه، والذي نفسي بيده لو لم يكن في فضيلة السواك ليلًا إلَّا هذا الحديث لكفى.

١٠٦- الفضل العظيم للفاتحة أم الكتاب والقرآن العظيم:

• عن أبي سعيد بن المعَلَّى قال: مرّ بي النبي ﷺ وأنا أُصَلِّي فدعاني فلم آته حتى صَلَّيت، ثم أتيت، فقال: ما منعك أن تأتي، فقلتُ: كنتُ أصلِّي، فقال: ألم يقل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ثم قال: «**ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد**» فذهب النبي ﷺ ليخرج من المسجد فذكَّرته، فقال: «**الحمد لله**

(١) صحيح: أخرجه تمام في «فوائده»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، والضياء المقدسي في «المختارة»، ورواه عنه أبو نعيم، وقال المناوي: قال ابن دقيق العيد: رواته ثقات، وصححه السيوطي والألباني انظر «صحيح الجامع» (٧٣٣).

(٢) صحيح: أخرجه محمد بن نصر في «الصلاة» عن ابن شهاب مرسلًا. وقال الألباني في «صحيح الجامع» (ص٧٣٦) صحيح، وأخرج نحوه البيهقي في «السنن»، والضياء في «المختارة» عن علي.

رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتِيتُه»[(١)].

□ قال الحافظ في «الفتح»: «والمراد بالعظيم عظيم القدر بالثواب المرتَّب على قراءتها وإن كان غيرها أطول منها» اهـ.

وأنت في دقيقة واحدة تستطيع أن تقرأ الفاتحة خمس مرَّات سردًا، وعدد حروفها هو (١٢٢) حرف، فإذا قرأتها مرة واحدة يُكتَب لك ١٢٢× ١٠= ١٢٢٠ حسنة؛ لأن لكل حرف (١٠) حسنات، فإذا قرأتها خمس مرات فيكتب في صحيفة أعمالك (٦١٠ حسنة)، فإذا قرأتها دقيقة واحدة في اليوم لمدة عامٍ كامل تغنم:

٥ × ١٢٢× ١٠ × ٣٠ × ١٢= ٢١٩٦٠٠٠ حسنة.

وأخيرًا أكرِّر على مسامعك ثوابينْ مَرَّا بك:

ثواب قراءة القرآن كاملاً في خمسة عشر ثانية من الزمان:

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: **«أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في كل ليلة؟»**، فشقَّ ذلك عليهم وقالوا: أيُّنا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: **«الله الواحد الصمد ثلث القرآن»**[(٢)].

□ قال الحافظ في «الفتح»[(٣)]: «حمله بعض العلماء على ظاهره، فقال: هي ثلث باعتبار معاني القرآن؛ لأنه أحكام، وأخبار، وتوحيد، وقد

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٤٧٠٣) (٨/ ٣٨١)- التفسير- سورة الحج، (٥٠٠٦)- كتاب فضائل القرآن- فضل فاتحة الكتاب.

(٢) رواه البخاري (١٥٠١٥)، ومسلم (٨١١).

(٣) «فتح الباري» (٨/ ٦٨٧).

اشتملت هي على القسم الثالث فكانت ثلثًا بهذا الاعتبار..» إلخ.

ثم ذكر بعده وقال: «ومنهم من حمل المثلية على تحصيل الثواب فقال: معنى كونها ثلث القرآن، أن ثواب قراءتها يحصل للقارئ مثل ثواب من قرأ ثلث القرآن».

□ ثم قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولأبي عبيد من حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فكأنما قرأ ثلث القرآن».

وإذا حُمِل على ظاهره فهل ذلك الثلث من القرآن مُعيَّن، أوْ لأيّ ثلث فرض منه؟ فيه نظر، ويلزم على الثاني أن من قرأها ثلاثًا كان كمن قرأ ختمة [(١)].

□ وقال المباركفوري في «تحفة الأحوذي»: «قلت: حديث أبي أيوب المذكور في الباب بلفظ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فقد قرأ ثلث القرآن»، صريح في أن قراءة سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل قراءة ثلث القرآن، وكذا حديث أبي هريرة الآتي في هذا الباب يدلان على ذلك.

• وقوله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **تعدل ثلث القرآن**» يُحمَل على أن قراءتها تعدل قراءة ثلث القرآن، ويحصل لقارئها ثواب قراءة ثلث القرآن، فالروايات بعضها يُفسِّر بعضًا. هذا ما عندي والله أعلم»[(٢)] اهـ.

ففي ضوء شرح الحديث المذكور، ونظرًا على قول الحافظ المذكور وهو: «ويلزم على الثاني أن من قرأها ثلاثًا كان كمن قرأ ختمة كاملة إذا كان صحيحًا، فمشجعًا للقارئ الكريم على قراءة سورة الإخلاص أي

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٦٧٩).

(٢) «تحفة الأحوذي» (٨/ ١٦٨).

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ نقول: نستطيع بسهولة قراءتها (١٢) مرة في دقيقة واحدة، وتكون قد حصلت على أجر أربع ختمات من القرآن الكريم بإذن الله ورحمته سبحان.

والحديث المذكور هو الدليل من السُّنَّة على صحَّة هذا الأسلوب من الطرح في الدقيقة الواحدة ثواب أربع ختمات من القرآن الكريم

في الشهر ٣٠ × ٤ = ١٢٠ ختمة

في السنة ١٢٠ × ١٢ = ١٤٤٠ ختمة

فانظر كم حرفًا في القرآن الكريم، وكم حرفًا في (١٤٤٠) ختمة للقرآن في دقيقة واحدة يوميًّا على مدار السنة.

أخي الحبيب: تستطيع أن تصلي على نبيك ﷺ (٥٠) مرة في الدقيقة فيصلي عليك الله بها (٥٠٠) مرة؛ لأن الصلاة الواحدة بعشر أمثالها.

• وقد مرَّ حديث رسول الله ﷺ: «**من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات، وحطَّ عنه بها عشر سيئات، ورفع بها عشر درجات**»[1].

ففي دقيقة واحدة يوميًّا لمدة عام كامل يكون في ميزان حسناتك:

٥٠٠ × ٣٠ × ١٢ = ١٨٠٠٠٠ حسنة ورحمة، ومثلها محو سيئات، ومثلها رفع درجات.

□ قال سهل بن عبد الله التستري: «الصلاة على محمد ﷺ أفضل

(١) صحيح: أخرجه أحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» وصحَّحه وأقرَّه الذهبي.

العبادات؛ لأن الله تعالى تولّاها هو وملائكته، ثم أمر بها المؤمنين، وسائر العبادات ليست كذلك»اهـ.

يا عالي الهمة.. هذا كنز الكنوز أزفُّه إليك فلا تنسني يوم القيامة لكرامة الدَّلال:

• عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة**»[(١)].

تقول: «اللهم اغفر للمؤمنين، والمؤمنات» في ثانيتين، وعدد المسلمين مليار ونصف، وأنت تقولها في الدقيقة الواحدة ثلاثين مرة، وفي السنة ٣٠× ٣٠ × ١٢= ٧٢٠٠ مرة والحسنة بعشر أمثالها أي في السنة= ٧٢٠٠ مرة × ١٠ × ١.٥ × ٧٢٠٠٠ =١٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ مليار= ١٠٨.٠٠٠ مليار حسنة.

✍ أي أنك لو قلت: «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات» لمدة دقيقة واحدة في اليوم لمدة سنة واحدة تكسب (١٠٨) ألف مليار حسنة.. فيا لله يا لله يا لله مِن نفس عَلِيَّة ذات همَّة ثانية تفعل في اليوم بل أضاعفه وتواظب على ذلك طيلة عمرها

لَـكَ الحمـدُ حمـدًا نَـسْتَلِذُّ بـه ذِكْـرَا ... وإنْ كنتُ لا أُحْـصِي ثناءً ولا شُـكْرًا

لَـكَ الحمـدُ حمـدًا طيِّبًـا يمـلأُ الـسَّمَا ... وأقطارَهـا والأرضَ والـبَرَّ والبَحْـرَا

لَـك الحمـدُ حمـدًا سَرْمَـدِيًّا مُبارَكًـا ... يَقِلُّ مِـدادُ البحـرِ عـن كُنْهِـهِ حَصْرَا

---

(١) مرّ تخرجه وقد حسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٢٦)، وقال الهيثمي: إسناده جيد كما في «فيض القدير» و«مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٠).

لَـكَ الحمـدُ تعظـيمًا لوجهِـكَ قـائِمًا ... بحقـك في الـسَّرَاءِ منـي وفي الـضَرَّا

لَـكَ الحمـدُ مقرونًـا بـشكرِك دائـمًا ... لك الحمدُ في الأولى لك الحمدُ في الأخـرى

لـك الحمـد موصـولًا بغـير نهايـةٍ ... وأنـتَ إلهـي مـا أَحَـقَّ ومـا أَحْـرَى

لك الحمـدُ يـا ذا الكبريـاءِ مَـنْ يَكُـن ... بحمدك ذَا شُـكْرٍ فَقَـدْ أحـرزَا الـشُّكْرَا

لَـك الحمـدُ حَمْـدًا لا يُعَـدُّ لَحَـاصِرٍ ... أَيُحْصِي الحَصَى والنبتَ والرملَ والقَفْـرا

لَـك الحمـدُ أضـعافًا مـضاعفةً عَـلَى ... لطـائِفَ مـا أحـلى لـدينا ومـا أَمْـرَا

لكَ الحمدُ مـا أَوْلَاك بالحمـدِ والثَّنَـا ... عـلى نِعَـم أَتْبعْتَهـا نِعَـمًا تَـتْرَى

لَـك الحمـدُ حمـدًا أنـتَ وفَّقْتَنَـا لَـهُ ... وعَلَّمْتَنـا مِـن حَمْـدك الـنَّظْمَ والنَّثْـرَا

لَـكَ الحمـدُ حَمْـدًا نَبْتَغِيــهِ وَسِـيلةً ... إليـكَ لتجديـدِ اللَّطـائِفِ والبُـشْرَى

الهِمَّةُ العَلِيَّة العالية:

«إنَّ الهمَّة العالية خصلة شريفة، وخلَّة حميدة، وخلق رفيع، وأدب سامٍ، تتعشقها قلوب الكرم، وتهفو إلى اكتسابها نفوس الأبطال.

والناس إنما تعلو أقدارهم، وترتفع منازلهم بحسب أنصبتهم من علو الهمة، وشرف المقصد.

فمن علت همته اتصف بكل جميل، ومن دنت همته اتصف بكل خلق رذيل.

فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلَّا بأعلاها، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات وتقع عليها.

والهمة العالية لا تزال بصاحبها، تضربه بسياط اللوم والتأنيب،

وتزجره عن مواقف الذل واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل – حتى ترفعه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد.

والهمة العالية – أيضًا- ترفع القوم من سقوط، فتبدلهم بالخمول نباهة، وبالحطة رفعة، وبالاضطهاد حرية، وبالطاعة العمياء شجاعة أدبية؛ ذلك أن علو الهمة يستلزم الجد والإباء، ونشدان المعالي، وتطلاب الكمال، والترفع عن الدنايا، والصغائر، ومحقرات الأمور»[1].

أصناف الناس في شأن الهمة:

«الناس في شأن الهمة على أربعة أصناف:

أحدهم: رجل يشعر بأن فيه الكفايةَ لعظائم الأمور، ويجعل هذه العظائمَ هِمَّتَه.

وهذا مَنْ يسمى «عظيم الهمة»، أو «عظيم النفس»، أو «كبير الهمة»، أو «كبير النفس».

ثانيهم: رجل فيه الكفاية لعظائم الأمور، ولكنه يبخس نفسه، فيضع همه في سفساف الأمور، وصغائرها.

وهذا من يسمى «صغير الهمة»، أو «صغير النفس».

ثالثهم: رجل لا يكفي لعظائم الأمور، ويحس بأنه لا يستطيعها، وأنه لم يخلق لأمثالها، فيجعل همته وسعيه على قدر استعداده.

وهذا الرجل بصير بنفسه، متواضع في سيرته.

رابعهم: لا يكفي للعظائم، ولكنه يتظاهر بأنه قوي عليها، مخلوق لأن

---

(١) «الهمة العالية مُعَوِّقاتُها ومقوِّماتُها» لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص٧)- دار القاسم.



يحمل أثقالها.

وهذا من يسمونه «فخورًا»، وإن شئت فَسَمِّهِ «مُتَعَظِّمًا»..»[(١)].

اختلاف الهمم[(٢)]:

يختلف الناس في هممهم، وأمانيهم، وشهواتهم؛ فمنهم من تسمو همته، ومنهم من تدنو، ومنهم من هو بين بين.

□ وفيما يلي أمثلة لذلك[(٣)]:

١ - اجتمع عبد الله بن عمر، وعروة بن الزبير، ومصعب بن الزبير، وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة؛ فقال لهم مصعب: تمنوا، فقالوا: ابدأ أنت، فقال: ولاية العراق، وتَزَوُّجَ سكينةَ ابنة الحسين، وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله، فنال ذلك، وأصدَقَ كلَّ واحدةٍ خمسمئة ألف درهم، وجهزها بمثلها.

وتمنى عروة بن الزبير الفقه، وأن يحمل عنه الحديث، فنال ذلك.

وتمنى عبد الملك الخلافة فنالها.

وتمنى عبد الله بن عمر الجنة!.

---

(١) «رسائل الإصلاح للعامة» للشيخ محمد الخضر حسين (٢/ ٨٧).

(٢) نقلًا عن «الهمة العالية» لمحمد بن إبراهيم (ص١٩ - ٢١).

(٣) انظر: «وفيات الأعيان وأنباء وأبناء الزمان» لابن خلكان (٣/ ٢٩- ٣٠)، وانظر «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٢٥٨- ٢٥٩)، و«بهجة المجالس وأنس المجالس» لابن عبد البر (١/ ١١٧- ١٢٧)، وانظر «المحاسن والمساوئ» لإبراهيم البيهقي (ص٣٠٦- ٣٠٩)، وكتاب «الفاضل في صفة الأدب الكامل» لأبي الطيب محمد والوشاء (ص١٩٢- ١٩٥)، تحقيق د. يحيى الجبوري.

٢- قال قتيبة بن مسلم لحصين بن المنذر: «ما السرور؟ قال: امرأة حسناء، ودار قوراء [١]، وفرس مرتبط بالفناء».

٣- قيل لضرار بن الحسين: ما السرور؟ قال: لواء منشور، وجلوس على السرير، والسلام عليك أيها الأمير.

٤- وقيل لعبد الملك بن الأهتم: ما السرور؟ فقال: رفع الأولياء، وحطُّ الأعداء، وطول البقاء مع القدرة والنماء.

٥- وقال آخر:

أطيبُ الطيباتِ قتلُ الأعادي ... واختيالٌ على متون الجياد

وأيادٍ حبوتهن كريمًا ... إن عند الكريم تزكو الأيادي

٦- قيل لبعض الحكماء: تمنَّ، قال: محادثةَ الإخوانِ، وكفافًا من عيش يسد خَلَّتي، ويستر عورتي، والانتقال من ظل إلى ظل.

٧- وقيل لآخر: ما بقي من ملاذِّك؟ قال: مناقلةُ الإخوانِ الحديثَ على التلاع العُفْر في الليالي القُمْرِ.

٨- قيل لامرئ القيس: ما أطيب العيش؟ قال: بيضاء رعبوبة [٢]، بالطيب مشبوبة [٣]، بالشحم مكروبة [٤].

٩- وقيل لطرفة مثل ذلك فقال: «مطعم شهيٌّ، وملبس دفيٌّ، ومركب وطيٌّ».

---

(١) دار قوراء: واسعة الجوف.

(٢) الرعبوبة: البيضاء الحسنة الرطبة.

(٣) مشبوبة: قد ظهر حسنها وأشرق لونها.

(٤) المكروبة: المفتولة المشبوبة.

١٠- وقيل للأعشى مثل ذلك فقال: «صهباءُ صافيةٌ، تمزجها ساقية، من صوب غادية».

١١- وقيل لَمَلِكٍ: ما السرور؟ فقال: «حِمًى ترعاه، وعدوٌّ تنعاه».

١٢- وقيل لراهب: ما السرور؟ قال: «الأمان من الوجل إذا انقضت مدة الأجل».

١٣- وقيل لمظلوم: ما السرور؟ قال: «كفايةٌ ووطنٌ، وسلامةٌ وسكن».

١٤- وقيل لمغنٍّ: ما السرور؟ قال: «مجلسٌ يَقِلُّ هذرُه، وعودٌ يصفو وتره، وعقول تفهم ما أقول».

١٥- وقيل لورَّاق: ما السرور؟ قال: «جلودٌ وأوراق، وحبر برَّاق، وقلم مشَّاق».

١٦- وقيل لبعضهم: ما السرور؟ قال: بنون أغيظ بهم عداتي، ولا تُقرع معهم صَفاتي»[١].

١٧- وقيل لفتاة: ما السرور؟ قالت: «زوجٌ يملأ قلبي جَلالًا، وعيني جَمالًا، وفنائي جِمالًا».

١٨- وقيل لطفيلي: ما السرور؟ فقال: «نَدامى تسكن صدورهم، وتغلي قدورهم، ولا تغلق دورهم».

١٩- وقيل لقانص: ما السرور؟ فقال: «قوس مأطورة [٢]، وشُرعة

---

(١) الصفاة: الصخرة الملساء، يعني لا يمسني أحد بسوء.

(٢) مأطورة: من أطرْت القوس إذا حنيتها فهي محنية.

مشزورة [١]، ونبال مطروة [٢]».

٢٠- وقيل لمحبوس: ما السرور؟ فقال: «فكاك يَفْجَأ، وإطلاق لا يرزأ».

٢١- قال محمد الخضر حسين:

ولولا ارتياحي للنضال عن الهدى لفتَّشتُ عن وادٍ أعيش به وحدي [٣]

٢٢- وقال:

أنا لولا همةٌ تحدو إلى خدمة الإسلام آثرتُ الحماما [٤]

وهكذا تتفاوت الهمم، وتختلف الشهوات والأماني؛ فَكُلٌّ يعملُ على شاكلته، ولِكُلٍّ وجهةٌ هو مُوَلِّيها» اهـ.

علو الهمة:

«هذا الخلق يسمو بصاحبه «فيتوجه به إلى النهايات من معالي الأمور؛ فهو الذي ينهض بالضعيف يُضطهد أو يزدرى فإذا هو عزيز كريم.

وهو الذي يرفع القوم من سقوط، ويبدلهم بالخمول نباهة، وبالاضطهاد حرية، وبالطاعة العمياء شجاعة أدبية.

هذا الخلق هو الذي يحمي الجماعة من أن تتملق خصمها، وتسل يدها من أسباب نجاتها ومنعتها.

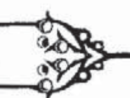
---

(١) شرعة مشزورة: الوتر مشدود على القوس.

(٢) نبال مطرورة: ذات طُرَّة وهيئة حسنة.

(٣) «خواطر الحياة» لمحمد الخضر حسين (ص٩١).

(٤) «خواطر الحياة» (ص٢٣٣).



أما صغير الهمة، فإنه يبصر بخصومه في قوة وسطوة، فيذوب أمامهم رهبة، ويطرق إليهم رأسه حطة، ثم لا يلبث أن يسير في ريحهم، ويسابق إلى حيث تنحط أهواؤهم»[١].

نعم يورد هذا الخلق صاحبه موارد التعب والعناء، ولكن التعب في سبيل الوصول إلى النهاية من معالي الأمور يشبه الدواء المر، فيسيغه المريض كما يسيغ الشراب عذبًا باردًا..

تلـذ لـه المـروءة وهـي تُـؤْذِي ومـن يعـشق يلـذ لـه الغـرام[٢]

«فالمكارم منوطة بالمكاره، والسعادة لا يعبر إليها إلَّا على جسر المشقة، فلا تُقطع مسافتها إلَّا في سفينة الجد والاجتهاد»[٣].

فعظيم الهمة قد يشتد حرصه على الشرف، حتى لا يكاد يشعر بما يلاقيه في سبيله من أنكاد وأكدار.

بل ربما كان الشرف الذي يركب له الأخطار والشدائد أعزَّ وقعًا، وأدلَّ على عظم همته من الشرف الذي يناله بيسر وسهولة..

ومـن تكـن العليـاءُ همـةَ نفـسه فكل الـذي يلقـاه فيهـا محبَّـب[٤]

ولذلك فعظيم الهمة يستخف بالمرتبة السفلى، أو المرتبة الوسطى من معالي الأمور؛ فلا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار إلَّا حين يضع نفسه في

---

(١) «رسائل الإصلاح» (٢/ ٨٨).

(٢) «ديوان المتنبي» (٤/ ٧٥).

(٣) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ١٠٩).

(٤) «ديوان البارودي» (ص٤٣).

أسمى منزلة، وأقصى غاية [١].

□ وإلى هذا المعنى يشير قول نابغة بني جعدة:

بلغنا السما مجدًا وجودًا وسؤددًا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا [٢]

□ وكما قال الآخر:

وما أنا راضٍ أنني واطئ الثرى ... ولي همة لا ترتضي الأفق مقعدا

□ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه؛ فلو كان يتصور للآدمي صعود السموات لرأيت من أقبح النقص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض، غير إنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن.

والسيرةُ الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل» [٣].

ثم إن عظيم الهمة لا يشغل باله أمر صغير، ولا يقلق فكره عمل يسير، بل يقوم بجلائل الأعمال التي تتعصى على أولي القوة من الرجال، ومع ذلك فلا يتبرم، ولا يقلق، ولا يشكو كثرة الأعباء.

له قلب لا يتعب فلا يبلغ منزلة إلَّا ابتدأ التعب؛ لِيَبْلُغَ منزلة أعلى منها، وله فكرٌ كلما جهد فأدرك حقيقة كانت الحقيقة أن يجهد فيدرك غيرها [٤].

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

---

(١) انظر: «رسائل الإصلاح» (٢/ ٨٦- ٨٨).

(٢) «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي (ص٣٦٤).

(٣) «صيد الخاطر» (٢/ ٢٢٤).

(٤) انظر: «وحي القلم» (٢/ ٨٣).

وتكبر في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

ولقد جَرَتْ سنة الله في خلقه ألا ينهض بأصر المقاصد الجليلة، ويرمي إلى الغايات البعيدة – غيرُ النفوس التي عظم حجمها، وكبرت هممها، فلم تتعلق إرادتها بسفاسف الآمال، ولا محقرات الأعمال»[١].

فإذا كان هذا الخلق الرفيع لا يقع إلَّا على معالي الأمور – فلا عظمة لهمم قوم يبتغون النهاية في زينة هذه الحياة، ويغرقون في التمتع بملذاتها المادية، كهؤلاء الذين يسرفون في الملابس المنمقة، والمطعومات الفاخرة، والمباني الشاهقة؛ فإن ذلك لا يعد فيما تتسابق فيه الهمم من مالي الأمور[٢].

وإن كان في لبس الفتى شرف له ... فما السيف إلَّا غمدُه والحمائل[٣]

□ فإذا كان علو الهمة بتلك المكانة السامقة، والمنزلة العالية – فما أجدر العاقل اللبيب أن يعلي من همته، وأن يرفع من قدره، وأن يتطلب المعالي، ويسعى لها سعيها، وألا يقصر عنها، ولا يقعد دون نيلها؛ فإن علو الهمة مما يفتخر به، وسفول الهمة مما يذم ويعاب به، قال الشوكاني:

كن ناسكًا تبتلا ... أو رائسًا تبجلا

وعدِّ عن مُحَمَّقٍ ... قَصَّر عن أن ينبلا

يصده قُعُودُهُ ... وعَجْزُهُ عن العلا[٤]

---

(١) انظر: «حياة الأمة» (ص٥٢٩)، و«السعادة العظمى» (ص٢٠٩).

(٢) انظر: «رسائل الإصلاح» (٢/ ٨٦).

(٣) «شرح ديوان سقط الزند» للمعري (ص٥٧).

(٤) ديوان الشوكاني «أسلاك الجوهر» (ص٣٠٢).

□ وهذا أبو فراس الحمداني يمدح نفسه، ويفتخر بعلو همته فيقول:

إني أبيت قليل النوم أرّقني … قلب تصارع فيه الهَمُّ والهِمَمُ [(١)]

□ وهذا أبو الطيب المتنبي يفخر بعلو همته، واشتغاله بالجد والتشمير فيقول:

لولا العلا لم تَجُبْ بي ما أجوب بها … وجناءُ حرفٌ ولا جَرْدَاءُ قُيدُودُ

وكان أطيبَ من سيفي مضاجعةً … أشباهُ رونقة الغيد الأماليدُ

لم يترُكِ الدهرُ من قلبي ولا كبدي … شيئًا تُتَمِّمه عينٌ ولا جيدُ [(٢)]

□ وهذا علي بن المقرب العيوني يقول:

يُشَيِّعُني قلبٌ إلى العز تائقٌ … ونفسٌ إلى العليا شديدٌ نزوعُها

أُشَرِّفها من أن يكون إباؤها … لواجب حقٍّ أو لِضَيْمٍ خنُوعُها

وما أنا في السراء يومًا فَرُوْحُها … ولا أنا في الضراء يومًا جزوعُها

سأنزلها الملحودَ أو رأسَ هضبةٍ … من العزِّ يعيي كلَّ راقٍ طُلوعُها

وما طلبي العلياءَ إرثُ كلالةٍ … فَيَقْصُر خطوي دونها فأسوعُها [(٣)]

عليَّ لها سعيُ الكرام فإن أَمُتْ … فَوَهابُها سَلَّابُها ونَزُوعُها [(٤)]

---

(١) ديوان أبي فراس الحمداني (ص١٥٦).

(٢) ديوان «المتنبي» (ص٣٩، ٤٠).

(٣) أسوعها: أهملها.

(٤) علي بن المقرب العيوني حياته - شعره، (ص٢٢٧).

□ وهذا البارودي يقول:

سواي بتحنان الأغاريد يطرب ... وغيري باللذات يلهو ويعجبُ

وما أنا ممن تأسِرُ الخمرُ لبَّه ... ويملك سمعيه اليراعُ المثقبُ

ولكن أخو هَمٍّ إذا ما ترجحت ... به سورةٌ نحو العلا راح يدأب

نفى النوم عن عينيه نفسٌ أبيَّةٌ ... لها بين أطراف الأسنة مطلب [(١)]

□ قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ حاثًّا على علو الهمة: «وينبغي لمن كان صادق الرغبة، قوي الفهم، ثاقب النظر، عزيز النفس، شهم الطبع، عالي الهمة، سامي الغريزة – ألا يرضى لنفسه بالدون، ولا يقنع بها دون الغاية، ولا يقعد عن الجد والاجتهاد المبلغين له إلى أعلا ما يراد، وأرفع ما يستفاد؛ فإن النفوس الأبية، والهمم العلية لا ترضى بها دون الغاية في المطالب الدنيوية من جاه، أو مال، أو رئاسة، أو صناعة، أو حرفة، حتى قال قائلهم المتنبي:

إذا غامرت في شرف مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيم

□ وقال آخر مشيرًا إلى هذا المعنى:

إذا ما لم تكن مَلِكًا مطاعًا ... فكن عبدًا لخالقه مطيعا

وإن لم تملك الدنيا جميعًا ... كما تهواه فاتركها جميعا

هما شيئان من مُلْكٍ ونُسْكٍ ... ينيلان الفتى شرفًا منيعا

---

(١) ديوان البارودي (ص٤٢).

□ وقال آخر:

فإما مكان يضرب النجم دونه سرادقه أو باكيًا لحمام

وقد ورد هذا المعنى كثيرًا في النظم والنثر، وهو المطلب الذي تنشط إليه الهمم الشريفة، وتقبله النفوس العلية»[١]..»اهـ[٢].

الهِمَّة العالية وشرف المقصد:

□ قال الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد[٣]: «الهمة العالية خلق سام، ومسلك رائع، تحبه النفوس، وتهفو إليه القلوب.

وأجمل ما في ذلك الخلق وأروع ما فيه – ما كان مقترنًا بشرف المقصد، ونبل الهدف والغاية.

فالناس تتفاوت هممهم رفعة وضعة، وتختلف مشاربهم عُلُوًّا وحِطَّة.

ولكن الشأن كل الشأن فيمن جمع إلى علو الهمة شرفَ المقصد، ونبلَ الهدف والغاية.

وإذا علمت نفسٌ طاب عنصرُها، وشرف وجدانها أن مطمح الهمم إنما هي غاية وحياة وراء حياتها الطبيعية – لم تقف بسعيها عند حد غذاء يقوتها، وكساء يسترها، ومسكن تأوي إليه.

بل لا تستفيق جهدها، ولا يطمئن بها قرارها إلَّا إذا بلغت مجدًا يصعد بها إلى أن تختلط بكواكب الجوزاء[٤].

(١) «أدب الطلب ومنتهى الأرب» (ص١٢٧).

(٢) «الهمة العالية» (ص١٠٧ – ١١٢).

(٣) المصدر السابق (ص١١٣ – ١١٧).

(٤) «الحرية في الإسلام» (ص١٠).

ولا ريب أن أعلا المطالب، وأشرف المكاسب – هو ما كان لله وفي سبيل الله – تبارك وتعالى–.

ولذلك «لما كان مجد الآخرة أعظم المجد – كان ابتغاؤه أعظم الغايات، وكان هو الهمَّ الأكبر للمؤمنين الصادقين ذوي الهمم العالية، والنفوس الكبيرة الزكية.

أما الدنيا فإنها في نظرهم – مهما بلغت أمجادها– قليلة القيمة في جنب الآخرة؛ لذلك فهم يحاولون أن يبتغوا فيما آتاهم الله الدار الآخرة، مع أنهم لا ينسون نصيبهم من الدنيا»(١).

فاستصغار متاع الدنيا، وتحقير لذائذها في نفوس الناس يرفعهم عن الاستغراق فيها، ويكبر بهممهم عن جعلها قبلةً يولون وجوههم شطرها حيثما كانوا.

وقد بيَّن لنا العيان أن الإنسان متى عكف على ملاذ الدنيا، ولم يَصْحُ فؤاده عن اللهو بزخارفها – ماتت عواطفه، ونسي أو تناسى من أين تؤتى المكارم والمروءة، ودخل مع الأنعام في حياتها السافلة.

ولا يعني التزهيد والحط من متاع الحياة الدنيا ترغيب الإنسان ليعيش مجانبًا للزينة، ميت الإرادة عن التعلق بشهواته على الإطلاق.

وإنما يقصد من ذلك حِكَمٌ أخرى، ومنها تعديل الأنفس الشاردة، وانتزاع ما في طبيعتها من الشره والطمع؛ لئلا يخرجا بها عن قصد السبيل، ويَتَطَوَّحا بها في الاكتساب إلى طرق غير لائقة (٢).

(١) «الأخلاق الإسلامية» (٢/ ٤٧٥).

(٢) انظر: «الحرية في الإسلام» (ص٣٨).

ولذلك فالمؤمنون الصادقون لا يدنسون أنفسهم بالدناءات ومحقرات الأمور، ولا يريقون ماء وجوههم في سبيل الحصول على عرض من أعراض الدنيا، ولا يفنون أعمارهم ويبددون طاقاتهم بحثًا عن منصب أو جاه أو مُلك، يكون غايتَهم، ومنتهى طموحهم.

بل يرون أن الآخرة هي أولى بأن تُبتغى، ويُسعى لها سعيها؛ فنعيمها خير وأبقى، وملكها ملك لا ينقطع ولا يبلى.

* قال تعالى مخبرًا عن بعض ما يناله أهل الجنة: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإنسان].

فما ظنك بنعيم وملك وصفه الله بأنه كبير؟!.

• وقال النبي ﷺ: «**لَمَوْضعُ سوطِ أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغدوة في سبيل الله أو رَوْحَةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها**»(١).

ولهذا فكلما علت همة الإنسان كانت مطالبه أسمى، وصغرت في عينه المطالب الدنيا، فلا يَكْلَفُ بها كثيرًا، ولا يتتبعها إلَّا بمقدار الحاجات(٢).

□ قيل للعتابي: «فلان بعيد الهمة، قال: إذًا ليس له غاية دون الجنة»(٣).

□ قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: «لا تبذل نفسك إلَّا فيما هو أغلى منها، وليس ذلك إلَّا في ذات الله عَزَّ وَجَلَّ في دعاء إلى حق، وفي حماية الحريم، وفي رفع هوان لم يوجبه عليك خالقك -تعالى- وفي نصر مظلومٍ.

---

(١) رواه البخاري (٧/ ١٧٠).

(٢) انظر: «الأخلاق الإسلامية» (٢/ ٤٧٥).

(٣) «عيون الأخبار» (١/ ٢٣٣).

وباذلُ نفسِه في عرض دنيا كبائع الياقوت بالحصى»(١).

□ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجدت العمل للآخرة سالمًا من كل عيبٍ، خالصًا من كل كدر، موصلًا إلى طرد الهم على الحقيقة.

ووجدت العامل للآخرة إن امتحن بمكروه في تلك السبيل لم يهتم بل يُسَر؛ إذ رجاؤه في عاقبة ما ينال به عون له على ما يطلب، وزايد في الغرض الذي إياه يقصد.

ووجدته إن عاقه عما هو بسبيله عائق لم يهتم؛ إذ ليس مؤاخذًا بذلك؛ فهو غير مؤثر في ما يطلب.

ورأيته إن قُصد بالأذى سُرَّ، وإن نكبَتْه نكبةٌ سر، وإن تعب فيما سلك سُرَّ؛ فهو سرور أبدًا، وغيره بخلاف ذلك أبدًا»(٢).

□ وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن رغَّب في علو الهمة، وبيَّن فضل الهمة العالية، وأن النفوس الأبية تسعى إليها وتتطلبها في شتى المطالب الدنيوية – قال: «وإذا كان هذا شأنهم في الأمور الدنيوية التي هي سريعة الزوال،، قريبة الاضمحلال- فكيف لا يكون ذلك من مطالب المتوجهين إلى ما هو أشرف مطلبًا، وأعظم مكسبًا، وأرفع مرادًا، وأجل خطرًا، وأعظم قدرًا، وأعود نفعًا، وأتم فائدة؟

* وهي المطالب الدينية مع كون العلم أعلاها، وأولاها بكل فضيلة، وأجلها وأكملها في حصول المقصود، وهو الخير الأخروي؛ فإن الله سبحانه قد قرن العلماء في كتابه بنفسه وملائكته فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ

---

(١) «الأخلاق والسير» (ص١٦).

(٢) «الأخلاق والسير» (ص١٥، ١٦).

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران].

* وقصر الخشية له التي هي سبب الفوز لديه عليهم فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

* وأخبر عباده بأنه يرفع علماء أمته درجات، فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

• وأخبرنا رسول الله ﷺ: «**بأن العلماء ورثة الأنبياء**»[(١)].

---

(١) هذا جزء من حديث رواه أبو الدرداء رضي الله عنه ولفظ الحديث: «**وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورَّثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقًا يطلب به علمًا سهل الله به طريقًا إلى الجنة**».

والحديث أورده الإمام البخاري في «صحيحه» في باب العلم قبل القول والعمل (١/ ٢٥)، وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٩٦)، وأبو داود (٤/ ٥٧) (٣٦٤١)، والترمذي (٥/ ٤٨) (٢٦٨٢)، وابن ماجه (١/ ٨١) (٢٢٣)، والدارمي في «سننه» (١/ ٢٠٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ٢٨٩) (٨٨) وغيرهم كثير.

من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة، عن داود بن جميل، عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء الحديث بطوله.

وقد اختلف الرواة في إسناده، ومن ثم اُختلف في درجته.

فنقل ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٣٤) عن حمزة الكناني أنه حسنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٢٨٩) (٨٨)، وحسنه في «صحيح الترغيب والترهيب» (ص٣٣) (٦٨).

وقال الدارقطني في «العلل» (٦/ ٢١٦) (٦١٧٣) وعاصم بن رجاء ومن فوقه إلى أبي الدرداء ضعفاء، ولا يثبت.

وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٢/ ٤) (٢٥٩٩): دواد بن جميل حديثه مضطرب، وضعفه الأزدي، وداود لا يعرف كشيخه، وقال الدارقطني في «العلل»: عاصم ومن فوقه ضعفاء، ولا يصح. اهـ.

وناهيك بهذه المزية الجليلة، والمنقبة النبيلة.

فأكرم بنفسٍ تطلب غاية المطالب في أشرف المكاسب، وأحبب برجل أراد من الفضائل ما لا تدانيه فضيلة، ولا تساميه منقبة، ولا تقاربه مكرمة»[١].

عَوْدٌ على بدء:

كيف تعلو الهمم؟:

نُجْمِل هنا ما سبق ذكره من أسباب علو الهمَّة ونضيف إليه المزيد:

١- الإخلاص.

٢- الصدق.

٣- البصيرة.

٤- العِلْمُ.

٥- اليقظة.

٦- الخروج عن المألوف والعادات.

٧- التفكُّر.

٨- الاجتهاد في حَصْر الذهْن، وتركيز الفِكْرِ في معالي الأمور.

٩- القصْد وصدق الإرادة.

١٠- العزم على الكمالات.

١١- الغيْرة.

---

(١) «أدب الطلب» (ص١٢٨).

١٢- الدعاء.

١٣- التنافس والتنازع بين الشَّخْص وهمّته.

١٤- الحرص على الوقت.

١٥- اعتراف المرء بقصور همَّته.

١٦- مجاهدة النفس.

١٧- قصر الأمل، وكثرةُ ذِكْرِ الموتِ.

١٨- الزُّهْدُ في الدنيا.

١٩- معرفة قيمة النَّفْس.

٢٠- الابتعاد عن كُلِّ ما شأنه الهبوط بالهمَّة.

٢١- مراجعةُ جَدْولِ العمل اليومي، والعزلة قليلًا، ومراعاةُ الأَوْلَوِّياتِ الأَهَمُّ فالمُهِمِّ.

٢٢- كمالُ العقلِ.

٢٣- التحوُّل عن البيئة المُثَبِّطة.

٢٤- مصاحبة أصحاب الهمم العَالِية.

٢٥- قراءة تراجمِ وسِيَر سَلَف الأمة.

٢٦- الصَّبْرُ والمثابرَة.

٢٧- الخُلْوَة.

٢٨- واقعُ المسلمين المُرُّ والمؤلم يصنَعُ الرجالَ ويُعْلِي الهمم.

٢٩- سَبْرُ فقهِ الابتلاءِ والدَّعْوَةِ.

٣٠- كونُ الداعية على عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وفهمه لمعنى

التوكُّلِ.

٣١- وصايا الربَّانيين ونصائحهم.

٣٢- ذكرُ الجنة والنار دوامًا وجعْلُهما نصْبَ العيْن يدفع إلى علو الهمم.

٣٣- جَعْلُ الهَمِّ هَمًّا واحدًا وجعْله في الله تعالى.

ونضيف الآتي:

٣٤- العفو والصفح ومقابلة الإساءة بالإحسان:

العفوُ إسقاط حقِّك جودًا، وكرمًا، وإحسانًا، وهو لا يزيد المرء إلَّا عِزًّا كما أخبر الصادق الأمين ﷺ، وإنما يتفاضل الناس في السماحة والسيادة على قدر تدبرهم للعواقب، وإسكاتهم الغَضبَ إذا طغى.

□ قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «أحبُّ الأمور إلى الله ثلاثة: العفو عند المقدِرة، والقصدُ في الجدة، والرِّفق في العَبَدة»[1].

□ وعن داود بن الزبرقان قال: «لا ينبل الرَّجُل حتى يكون فيه خصلتان: العِفَّة عمَّا في أيدي الناس، والتجاوز عنهم»[2].

٣٥- التواضع:

والتواضع دليل على كِبَر النَّفْسِ، وعلو الهمَّة، وهو -في الوقت نفسه- سبيل لاكتساب المعالي، والتَّرقِّي في الكمالات، وينأى بصاحبه عن الاستنكاف من قبول الحق والأخذ به.

---

(١) «روضة العقلاء» (ص١٣١).

(٢) المصدر السابق (ص١٣١).

□ قال عبد الله بن المبارك: «كان يُقال: الغِني في النفس، والكرم في التقوى، والشرف في التواضع»[١].

□ ولله در القائل:

وأحسنُ أَخلاقِ الفتى وأتمُّها   تواضعُه للنَّاسِ وهو رفيعُ

٣٦- الإنصاف:

وهو خلق رفيع، وأدب سامٍ، يَدُلُّ على كرم النَّفْس، وصفاءِ السريرة، والبعد عن الأثرة. وهو من الخِصالِ التي لا تنبتُ إلَّا في نفْسٍ زكيَّة كريمة نبتت في بيئة صالحة [٢].

فبالإنصاف يقوى الفَهْم، ويتسع الأفق، ويعلو القدر، ويسود الود وتقوى الصِّلات [٣].

قَدِمَ ابن عمر رضي الله عنهما مكة، فسألوه، فقال: «أتجمعون لي يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن رباح - يعني: عطاءً» .

ومن الإنصاف الذي يدل على الرسوخ في الفضيلة أن يتحدث الرجل عن خصمه، فينسب إليه ما يعرفه من فضل.

أنشد رجل في مجلس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قول الشاعر:

فتًى كان يدنيه الغنى من صديقه   إذا ما هو استغنى ويبعده الفقرُ

---

(١) «غذاء الألباب» (٢/ ٢٣٢).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٣٣).

(٣) «الهمة العالية» (ص١٨٧).

(٤) «صفة الصفوة» (٢/ ١٤٣).

كــأن الثريَّــا عُلِّقــت بجبينــه وفي خده الشِّعرى وفي الآخر البدر

◻ فلما سمعها علي رضي الله عنه قال: «هذا طلحة بن عبيد الله، وكان السيف ليلتئذٍ مجردًا بينهما!»[1].

◻ ونقرأ في تاريخ العلامة محمد بن عبد السلام: «أن ابن الصباغ اعترض عليه في أربع عشرة مسألة، فلم يدافع عن واحدة منها، بل أقر بالخطأ فيها جميعًا»[2].

٣٧- التفاؤل:

المتفائل واسع النَّظْرةِ، فسيح الصدر، عالي الهمة، موفور النَّشاطِ يَطَّرِحُ الكسل، ويُقبل على الجد والعمل.

بخلاف المتشائم؛ فهو فاتر الهمة، ثقيل الظل، متبلد كسول، لا تحدوه غاية، ولا يدفعه هدف، بل يعيش في عالم الأحلام والأوهام والخيال، ويشعر دائمًا بالخيبة والخذلان، ويسيء ظنه بالآخرين، ولا ينظر إليهم إلَّا بعين الشك والريبة؛ فهو مغلق النفس، ضيق الصدر، يَتَّقِدُ حسدًا، ويحترق غيرةً وكمدًا؛ لعجزه عن الرقي في المكارم، ولقلة بحثه عن العوامل التي سببت له هذا المزاج الأسود، ولقلة سعيه في علاج ذلك المرض العضال، الذي قعد به وحط من قدره، فعاش على هامش الحياة صغير الشأن، خامل الذكر[3].

---

(١) «رسائل الإصلاح» (١/ ٤٣).

(٢) «رسائل الإصلاح» (١/ ٤٢).

(٣) انظر: «تكوين الشخصية» للدكتور نورى الحافظ (ص١١٤- ١١٦)، و«الهمة العالية» (ص٢١١).

٣٨- القدرة على السرور والابتهاج بالحياة:

الرجل المبتهج بالحياة يزيده ابتهاجه قوة إلى قوَّته، فيكون أقدر على الجِدِّ والنشاط وحسن الإنتاج ومقابلة الصِّعاب من الرَّجُل المنقبض الصدر، الممتلئ بالهَمِّ والغَمِّ.

والمستبشرون الباسمون للحياة خير الناس صحَّة، وأقدرهم على الجد والنشاط، وأقربهم إلى النجاح والفلاح، وأكثرهم سعادة واستفادة مما في أيديهم ولو كان قليلًا.

فالابتسام للحياة يضيئها، ويعين على احتمال متاعبها؛ فالعمل الشاق العسير يخف حمله بالنفس المشرقة المتفائلة.

فمن النعم الكبرى على الإنسان أن يعتاد النظر إلى الجانب المشرق في الحياة لا المظلم منها، وأن يُمنح القدرة على السرور يستمتع به إن كانت أسبابه موجودة، ويوجدها قدر المستطاع إن لم تكن.

ويخطئ كثير من الناس حين يظن أن أسباب السرور كلها في الظروف الخارجية، فيشترط؛ ليُسَرَّ مالًا، وبنين، وصحةً ونحوَ ذلك؛ فالسرور يعتمد على النفس أكثر مما يعتمد على الظروف الخارجية، وفي الناس من يشقى في النعيم، وفيهم من ينعم في الشقاء، وفيهم لا يستطيع التبسم بكل ماله، وفيهم من يتبسم دائمًا من أعماقه بأتفه ثمن وبلا ثمن.

وهناك نفوس تستطيع أن تخلق من كل شيء شقاءً ونكدًا، وهناك نفوس تستطيع أن تخلق من كل شيءٍ سعادة وأنسًا.

وهناك مَنْ ينغص على نفسه وعلى من حوله من كلمة يسمعها، أو يؤولها تأويلًا سيئًا، أو من عمل تافه حدث له أو منه، أو من رِبْحٍ خسره،

أو من ربح كان ينتظره فلم يحدث، أو نحو ذلك، فتراه بعد ذلك وقد اسودَّت الدنيا في نظره، ثم هو يُسَوِّدُها على من حوله.

فالمبتسمون للحياة ليسوا أسعد الناس حالًا لأنفسهم ومن حولهم فحسب، بل هم مع ذلك أقدر على العمل، وأكثر احتمالًا للمسؤولية، وأصلح لمواجهة الشدائد ومعالجة الصعاب، وأجدر بالإتيان بعظائم الأمور التي تنفعهم وتنفع الناس.

□ ولذا إذا أراد الأدباء أن يبالغوا في الثناء على الممدوح، ويبينوا عظم همته، واستسهاله للصعاب – وصفوه بأنه يبتسم في أحلك المواقف وأشدها خطرًا، قال أبو الطيب المتنبي يمدح سيف الدولة:

تَمُرُّ بكَ الأبطالُ كلمى هزيمةً ... ووجهك وضَّاحٌ وثغرك باسمُ (١)

فذو النفس الباسمة المشرقة يرى الصعاب، فيلذه التغلب عليها، ينظرها فيبسم، ويعالجها فيبسم، وينجح فيبسم، ويخفق فيبسم.

وذو النفس العابسة المتجهمة لا يرى صعابًا فيوجدها، وإذا رآها أكبرها، واستصغر همته بجانبها، فهرب منها، وطفق يسب الدهر، ويعاتب القدر، ويتعلل بـ «لو وإذا وإن» (٢).

ومما يُعين على السرور والابتهاج بالحياة أسبابٌ كثيرة ومن أهمها وأبرزها:

١ – الإقبال على الله عَزَّوَجَلَّ: فهو أصل السعادة، وينبوعها الأعظم، وكل سرور بدون الإقبال على الله لا يعد سرورًا في الحقيقة؛ فمن أراد السرور

---

(١) ديوان «المتنبي بشرح العكبري» (٢/ ٣٨٧).

(٢) «الهمَّة العالية» (ص٢١٢، ٢١٣).

فليقبل على الله بكُلِّيته، حُبًّا وذكرًا، وإنابة، وخوفًا، ورجاءً، ونحو ذلك من سائر العبوديات.

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه، ويطمئن به، ويتنعم بالتوجه إليه – إلَّا الله- سبحانه – ومن عبد غير الله – وإن أحبه، وحصل به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة – فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة التذاذ أكل الطعام المسموم»(١).

وقال: «فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلَّا بإلهها الله الذي لا إله إلَّا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلَّا بذكره وهي كادحة إليه كدحًا فملاقيته، ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلَّا بلقائه.

ولو حصل للعبد لذات أو سرور بغير الله فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت، وفي بعض الأحوال، وتارة يكون ذلك الذي يتنعم به والتذ غير منعم ولا ملتذٍ له، بل قد يؤذيه اتصاله به، ووجوده عنده.

أما إلهه الحق فلا بد له منه في كل حال وكل وقت، وأينما كان فهو معه»(٢).

□ ومنها طهارة القلب وسلامة القصد، ومنها قوة الاحتمال والتمرين، ومحاربة اليأس.

□ ومنها طَرْدُ الهَمِّ ومحاربة الكآبة، والقناعة.

□ ومنها التضحية وهي أفق واسع، وظلال وارف، تنعم فيه النفس

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٤).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٤– ٢٥).

بجمال السعة وبُعد المدى.

▫ ومنها سعة الأفق، قال الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا استقبلت العالم بالنفس الواسعة رأيت حقائق السرور تزيد وتتسع، وحقائق الهموم تصغر وتضيق، وأدركت أن دنياك إن ضاقت فأنت الضيِّق لا هي»(١).

▫ قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

سهرت أعينٌ ونامت عيونٌ ... في أمور تكون أو لا تكونُ

فادرإ الهمَّ ما استطعت عن النفـ ... ـس فحملانُك الهمومَ جنونُ

إن ربَّما كفاك بالأمس ما كا ... ن سيكفيك في غد ما يكونُ(٢)

٣٩- التجافي عن الترف والنعيم:

• عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إيَّاك والتَنَعُّمَ، فإنَّ عباد الله ليسوا بالمتنعِّمِين**»(٣).

«ذلك أن التقلب في الترف، والإغراق في النعيم - يعد من أعظم الشواغل والقواطع، التي تشغل صاحبها عن تَطَلُّب الكمال، وتَقْطعُ عليه طريق المجد والسؤدد، ثم إن الإغراق في النعيم ينبت في نفس صاحبه أخلاقًا مرذولة من نحو الجبن، وقلة الأمانة، والإمساك في وجوه الخير.

---

(١) «وحي القلم» (١/ ٥٠٠).

(٢) «ديوان الشافعي» (ص٨٥).

(٣) حسن: رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٥٣)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٦٦٨).

وذلك مما يورثه ضعف الهمة، وحقارة الشأن.

فإذا تجافى المرء عن الترف والنعيم – دل ذلك على كبر نفسه، وعلو همته.

□ وذلك التجافي مما يعين على بلوغ العز، واكتساب الهمة العالية، كما قيل:

فمن هجر اللذات نال المنى ومـن أكبَّ على اللذات عضَّ على اليد[١]

ولهذا جرت العادة أن من ينغمس في النعيم، ويغرق في الترف – يكون أشد الناس كراهة للحروب، وأقلَّهم نبوغًا في العلم، وأبعدهم عن معاناة المشاق، وتحمل المصاعب.

«فإذا أنبتت بيئات الترف فتى يزدري النعيم والزينة، ويطمح بهمته إلى الشرف الصميم – كان فضله في الشجاعة أظهر، وإقدامه أدعى للإعجاب؛ ولذلك ترى الأدباء إذا أرادوا أن يجعلوا إعجابك بشجاعة الممدوح أبلغ – أشاروا إلى أن النعمة والزينة لا تذهب برجوليته، ولا تقعد به عن حماية الشرف والكرامة»[٢].

□ قال الحطيئة يمدح سعيد بن العاص:

إذا هَـمَّ بالأعـداء لم تَـثْنِ عزمَـه كعـابٌ عليهـا لؤلـؤٌ وشـنوفُ[٣]

---

(١) «الآداب الشرعية» (٣/ ٥٨٨).

(٢) «رسائل الإصلاح» (١/ ٨١).

(٣) الشنوف: مفردها الشنف، وهو القرط الأعلى.

حَصَان [١] لها في البيت زيٌّ وبهجةٌ ومشيٌ كما تمشي القطاة كتيفُ [٢][٣]

ولقد حدثنا التاريخ عن أفراد نشؤوا في بيوت توافرت فيها وسائل الرفاهية، ومع ذلك لم يكونوا بحال المترفين السادرين.

بل نشأوا وقد عظم في نفوسهم الطموح إلى معالي الأمور، فاحتقروا ما يسمى لذاتٍ حسيةً، وإن كانت طوع أيمانهم وشمائلهم، وأقبلوا على العلم أو على ضرب آخر من ضروب السيادة فأدركوا فيه غاية قصوى.

فهذا عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ قد نشأ في بيت إمارة، وحينما تولى الخلافة استطاع بما وهبه الله من الحكمة والروية، ألا يقيم للزينة والأطعمة الفاخرة وزنًا، فعاش عيشة الكفاف، وخزائن الأرض طوع يمينه.

ولما تجافى عن الترف والنعيم مع أنه يعيش في بحبوحته — دل ذلك على سمو نفسه، وعلو همته؛ فلذلك كان صيته أذكر، وشأنه أشهر، وتوفي وقد أبقى سيرةً غراء، وذكرًا أطيب من ريح المسك [٤].

وقل مثل ذلك في شأن ابنه عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز الذي كملت مروءته، وتناهى سؤدده، فكان مضرب المثل في العلم، والحلم،

---

(١) الحصان: العفيفة.

(٢) قوله: كما تمشي القطاة كتيف، يعني أنها قليلة المشي، مقاربة الخطو، ليست كمن اعتاد السير، والمعنى أن الممدوح إذا أراد الغزو فنهته امرأته عن ذلك مضى إلى سبيله ولم يلتفت إلى نهيها.

(٣) انظر «ديوان الحطيئة» (ص٢٥٦ – ٢٥٨).

(٤) انظر: «سيرة عمر بن عبد العزيز» لابن عبد الحكم نسخها وصححها وعلق عليها أحمد عبيد.

والشجاعة، والزهد، والعبادة مع أنه توفي وهو في التاسعة عشرة من عمره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولم يكن ذلك ليتم - بعد توفيق الله - إلَّا لأنه تجافى عن الترف والنعيم، وآثر الجد ومعالي الأمور (١).

وكذلك الحال بالنسبة للإمام أبي محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلقد نشأ في بيت وزارة في الأندلس، وتولى هو نفسه الوزارة، ثم نفض يده، وانقطع للازدياد من العلم، حتى ارتقى إلى طبقة كبار العلماء بنظر مستقل، وقلم بارع (٢).

٤٠- التوازن، وإعطاء كل ذي حق حقَّه:

فهذا مما يعين على أداء المسؤولية، وتحمل التبعة، وأداء الحقوق، والسلامة من اللوم والتعذال.

وهذا بدوره يعين الإنسان على تحقيق ما يرومه ويصبو إليه، كما أنه دليل على حزمه، ووعيه، وحكمته؛ فقوة الشخصية تبدو في القدرة على الموازنة بين الحقوق، والملائمة بين الواجبات، التي قد تتعارض أمام بعض الناس.

فالعاقل الحازم يستطيع أن يعطي كل ذي حقٍّ حقه دون أن يُلحق جورًا بأحد (٣).

---

(١) انظر: «سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز» لابن رجب الحنبلي تحقيق عفت وصال حمزة.

(٢) «محاضرات إسلامية» (ص١٤٤).

(٣) «الهمة العالية» (ص١٥٧).

٤١- استشارة العقلاء العاملين، والحذر من استشارة الحمقى والقاعدين:

* فالشورى أمرها عظيم، وشأنها جلل؛ فلقد نوَّه الله عز وجل بذكرها، وأثنى على المؤمنين بقيامهم بها، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

* وأمر نبيه ﷺ مع وفور عقله، وسداد رأيه، وعلو مكانته- أن يأخذ بالشورى، قال عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولهذا كان ﷺ كثير المشاورة لأصحابه.

فالعاقل اللبيب، ذو الهمة العالية، والنظرة الثاقبة – لا يستبد برأيه، ولا يعتد بنفسه بحيث يقوده ذلك إلى ترك المشورة.

بل إنه يشاور أهل العقول السليمة، والتجارب السالفة، ممن يجمعون بين العلم والعمل، والنصح والديانة.

فبالشورى تُشحذ القريحة، وتتلاقح الفِكَرُ، وتنمَّى المعارف، وتُقوَّى الأواصر بين المتشاورين.

والشورى تنفي عن العبد الغرور، والإعجاب بالنفس، وتفتح له الأبواب، وتزيل عنه الحيرة والاضطراب.

□ قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «نعم المؤازرة المشاورة، وبئس الاستعداد الاستبداد»(١).

□ وقال بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي نصيح أو نصيحة حازم

---

(١) «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص ٣٠٠).

ولا تجعل الشورى عليك غضاضةً فــإن الخــوافي قــوةٌ للقــوادم [1]

أما ترك الشورى، أو استشارة الحمقى – فدليل الغرور، وآية الجهل.

وكذلك استشارة القاعدين؛ فإنها تورث الكسل والتخذيل؛ لأن القاعد لن يتصور الأمور كما ينبغي، ولن يجد في نفسه انبعاثًا للمعالي؛ ففاقد الشيء لا يعطيه.

٤٢- قبول النقد البناء، والنصيحة الهادفة:

فالنقد، والنصيحة إذا صدرا من ناقد بصير، أو ناصح أمين، أراد بنقده البناء، ورام بنصحه الخير – كان جديرًا بمن توجه إليه ذلك أن يأخذ به، ويشرح صدره له، وأن يتقبله بقبول حسن؛ فذلك مما يدل على كرم النفس، وسعة الأفق، وعلو الشأن.

وهو في الوقت نفسه سبب لعلو الهمة، وارتفاع المنزلة، وتناهي الفضل، والترقي في مراتب الكمال.

بل ينبغي لمتطلب الكمال – خصوصًا إذا كان رأسًا مطاعًا- أن يتقدم إلى خواصه وثقاته، ومَنْ كان يسكن إلى عقله من خدمة وحاشيته – فيأمرهم أن يتفقدوا عيوبه ونقائصه، ويطلعوه عليها، ويعلموه بها؛ فهذا مما يبعثه إلى التنزه من العيوب، والتطهر من دنسها، وهذا مما يؤهله لعليا المراتب، والسير قدمًا في درجها.

□ قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ لمولاه مزاحم: «إن الولاة جعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عيني على نفسي؛ فإن سمعت مني كلمة

---

(١) «ديوان بشَّار بن برد».

تربأُ بي عنها، أو أفعالًا لا تحبها - فعِظني عنده، وانهني عنه»[١].

٤٣- انتهاز الفُرَص:

فإن الفرص ثمينة، وإن فواتها لا يعوض، وإن انتهازها لدليل الحزم، وعنوان العقل والجد.

«ومهما حفظ الإنسان من الحكم، وكانت رغباته صالحة - فلن تتحسن أخلاقه وتقوى إلَّا إذا انتهز كل فرصة تسنح له»[٢].

□ قال البارودي:

بادر الفرصة واحذر فوتها	فبلوغ العز في نيل الفرص
فابتدر مسعاك واعلم أن من	بادر الصيد مع الفجر قنص[٣]

٤٤- توطينُ النفس على الاعتدال حال السرَّاء والضَرَّاء:

يَحْسُن بذي الهمَّة والشرف الرفيع أن يُوَطِّن نفسه على لزوم الاعتدال حال السرَّاء والضَرَّاء؛ فذلك من مقوِّمات الهمة العالية، ومن مظاهر المروءة الصادقة.

* قال الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ﴾ [الحديد].

---

(١) «أقوال مأثورة» (ص٤٥٥).

(٢) «الأخلاق» (ص٣٨).

(٣) «ديوان البارودي» (ص٢٩٣)، وانظر: «الهمة العالية» (ص٢٤١).

* وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة].

□ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن تَلَمَّحَ بحر الدنيا، وعلم كيف تُتلقى الأمواج، وكيف يصبر على مدافعة الأيام – لم يستهولْ نزول بلاء، ولم يفرح بعاجل رخاء»[(١)].

□ قال أحدهم:

تجري الأمور على حكم القضاء ... طيٌّ الحوادث محبوبٌ ومكروهُ

وربما سرني ما كنت أحذره ... وربما ساءني ما كنت أرجوه [(٢)]

□ وقال الآخر:

ولا خير فيمن لا يوطِّنَ نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب [(٣)]

ومن هنا فذو الهمة والمروءة لا تبطره النعمة، ولا تُقَنِّطُهُ المصيبة، ولا تطيش به الولاية في زهو، ولا ينزل به العزل في حسرة، ولا يحمله الغنى على الأشر والبطر، ولا ينحط به الفقر إلى الذلة والخنوع.

□ قال كعب بن زهير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصيدته المشهورة –البردة–:

لا يفرحون إذا نالت رماحُهُمُ ... قومًا وليسوا مجازيعًا إذا نيلوا [(٤)]

---

(١) «صيد الخاطر» (٢/ ٢٤٣).

(٢) «جَنَّة الرضا في التسليم لِمَا قدّر الله وقضى» للغرناطي – تحقيق د. صلاح جرار (٣/ ٥٢).

(٣)

(٤) «الأصمعيات» (ص١٨٤).

«ديوان كعب بن زهير»، صنعه السكري، شرح ودراسة د. مفيد قميحة (ص١١٦).

فهو يمدح الصحابة ﭬ بأنهم لا يفرحون من نيلهم عدوًّا؛ فتلك عادتهم، ولا يجزعون إذا نالهم العدو؛ لأن عادتهم الصبر والثبات.

□ وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي:

كلا بلوتُ فلا النعماءُ تُبطرني ... ولا تَخَشَّعْتُ من لأوائها جزعا [١]

□ وقال البعيث:

ولست بمفراحٍ إذا الدهرُ سَرَّني ... ولا جازعٍ من صرفه المتقلب [٢]

□ وقال ذو الخِرَق الطُّهوي:

فيئي إليك فإنا معشر صُبُرٌ ... في الجدب لا خِفَّةٌ فينا ولا نزق [٣]

□ وقال علي بن المقرب العيوني:

فما أنا في السراء يومًا فَرُوحُها ... ولا أنا في الضراء يومًا جزوعُها [٤]

□ وقال سالم بن قتيبة: «ما تكبر في ولايته إلَّا من كَبُرت عنه، ولا تواضع لها إلَّا من كبر عنها»[٥].

□ وقال الإمام ابن قتيبة: «وفي كتاب كليلة ودمنة: ذو العقل لا تبطره المنزلة والسخيف يبطره أدنى منزلة، كالحشيش يحركه أضعف ريح والعز، وكالجبل لا يتزعزع وإن اشتدت به الريح»[٦].

---

(١) «مع الرعيل الأول» لمحب الدين الخطيب (ص١٧٤).
(٢) «عيون الأخبار» (١/ ٢٧٦)، وينسب البيت لتأبط شرًّا، انظر «عيون الأخبار» (١/ ٢٨١).
(٣) «الأصمعيات» (ص١٢٤).
(٤) «علي بن المقرني العيوني حياته - شعره» (ص٢٢٧).
(٥) «بهجة المجالس» (٢/ ٤٤٧).
(٦) «عيون الأخبار» (١/ ٢٨١).

□ وقال أحد الحكماء:

خلقـــان لا أرضى اخـــتلافهما	تيـــهُ الغنـــى ومذلـــةُ الفقـــرِ
فـــإذا غنيـــت فـــلا تكـــن بَطِـــرًا	وإذا افتقـــرت فَتِـــهْ عـــلى الـــدهر
واصـــبر فلـــست بواجـــدٍ خُلُقًـــا	أدنـــى إلى فـــرج مـــن الـــصبر [(١)]

□ فإذا لزم المرء هذه الطريقة؛ فلم يَخِفَّ عند السراء، ولم يتضعضع حال الضراء - فأحرِ به أن يعلو قدره، ويتناهى سؤدده، وتكمل مروءته.

ولهذا لو أمعنت النظر في تراجم العظماء من الرجال - لألفيت أن لهذه الخصلة نصيبًا وافرًا من سيرهم، ولأدركت أنها كانت سببًا كبيرًا في نبوغهم وألمعيتهم.

فهم يتلقون المسارَّ والمحابَّ بقبول لها، وشكر لله عليها، واستعمال لها بما ينفع، واستعانة بها على أمور الدين والدنيا؛ فيحصل لهم من جرَّاء الفرح بها، ورجاء خيرها وبركاتها - أمور عظيمة، تتضاعف بها مسراتهم.

ويتلقون المكاره، والمضار، والهموم، والغموم - بالرضا، والشجاعة، والاحتساب، وبالمقاومة لما يمكنهم مقاومتُه، وتخفيف ما يستطاع تخفيفه، وبالصبر الجميل لما لا بد لهم منه؛ فيحصل لهم من آثار المكاره - من الرضا، والصبر، والاحتساب، والتجارب، وصلابة العود - أمورٌ عظيمة تضمحل معها المكاره، وتحل محلها المسار، والآمال الطيبة [(٢)].

□ فهذا عمر بن عبد العزيز - على سبيل المثال - كان يقول: «أصبحت

(١) «عيون الأخبار» (١/ ٢٣٨).

(٢) انظر: «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» (ص٩- ١٤).

والسراء والضراء مطيَّتان على بابي، لا أبالي على أيهما ركبت»[١].

□ ويقول: «أصبحت ومالي سرور إلَّا في انتظار مواقع القدر؛ إن تكن السراء فعندي الشكر، أو تكن الضراء فعندي الصبر»[٢].

□ ولقد صدق رَحِمَهُ اللَّهُ فيما يقول؛ فقد لزم الاعتدال في جميع الأحوال، فكان شاكرًا في سرائه، متجملًا متجلدًا في ضرائه، متواضعًا في سيرته، شيمته الحلم، وزينته الصفح والعفو، لم تطِشْ به الولاية في زهو، ولم تنزل به المصائب في حسرة».

□ روي أن رجلًا نال من عمر بن عبد العزيز فلم يجبْه، فقيل له: «ما يمنعك منه؟ قال: التَّقيُّ مُلْجَمٌ»[٣].

□ وعن عبد الملك، أو قيس بن عبد الملك قال: «قام عمر بن عبدالعزيز إلى قائلته، وعرض له رجل بيده طومار[٤]، فظن القوم أنه يريد أمير المؤمنين، فخاف أن يحبس دونه، فرماه بالطومار، فالتفت عمر، فوقع في وجهه، فشجَّه.

قال: فنظرت إلى الدماء تسيل على وجهه وهو قائم في الشمس، فلم يبرح حتى قرأ الطومار، وأمر له بحاجته، وخلى سبيله»[٥].

---

(١) «الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الخائف الخاشع» لعمر بن محمد الخضر المعروف بالملاء، تحقيق د. محمد صدقي البورنو (٢/ ٤٣٦).

(٢) «الكتاب الجامع» (٢/ ٤٣٣- ٤٣٣) وانظر «سيرة عمر بن عبد العزيز» لابن عبد الحكم (ص٩٧)، و«جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٢٨٧).

(٣) «الكتاب الجامع» (٢/ ٤٢٤).

(٤) الطومار: صحيفة مطوية.

(٥) «الكتاب الجامع» (٢/ ٤٢٣- ٤٢٤).

□ وروي أن عمر عبد العزيز لما ولي الخلافة خرج ليلة في السحر إلى المسجد ومعه حَرَسِيٌّ، فمرَّ برجل نائم على الطريق، فعثُر به فقال له: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا.

فهمَّ الحرسيُّ به، فقال له عمر: مهْ؛ فإنه سألني أمجنون أنت؟ فقلت: لا»[(١)].

□ وعن الربيع بن سبرة قال: «لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز، وسهل بن عبد العزيز ومزاحم مولى عمر في أيام متتابعة — دخلتُ على عمر فقلت: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين، والله ما رأيت مثل ابنك ابنًا، ولا مثل أخيك أخًا، ولا مثل مولاك مولى قط، فطأطأ عمر رأسه.

فقال لي رجل معي على الوسادة: لقد هَيَّجْتَ عليه، قال: ثم رفع عمر رأسه، وقال: كيف قلت الآن يا ربيع؟ فأعدتُ عليه ما قلت أولًا.

فقال: لا والذي قضى عليهم بالموت ما أحب شيئًا من ذلك لم يكن»[(٢)].

□ وروي أن عمر بن عبد العزيز لما دفن ولده عبد الملك وعاد — مرَّ بقوم يرمون، فلما رأوه أمسكوا، فقال: ارموا ووقف، فرمى أحد الرامِيَيْنِ فأخرج [(٣)]، فقال له عمر: أخرجت فقصِّر، وقال للآخر: ارم، فرمى فقصَّر، فقال له عمر: قصَّرْت؛ فبلِّغ.

---

(١) «الكاتب الجامع» (٢/ ٤٣٦ - ٤٣٧).

(٢) «الكاتب الجامع» (٢/ ٤٢٧).

(٣) أخرج: أي كانت الرمية أبعد من الهدف، والتقصير بخلافه.

فقال له: مسلمة: يا أمير المؤمنين، أَتُفْرِغُ قلبك إلى ما تفرغت له، وإنما نَفَضْتَ يدك الآن من تراب قبر ابنك ولم تصل إلى منزلك؟

فقال له عمر: يا مسلمةُ، إنما الجزع قبل المصيبة، فإذا وقعت المصيبة فالْهُ عما نزل بك»(١).

□ وروي أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه بعض الناس يعزيه بموت ابنه عبد الملك، فقال عمر لكاتبه: «اكتب، ودقق القلم: أما بعد، فإن هذا أمر كنا وطَّنا نفوسنا عليه، فإذا نزل بنا لم نكرهه والسلام»(٢).

□ وعن الضحاك بن عثمان قال: «لما انصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك - صُفَّت له مراكب سليمان، فقال:

ولولا التقى ثم النُّهى خشيةَ الردى	لعاصيت في حبِّ الصبا كلَّ زاجر
قضى ما قضى فيها قضى ثم لا يرى	له صبوة أخرى الليالي الغوابر

ثم قال: ما شاء الله، لا قوة إلَّا بالله، قدموا إليَّ بغلتي»(٣).

ومن أكابر السادات، ومن ذوي الفضل والمروءات قيس بن عاصم المنقري؛ فلقد كان ذا نفس مطمئنة لا تزعزعها الأعاصير؛ فلقد وطَّنها على كل وارد يرد.

«قيل للأحنف بن قيس: ما أحلمك!

قال: تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري؛ بينا هو قاعد بفنائه،

---

(١) «الكتاب الجامع» (٢/ ٤٣٧).

(٢) «الكتاب الجامع» (٢/ ٤٣٧ - ٤٣٨).

(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ٨٠).

مُحْتَبٍ [١] بكسائه أَتَتهُ جماعةٌ فيهم مقتول، ومكتوف، وقيل له: هذا ابنك قتله ابن أخيك!

□ فوالله ما حلَّ حُبْوتَه حتى فرغ من كلامه، ثم التفت إلى ابن له في المجلس، فقال له: قُمْ فأطلقْ عن ابن عمك، ووارِ أخاك، واحمل إلى أمه مئةً من الإبل؛ فإنها غريبة، ثم أنشأ يقول:

إني امـرؤ لا شـائن حـسبي ... دنَـسٌ يُغـيِّرُه ولا أَفْـنُ [٢]

مـن منقـرٍ في بيـت مكرمـةٍ ... والغـصن يَنْبُـتُ حولـه الغُـصْنُ

خُطبـاءُ حـين يقـول قـائلهم ... بـيض الوجـوه أعِفَّـة لُـسْنُ

لا يَفْطَنـون لعيـب جـارِهِمُ ... وهـمُ لحفـظ جـواره فُطْـنُ

ثم أقبل على القاتل فقال: قتلت قرابتك، وقطعتَ رحمك، وأقللت عددك، لا يبعدِ الله غيرك» [٣].

وإذا أردت أعظم مثال للاعتدال حال السراء والضراء – فالق نظرة عجلى على سيرة نبينا محمد ﷺ.

وأقرب شاهد على ذلك أنه لم يَحِدْ عن سبيل الزهد في هذه الحياة قيد أنملة؛ فَعَيشُه يوم كان يتعبد في غار حراء كعيشه يوم أظَلَّت رايته البلاد

---

(١) محتب: من الاحتباء، وهو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره، ويشده عليها، وقد يكون الاحتباء بالعمامة أو اليدين عوض الثوب، ويقال: احتبى الرجل وإذا جمع ظهره وساقيه بثوبه، أو يديه، أو عمامته. انظر: «لسان العرب» (١٤/ ١٦١).

(٢) أفن: الأفن النقص.

(٣) «عيون الأخبار» (١/ ٢٨٦).

العربية، وأطَلَّت على ممالك قيصر من ناحية تبوك.

وكذلك مضاؤه في سبيل الدعوة، فقد قام يدعو إلى الهدى ودين الحق، ويلقى من الطغام والطغاة أذى كثيرًا، فيضرب عنه صفحًا أو عفوًا، ويمضي في سبيله لا يأخذه يأس، ولا يقعد به ملل، ولا يثنيه جزع.

وقد ظهر دين الله، وعلت كلمته بهذا العزم الذي تخمد النار ولا يخمد، وينام المشرفي ولا ينام[١].

□ قال ابن القيم: «فإذا جئت إلى النبي ﷺ وتأملت سيرته مع قومه، وصبره في الله، واحتماله ما لم يحتمله نبي قبله، وتلوُّن الأحوال عليه، من سلْمٍ، وخوف، وغنًى، وفقر، وأمن، وإقامة في وطنه، وظعن عنه، وتركه لله، وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى من القول، والفعل، والسحر، والكذب، والافتراء عليه، والبهتان، وهو مع ذلك صابر على أمر الله، يدعو إلى الله. فلم يؤذَ نبي ما أوذي، ولم يحتمل في الله ما احتمله، ولم يعط نبي ما أعطيه، فرفع الله له ذكره، وجعله أقربَ الخلق إليه وسيلةً، وأعظمهم عنده جاهًا، وأسمعهم عنده شفاعةً، وكانت تلك المحن والابتلاء عَيْنَ كرامته، وهي ممَّا زاده الله به شرفًا وفضلًا، وساقه بها إلى أعْلَى المقامات»[٢].

٤٥- طبيعة الإنسان[٣]:

فهناك من الناس من جُبل على علو الهمة، فلا يرضى بالدون، ولا يقنع

---

(١) انظر: «العظمة» (ص٢٥- ٢٦)، «الاستقامة» لابن تيمية (٢/ ٢٧١- ٢٨١).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٣٠١)، و«الهمة العالية» (ص٢٢٣- ٢٣٠).

(٣) هذه الأسباب مأخوذة من كتاب «الهمة العالية» لمحمد بن إبراهيم الحمد.

بالقليل، ولا يلتفت إلى الصغائر، ولا تغدو بِلُبِّهِ الدنايا ومحقرات الأمور.

ولهذا قيل: «ذو الهمة إن حُطَّ فنفسه تأبى إلَّا عُلوًّا، كالشعلة في النار يصوِّبها صاحبها وتأبى إلَّا ارتفاعًا»[١].

□ قال عمر بن عبد العزيز: «إن لي نفسًا تَوَّاقَةً؛ لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نِلْتُها تاقت إلى الخلافة، فلما نِلْتُها تاقت إلى الجنة!»[٢].

□ وقال بعضهم:

أمطـري لؤلـؤًا جبـال سرنديـــ ـــب وفيـضي آبـارَ تكـرورَ تـبرا

أنـا إن عـشتُ لـست أعـدم قُوْتًـا وإذا مــتُّ لــست أعــدم قــبرا

همتــي همــةُ الملــوكِ ونفــسي نفـسُ حـرٍّ تـرى المذلـة كفـرا[٣]

□ وقال أبو فراس الحمداني:

إني أبيــت قليــل النــوم أرَّقنــي قلبٌ تصارع فيـه الهـمُّ والهِمَـمُ[٤]

٤٦- أثر الوالدين، ودورهما في التربية الصحيحة:

فأثر الوالدين في التربية عظيم، ودورهما في إعلاء همم الأولاد خطير وجسيم؛ فإذا كان الوالدان قدوة في الخير، وحرصا على تربية الأولاد، واجتهدا في تنشئتهم على كريم الخلال وحميد الخصال، مع تجنيبهم ما ينافي ذلك من مساوئ الأخلاق ومرذول الأعمال – فإن لذلك أثرًا عظيمًا في

(١) «عيون الأخبار» (١/ ٢٣٣).

(٢) «عيون الأخبار» (١/ ٢٣١).

(٣) «ديوان الشافعي» (ص٤٤).

(٤) «ديوان أبي فراس الحمداني» (ص١٥٦).

نفوس الأولاد؛ لأن الأولاد سَيَشِبُّون - بإذن الله- متعشقين للبطولة، محبين لمعالي الأمور، متصفين بمكارم الأخلاق، مبغضين لسفساف الأمور، نافرين عن مساوئ الأخلاق»[١].

ثم إن صلاح الآباء يدرك الأبناء، بل إن نبوغ الآباء يؤثر أيما تأثير في نفوس الأولاد؛ فمما يهيئ الناشئ للنبوغ «أن يسبقه أب أو جد بالنبوغ؛ فإن كثرة تردد اسم سلفه العبقري على سمعه، ومطالعته لبعض آثار عبقريته - يثيران همته، ويرهفان عزمه لأن يظفر بما ظفر به سلفه من منزلة شامخة وذكر مجيد»[٢].

ولا أدل على عظم شأن الوالدين في التربية، وأثرهما البالغ في نفوس الأولاد من حال سلفنا الصالح الذين خرجوا لنا أكرم جيل، وقدموا لنا أفضل رعيل، لا يدانيهم أحد في الفضل، ولا يُبلغ شأوهم في النبل.

فمن كان وراء هؤلاء الأبطال؟ ومن الذي صنع أولئك الرجال؟

إننا لو سبرنا أحوالهم، وتتبعنا سيرهم - لوجدنا أن وراء كل واحد منهم أبًا عظيمًا، أو أمًّا عظيمة، يربون أولادهم على تطلاب الكمال، ونشدان المعالي.

□ فهذا أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه تنقل في تربيته بين صدرين مِنْ أملا صدور العالمين حكمة، وأحفلها بجلال الخلال، وكريم الخصال، فكان مغذاه على أمه فاطمة بنت أسد، ومراحه على أم

---

(١) انظر: «التقصير في تربية الأولاد المظاهر - سبل الوقاية والعلاج» لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص٥٠- ٩٢).

(٢) «رسائل الإصلاح» (١/ ١٨٠).

المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها»[(١)].

وهذا أمير المؤمنين، أريب العرب، وألمعيُّها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من كان وراءه؟ لقد كان وراءه أم عظيمة هي هند بنت عتبة وهي القائلة – وقد قيل لها ومعاوية وليد بين يديها: إن عاش ساد قومه – قالت: ثكلته إن لم يسد إلَّا قومه.

وكان معاوية إذا نوزع الفخر بالمقدرة، وجوذب بالمباهاة بالرأي انتسب إلى أمه، فصدع أسماع خصمه بقوله: أنا ابن هند! [(٢)].

[وهكذا أبوه له شأن عظيم في الجاهلية والإسلام][(٣)].

وهذا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه كان وراءه أمٌّ عظيمة كريمة شجاعة، وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

□ وهي القائلة – وقد نعي إليها ابنها عبد الله –: «ما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل».

□ وهي القائلة أيضًا قبل ذلك عندما استشارها ابنها عبد الله بن الزبير في قتال الحجاج: «اذهب؛ فوالله لضربة بالسيف على عز – أفضل من ضربة بالسوط على ذل»[(٤)].

---

(١) انظر صفحات من «سيرة الأم المسلمة» للشيخ د. محمد بن أحمد بن إسماعيل (ص٧٩).

(٢) المرجع السابق.

(٣) «من تعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز على كتابه «الهمة العالية» لمحمد بن إبراهيم الحمد.

(٤) انظر: «عودة الحجاب» د. محمد بن إسماعيل (٢/ ١٣٦ – ١٤٦)، وانظر: «التقصير في تربية الأولاد» لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص٤١ – ٤٧).

[وهكذا أبوه الزبير له شأن عظيم وكان حواري النبي ﷺ][١].

٤٧- النشأة في مجتمع مليء بالقمم:

فمن بواعث الهمة، ومهيئات النبوغ - أن يشب الناشئ الذكي في مجتمع مليء بالقمم الحقيقية من الأبطال المجاهدين، والعلماء العاملين؛ فهذا مما يحرك همته، ويبعث عزمته؛ كي يحذو حذوهم، ويسير على منوالهم.

٤٨- تقدير النوابغ، ورعاية المواهب:

فالنوابغ يحتاجون إلى توجيه مستمر، وإلى رعاية وصيانة، وإلى أن تُهَيَّأَ لهم مقوماتُ النبوغ والألمعية.

فإذا نشأ الألمعي النابغة في مجتمع يَقْدُرُهُ قَدْرَه، وينظر إليه بعين الإكبار والتَّجِلَّة - هَفَتْ نفسُه لكل فضيلة، ورَنَتْ عينه إلى كل بطولة، فيزداد بذلك جدًّا في الطلب، وسعيًا إلى أقصى درجات الكمال.

ولهذا فلا عجب أن يظهر النابغون في العلم، والأدب، والشجاعة في بلاد الأندلس؛ لأن أهلها يعظمون من عظمه علمه، ويرفعون من رفعه أدبه.

وكذلك سيرتهم في رجال الحرب، يقدمون من قَدَّمَتْهُ شجاعتُه، وعظمت في الحروب مكايده[٢].

---

(١) «من تعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز على كتاب «الهمة العالية» للحَمَد.

(٢) «رسائل الإصلاح» (١/ ١٨٠).

٤٩- وجود المربين الأفذاذ، والمعلمين القدوات:

الذين يستحضرون عظم المسؤولية، ويستشعرون ضخامة الأمانة، والذين يتَّسمون ببعد النظرة، وعلو الهمة، وسعة الأفق، وحسن الخلق، والذين يتحلون بالحلم والعلم، والصبر والشجاعة، وكرم النفس والسماحة.

فأثر هؤلاء في التربية كبير، ودورهم الذي يقومون به غير يسير؛ فالواحد من هؤلاء الأفذاذ ممن اجتمع له ما اجتمع من خصال الخير، ومن معاني السمو والألمعية – لا بد أن يتأثر به طلابه، وأن ينطبعوا بطابعه؛ لأنه سيربيهم على معالي الأمور، ومكارم الأخلاق، والتطلع للكمالات.

فإن أتيت للعلم وجدته يفتح لهم أبوابه، ويشحذ قرائحهم لفهم معانيه، وإدراك مراميه، ورأيته يطلق لهم العنان في البحث، ويردهم إلى الصواب برفق إن أخطأوا، ويُثني عليهم إن ناقشوا فأصابوا.

بل إنه سيحرص جهده على أن يكون من تحت يده خيرًا منه، فلن يقف حجر عثرة أمام طلابه، ولن يجد في نفسه غضاضة أن يتفوق أحدهم عليه.

وما ذلك إلَّا لكرم نفسه، وعلو همته، وسعة أفقه، ولأنه يسعى للإصلاح، ويروم رفع الغشاوة عن الناس، ولأنه يعمل للآخرة، ويعلم أن أجره سيدوم ويتضاعف إذا هو خرَّج طلابًا يخلفونه في العلم، وينشرون ما تلقوه على يديه.

«يقص علينا التاريخ أنَّ في الأساتذة من يحرص على أن يرتقي تلاميذه

في العلم إلى الذروة، ولا يجد في نفسه حرجًا من أن يظهر عليه أحدهم في بحث أو محاورة.

يذكرون أن العلامة أبا عبد الله الشريف التلمساني كان يحمل كلام الطلبة على أحسن وجوهه، ويبرزه في أحسن صوره.

ويروى أن أبا عبد الله هذا كان قد تجاذب مع أستاذه أبي زيد ابن الإمام الكلامَ في مسألة، وطال البحث اعتراضًا وجوابًا، حتى ظهر أبو عبد الله على أستاذه أبي زيد، فاعترف له الأستاذ بالإصابة، وأنشد مداعبًا:

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني»[١]

وإن أتيت للمجالات الأخرى وجدت هذا المربي الفاضل يربيهم على خلق العدل، وفضيلة الإنصاف، والتجافي عن ساقط القول ومرذوله.

وستجده أيضًا يربيهم على خلق الشجاعة، وصرامة العزم، وعزة النفس، وإباءة الضيم، كما أنه سيربيهم على التواضع الجم، والبعد عن الإعجاب والتعالي على عباد الله.

فإذا تربى الطلاب على الدين القويم، ووصلت معانيه إليهم من طريقها الصحيح، وقام على التربية معلمون ربانيون مخلصون – رسخت الفضائل في نفوسهم، وَقَرَّتْ بها قرار ذات الصدع تحت ذات الرجع، فلا ترى من جرَّاء تلك التربية إلَّا حياءً وعفافًا، وأمانة وصدقًا، واستصغارًا للعظائم، وغيرة على المصالح، وما شئت بعدُ من عزة النفس، وكبر الهمة.

تلك الخصال التي لا تنبت أصولها، ولا تعلو فروعها إلَّا أن يتفيأ

---

(١) «رسائل الإصلاح» (١/ ٤٤).

عليها ظلال الهداية ذات اليمين وذات الشمال؛ فالإسلام دين ينير العقول بالحجة، ويهذب النفوس بالحكمة.

وكم أخرجت مدارسه، أو مجالس القوامين على هدايته من رجال يلاقون الأسود فيصرعونها، ويجارون الرياح فيسبقونها، يخفضون أجنحتهم؛ تواضعًا للمستضعفين، ويرفعون رؤوسهم؛ عزة على الجبارين، تعترضهم الأخطار فيخوضون غمارها، وتَعْتَلُّ قلوب أو عقول فيضعون الدواء موضع عللها، عدل كأنه القسطاس المستقيم، وسخاء كأنه الغيث النافع العميم، وجدٌّ في طلب العلم وإن كان بمناط الثريا، وطموح إلى المعالي وإن انتبذت وراء الفلك الدوَّار مكانًا قَصيًّا»[(١)].

□ قال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللَّهُ في وصيته للمعلمين: «ثم احرصوا على أن يكون ما تلقونه لتلامذتكم من الأقوال منطبقًا على ما يرونه ويشهدونه منكم من الأعمال؛ فإن الناشئَ الصغير مرهف الحس، طُلَعَةٌ إلى مثل هذه الدقائق التي تغفلون عنها، ولا ينالها اهتمامُكم.

وإنه قوي الإدراك للمعايب والكمالات، فإذا زيَّنتم له الصدق فكونوا صادقين، وإذا حسَّنتم له الصبر فكونوا من الصابرين.

واعلموا أن كلَّ نقْشٍ تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشًا في نفوسكم - فهو زائل، وأن كل صبغ تنفضونه على أرواحهم من قبل أن يكون متغلغلًا في أرواحكم فهو - لا محالة - ناصل حائل، وأن كل سحر تنفثونه لاستنزالهم غير الصدق فهو باطل.

ألا إن رأس مال التلميذ هو ما يأخذه عنكم من الأخلاق الصالحة

---

(١) انظر: «رسائل الإصلاح» (١/ ٢٤، ٥٦١)، و«فيض الخاطر» (٦/ ١٢٧- ١٢٨).

بالقدوة، وأما ما يأخذه عنكم بالتلقين من العلم والمعرفة – فهو ربح وفائدة»[١].

٥٠- التشجيع:

وقد سبق في الفقرات الماضية ذكر لشيء من ذلك.

والتشجيع بمعناه العام لا يختص بالنوابغ فحسب، ولا يقتصر على المربين والمعلمين، بل هو عام للنوابغ وغيرهم، في العلم أو في أي مجال آخر.

وهو كذلك ليس مسؤوليةَ المربين والمعلمين، بل هو يقع على عاتق كل أحد يستطيع ذلك، سواء من المعلمين أو المربين، أو الوالدين، أو الرؤساء أو غيرهم.

بل هو مسؤولية عامة الناس؛ فبإمكانهم أن يحرِّضوا على الخير، ويعينوا على البر.

فيجدر بمن يستطيع القيام بذلك أن يقوم به، من خلال الكلمة الطيبة، أو المبادرة بالهدية، أو من خلال رسالة الشكر والتقدير، أو غير ذلك.

فلذلك الصنيع أثره البالغ في رفع الهمم، وتنمية المهارة، والشعور بالثقة؛ ذلك أن الناس مجبولون على محبة التشجيع والدعم والشكر.

ولهذا لو تتبعنا سير العلماء والمصلحين، والمجاهدين، ثم بحثنا عن سر

---

(١)«عيون البصائر» لمحمد البشير الإبراهيمي (ص٢٩١)، وانظر كلامًا جميلًا حول هذا المعنى في «عيون البصائر» (ص٢٨٨- ٣٠٠)، وآثار محمد البشير الإبراهيمي (١/ ١٦١-١٦٦).

نبوغهم وألمعيتهم – لوجدنا أن كثيرًا منهم قد نال بسبب كلمة سمعها فَغَيَّرت مسار حياته، أو كانت سببًا في ثباته، وصبره، واستشعاره للمسؤولية، أو نحو ذلك.

وقد يصدر ذلك من بعض العامة، فيكون له وقعه وأثره.

□ عن حسين الكرابيسي قال: «سمعت الشافعي يقول: كنت امرءً أكتب الشعر، وآتي البوادي فأسمع منهم، وقدمت مكة وأنا أتمثل بشعر للبيد، وأضرب وحشي قدمي بالسوط، فضربني رجل من ورائي من الحجبة فقال: رجل من قريش، ثم ابن المطلب رضي من دينه ودنياه أن يكون مُعَلِّمًا!! ما الشعر؟

الشعر إذا استحكمت فيه قعدت معلمًا؛ تَفَقَّهْ يُعْلِكَ الله.

قال: فنفعني الله بكلام ذلك الحجبي، ورجعت إلى مكة، وكتبت عن ابن عيينة ما شاء الله أن أكتب، ثم كنت أجالس مسلم بن خالد بن عبدالله الزنجي، ثم قدمت على مالك في المدينة، فكتبت موطأه»(١).

وهذا الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ لما ابتلي بفتنة القول بخلق القرآن كان من أسباب ثباته رجل من عامة الناس، بل هو لص طرار.

□ قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: «كنت كثيرًا أسمع والدي يقول: رحم الله أبا الهيثم، غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم.

فقلت: يا أبه، مَنْ أبو الهيثم؟

فقال: لما أُخرِجْتُ للسياط، ومُدَّتْ يداي للعقابين إذا أنا بشاب يجذب

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ١٦٥).

ثوبي من ورائي، ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا.

قال أنا أبو الهيثم العيَّار، اللص الطرَّار، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضُربتُ ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان؛ لأجل الدنيا؛ فاصبر أنت في طاعة الرحمن؛ لأجل الدين»[١].

٥١- التوجيه السليم ومراعاة الميول:

فلهذا الأمر أبلغ الأثر في علو الهمم، وشرف المقاصد، ونيل المآرب؛ ذلك أن نفوس الناس تختلف، ومشاربهم لا تأتلف؛ فكل نفس تميل إلى ما يوافق طبعها، وقد علم كل أناس مشربهم، وكل ميسر لما خلق له.

فهناك من الناس من همته عالية، وإرادته قوية، ولكنه ينزع بها إلى الشر والفساد، كحال بعض المجرمين الذين إذا عزموا على نوع من الإجرام لا يثني عزمهم شيء، بل إن إرادتهم قد تَفْضُل إرادة كثير من الأخيار في قوتها، ولكن عيبهم سوء الوجهة، وقلة المرشد الناصح.

فإذا ما وُجِّهت للخير، وحولت له كانت قوية في الخير كما هي قوية في الشر[٢].

وكذلك الحال بالنسبة لكثير من الناس، فقد يتوجه لمجال لا يلائم ميوله، ولا يناسب مواهبه، ومن هنا فلن تجد له إبداعًا، ولا تفوقًا.

فإذا حُوِّل إلى ما يناسبه، ووجه إلى ما يلائمه أبدع أيما إبداع؛ فلا يعني كوننا لا نبدع في كل شيء أننا لا نصلح لأي شيء[٣].

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٢٢٩- ٣٣٠).

(٢) انظر: «الأخلاق» (ص٥٥).

(٣) انظر: «قوة الإرادة وطرق تنميتها» د. صلاح مراد (ص٣٤).

٥٢- الإعلام:

فالإعلام له دور خطير، وأثر بالغ في توجيه الناس، والتأثير فيهم، فإذا ما وضع في أيدٍ أمينة، وحَكَمَتْه سياسة بناءة هادفة، تعلي منارات الهدى، وترفع ألوية الفضيلة، وتحمي المجتمعات من عوامل الفساد، وتحرص على رفع الأعلام، وحط الأقزام - فإن لذلك أبلغَ الأثر في علو الهمم، ورفعة الأمم.

٥٣- دور الأُدباء والمُفَكّرين:

* قد رفع الله شأن الكتابة والبيان حين قال تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ [القلم]، والقسم بها تعظيم لقيمتها في قيادة الأمة قيادة رشيدة على منهج الله عز وجل.

* ولقد مجَّد الله قيمة القلم في أول لحظة من لحظات الرسالة المحمديَّة؛ في أوَّل سورة من سور القرآن الكريم: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق].

* وامتن الله على الإنسان فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن].

فكيف إذا كان البيان أرقى البيان معنًى ولفظًا.

ولا ينكر أحد دور حسّان بن ثابت رضي الله عنه شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم المُؤَيَّد بروح القدس الذي كان كلامه على الكافرين أشد من رَشق النبْل، وشَفَى واشتفى، وكعب بن مالك رضي الله عنه الصحابي الشاعر الذي يُهَدِّدُ دَوْسًا ببيت شعر فَتُسْلِمَ:

قَواطِعُهُنَّ دَوْسًا أوْ ثقيفَا ... نُخَيِّرُها ولو نطقتْ لقالَتْ

• وفي الحديث عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكعب: «**ما نسِيَ ربك**

لك – **وما كان ربُّك نَسِيًّا بيتًا قلتَهُ**»، قال: وما هو؟ قال: «**أنشده يا أبا بكر**» فقال:

زعَمَتْ سَخِينَةُ أنْ سَتَغْلِبُ ربَّها ... وَليُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغُلَّاب

وعبد الله بن رواحة الصحابي الجليل رضي الله عنه.

□ قال محمد بن سيرين: «كان حسَّان وكعب يُعَارِضانِهم بمثل قولهم: بالوقائع والأيام والمآثِر، ويُعيِّرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رَواحَة يُعَيِّرُهم بالكُفْرِ، فكان في ذلك الزمان أشدُّ القول عليهم قول حسان وكعب، وأهونُ القول قول عبد الله بن رواحة، فلما أسلموا وفَقِهوا الإسلام، كان أشدُّ القول عليهم قول ابن رواحة».

□ وقال صلاح الدين الأيوبي عن كاتبه العظيم والأديب الكبير القاضي الفاضل عبد الرحيم البِيْساني: «والله ما أخذتِ البلادُ بالعساكِرِ، بل برسائل القاضي الفاضل». وذاك هو وِسام صلاح الدين يُكرِّم به كاتِبَه، بل يُكَرِّم به الأدب والأدباء، ويُظهر أثر الكلمة الطيبة الهادفة في إصلاح شؤون الأمَّة ونفي الخبث عنها، وتوحيد صفوفها، ورَفْعِها إلى مستوى معركة المصير التي أحسن صلاح الدين الإعدادَ لها حتى استردَّ بيت المقدس»[1].

□ وقال عنه ابن كثير: «ولما استقرَّ المَلِكُ صلاحُ الدِّين بمصر جَعَلَه كاتبَه وصاحِبَه ووزيرَه وجَليسَه وأنيسه، وكان أعزَّ عليه من أهله وأولادِه، وتساعَدَا على فتح الأقاليم والبلاد، هذا بِحُسَامِه وسِنانه، وهذا بقلمه

---

(١) مجلة «الأدب الإسلامي» – العدد الثامن (ص١).

ولِسَانه وبيانه»[1].

□ وبسمو الأدب تسمو الأمم وتعلو همتها، وعلى النقيض بسفول الأدباء والمفكرين وعمالتهم للصليبيين والمستشرقين تدمَّر الأمم.. فدناءة همة المفكِّرين والأدباء وتطاولهم على ثوابت الدين وماضي الأمة وتاريخها ورموزها تسقط الأمة بسبب هذا الطابور الخامس الذي..

يُرَمْرِم من فُتات الكُفْرِ قوتا ... ويلعقُ مِن كُؤوسِهمُ الثمالةْ

يُقَبِّل راحةَ الإفْرِنْجِ دَوماً ... ويلْثَمُ دونما خَجَلٍ نِعالَه

والواقع المُرّ الذي تعيشه الأمة خير شاهد على دور المفكرين والأدباء في حياة الأمم وعُلُوِّ همتها، أو موتها بسفول ودناءة همتها.

□ في القرون الخيرية علا صوت حسان وكعب وابن رواحة ومن سار على دربهم، وفي مستنقعنا الآسن على صوت أدونيس، وعبد الوهاب البياتي، وأحمد عبد المعطي حجازي..

أنتَ القتيلُ بِكُلِّ مَن أحببتَهُ ... فاختر لنفسِك في الهوى من تصطفي

الصفحات السُّودُ لمدارس التغريب والحداثة والتنوير كما عرضتها وثائق الاستخبارات الغربية:

□ كتاب «الصفحات السود لمدرسة التغريب والحداثة والتنوير» لمؤلفه الباحث محمد عبد الشافي القوصي؛ يفتح أشد ملفات الحداثيين خطورة، بالوثائق والأسماء بكل صراحة، حيث أظهر الكتاب تلك التوجهات الفكرية المشهورة طوال القرن العشرين.

---

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٧-٢٨).

أحسب أن هذا الكتاب بمنزلة حصاد مرحلة، وشهادة عصر، ورسالة للأمة، وخلاصة رحلات ولقاءات وحوارات وقراءات متنوعة اضطلع بها المؤلف للبحث عن الحقيقة المجردة، والوقوف على معالم الحق.

كشف مؤلفه عن «تجليات المشهد التغريبي في العالم العربي» كما عرضته وثائق الاستخبارات الأجنبية بشهادة الشهود! وحجم الخطر الذي نقله أكابر التغريبيين العرب وسدنة العلمنة، أمثال: أنطون فرح، وسلامة موسى، ولطفي السيد، وطه حسين، ولويس عوض، وأدونيس، ويوسف الخال، وكمال أبو ديب، وصلاح عبد الصبور، وعبد المعطي حجازي، والبياتي، والسياب، وجابر عصفور، وغيرهم من حملة لواء التغريب!

فهو وثيقة مهمة وحجة واضحة، ودليل إدانة لمدارس «التبعية والتغريب والعلمنة التي حولت الثقافة والأدب غالبًا إلى حرب تهاجم الإسلام والمسلمين، وحوّلوا الفكر والفن إلى هتاف وصياح وصرخات تشنجية، ومارسوا أسلوب الإرهاب الفكري في وجه مخالفيهم، ومن ثَم أصبح الأدب لونًا من ألوان المطاردة العنيفة لكل ما هو جاد وأصيل، حتى وجد المخلصون أنفسهم محصورين في زوايا ضيقة، ومرغَمين على الاستسلام والصمت، وخلا الميدان إلَّا من التغريبيين والعازفين على أوتار القيثارة الرسمية.

ولعل صفحات هذا الكتاب الذي بين أيدينا تروي صورًا ومشاهد حية عن «المجتمع المغرَّب» في ميادين الفكر والثقافة والأدب؛ فهناك من يطالب بإزاحة اللغة العربية من الوجود طلبًا للنهضة التي ينشدها،

وهناك من يدعو إلى التخلص من تراثنا لتحقيق الحداثة والتنوير، وهناك من يتجرأ على المقدسات من أجل تحقيق عالمية الأدب، وغير ذلك من الوقائع المخزية والمشاهد الفاضحة التي يمارسها عبيد الحضارة الغربية.

الحرب على لغة القرآن:

يتساءل المؤلف بحسرة: هل إعلان الحرب على اللغة العربية والسخرية منها، وعزلها، بل ومحاولة التخلص منها ومن كل ما يتعلق بها: هل يعد هذا من فنون «الحداثة» وطرائق «التنوير» و«الليبرالية» التي يتغنَّى بها القوم، ويدعون الناس إلى اعتناقها؟! ولِمَ لم يتوقف الهجوم على اللغة العربية يومًا واحدًا منذ أن وطئ الاحتلال الأجنبي الوطن العربي، وحتى بعد رحيله؟!

ثم يجيب قائلًا: إذا كان القوم يزعمون أن اللغة الفصحى عاجزة عن أن تكون لغة العلم والفكر والثقافة والحضارة؛ فهل اللهجات العامية أقدر منها في هذه الميادين؟

بالطبع لا، لكن الأمر بخلاف ما يزعمه القوم؛ فأوروبا ودول الغرب بصفة عامة أدركت منذ الحروب الصليبية قوة الإسلام حضارة وتاريخًا وفكرًا وثقافة، وأيقنوا أن المسلمين إذا أحسنوا صِلتهم بالفكر والثقافة الإسلامية: فلن تكون في الأرض قوة تضارع قوتهم؛ وذلك لما حوته الحضارة والثقافة الإسلامية من القوى الروحية والمعنوية الربانية.

ويشير المؤلف إلى أنه في إطار كراهية أوروبا للإسلام وخوفها منه: كرهت كل ما يتصل بالإسلام ووقفت أمامه وجهًا لوجه، ومن ذلك اللغة العربية الفصحى؛ فهي لسان التنزيل ووعاء الإسلام، وعامل من

أكبر العوامل لتجميع المسلمين وتوحيد صفوفهم، وقيام الروابط القوية بينهم، وأوروبا تخشى وحدة المسلمين، وتعمل بكل وسيلة على تفتيتها بالقوميات والطائفيات.

□ ويؤكد المؤلف أن الحرب على لغة القرآن لم تتوقف بهلاك هؤلاء المرجفين القدامى، بل ما زالت جذوتها مستعرة إلى يومنا هذا: فهاهم الحداثيون ودعاة التغريب لا يألون جهدًا في مقاومة اللغة العربية وآدابها، ومحاولة وأْدِها والتخلص منها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

□ بعد أن عرض المؤلف صورًا مختلفة لألوان التبعية الفكرية والثقافية في مختلف الميادين؛ يتساءل قائلًا: تُرى: ماذا كانت نتيجة هذه التبعية للمذاهب الأدبية الغربية؟ وما ثمرة الهرولة وراء كل بدعة فكرية أو فلسفة أدبية جديدة؟ وما الخطورة التي ترتبت على الدعوة إلى تجديد الشعر في العصر الحديث؟ ولماذا فشلت كل هذه المحاولات، على الرغم من الجهود المضنية التي بذلها الشعراء والنقاد من أصحاب هذا الاتجاه؟

□ وقد تأثرت الحياة الثقافية والفكرية بهذه الموجات الطاغية من المذاهب الغربية: ففسد المناخ الأدبي في بلدان العالم العربي، وشوهت الحياة الفكرية وغابت رؤاها.

□ وضمن حصار التبعية والتغريب – كما يقول المؤلف-: «نرى الأدب الحديث في بلادنا – بكل أجناسه- ازداد تأثرًا بهذه المذاهب، وتحوَّل بعضه على يد «المتغربين» إلى دعوات فاجرة وهجوم شرس على العقيدة الإسلامية وتراثها، فلم يقتصر التأثير على استعارة الأدوات الفنية، بل امتد إلى الخلفيات الفكرية والفلسفية التي تصدر عنها المذاهب

الأدبية الغربية، وصدرت قصص ودواوين تحمل صورتها وتدعو إليها صراحة وضمنًا.

كما توزّع قسم من أدبنا خلف الأيديولوجيات الكثيرة المختلفة، ووجدت الماركسية قبل سقوطها أدباء يجسدون أفكارها، ويدعون من خلال أعمالهم الأدبية إلى الالتحاق بها.

ووجدت الكتلة الغربية أبواقًا تدعو بقوة إلى اعتناق حضارتها وتقليد فنونها وآدابها، بل عن النصرانية التي هُزمت في بلادها وعُزلت عن الحياة دخلت بفضل الغزو الثقافي إلى إنتاج عدد كبير من أدبائنا ومثقفينا. وقد خلَّف هذا التيار وذاك آثارًا كبيرة في الأدب المعاصر، وفي مقدمتها: الرموز النصرانية المتفشية في الشعر الحديث، وقصص الإنجيل التي أصبحت مادة أساسية لعدد من الشعراء والقصاصين.

ومما يزيد الطين بِلَّة، ظهور أعمال أدبية تعبث بالقيم الإسلامية، كما ظهر في الأدب العربي الحديث؛ نحو العبث بالمفاهيم الدينية العليا، والاستخفاف بمقام الألوهية!

وهكذا اختلطت الأصوات وتوزّع قسم وافر من أدبنا المعاصر وراء المذاهب الأدبية الغربية، وحمل أدواتها الفنية من جهة، وقيمها وتصوراتها من جهة أخرى؛ ففقد كثيرًا من ملامح الشخصية العربية الإسلامية، وتحوَّل إلى أداة تهاجم الإسلام والمسلمين بشكل سافر، وتتطاول على المقدسات بوقاحة كبيرة.

وهذا هو السبب الرئيس وراء تراجع الأدب العربي عن موقع الريادة، ومن ثم تفوقت الآداب الأخرى عليه في الحقبة الأخيرة؛ وذلك لأن

الأدب العربي الحديث انحرف عن طريقه الطبيعي بما دخل عليه من مفاهيم وقيم وافدة من ناحية المضمون، وبما اصطنع من أساليب غربية من ناحية الأداء.

وانطلق دعاة التغريب يرددون بوعي وبدون وعي: أن الأدب العربي له استقلاليته عن الفكر الإسلامي، وله حريته في مجال الأداء دون اعتبار للمسؤولية الأخلاقية والحدود والضوابط التي قررها الإسلام للمجتمع، وهذه أخطر السهام المسمومة التي أصابت الأدب العربي الحديث والمعاصر، فضلًا عن تبعيته المطلقة للآخر.

فأمتنا تشهد اليوم انسلاخًا حضاريًا وهجومًا كبيرًا على أيدي هؤلاء القوم، ومن ذلك ما يرددونه من زخرف القول، وما يدَّعونه من حياد الفن وتحرره من قيود العقيدة، وهؤلاء يقدمون أدبًا سخيفًا وفنًّا مُدمِرًا للأخلاق، ومدمرًا للشعور، زاعمين أنه لا علاقة بين الدين والأدب، كما زعم إخوانهم في الغي أنه لا علاقة بين الدين والسياسة!

الهجمات المغرضة على الشعر العربي:

□ ويتساءل المؤلف: ما الخطورة التي ترتبت على الدعوة إلى تجديد الشعر في العصر الحديث؟ ولماذا فشلت كل هذه المحاولات اليائسة والمغرضة؟

فيقول: لأنه لم تكن الدعوة إلى تجديد الشعر صادقة من الأصل؛ فالتجديد عندهم كانت فحواه التخلص من موسيقى الشعر، هذا الباب الذي دخل منه شعراء الحداثة بدعوى أن «القصيدة العمودية» تحجر على الشاعر آفاق الرؤية، وتقص من أجنحة الخيال، وتجعله يرقص في

السلاسل، وقد بدأ الأمر في البداية محتشمًا بالالتزام بتفعيلات الخليل، غير أن الأمر انتهى بعد ذلك إلى الشكل الهجين الذي يسمى «قصيدة النثر» وإلى الدعوة إلى التخلص من كل لون من ألوان العروض الخليلية. وقد كان ذلك على صعيدين الإنجاز الشعري من جهة، بقيادة أدونيس وصبيانه، والإنجاز النقدي من جهة، بقيادة كمال أبو ديب وربائبه.

وقد برزت من خلال ذلك كله نظرية «الحداثة» الغربية التي كان يمثلها المستقبليون في أوائل هذا القرن، وتركزت مبادئهم في التمرد على الماضي والحاضر، والدعوة إلى تحطيم اللغة الشعرية التقليدية وتحرير الكلمات من معانيها الموروثة، والتخلص من العقل والمنطق، وتدمير القواعد والتراكيب اللغوية؛ طلبًا لحداثة اللغة، واستجلابًا للغموض الذي يعد ملمحًا أساسيًا في شعرهم استلهامًا من المذهبَين: الرمزي، والسريالي.

ويكفي أن تعلم أن رمز «المسيح» وَرَدَ في ديوان «أنشودة المطر» للسياب حوالي أربع وعشرين مرة، حتى لكأنك تظن السياب شاعرًا نصرانيًّا! وما ذلك إلَّا لانسياقه وراء «إليوت» الشاعر المتعصب للكاثوليكية.

وفي حالة استلهام الحداثيين للتراث العربي الإسلامي؛ يقدمونه بشكل مشوَّه، ويختارون منه النماذج والشخصيات الشاذة المنحرفة، أو التي احتاطت الأمة بحذر شديد من أفكارها وآرائها: كالحلَّاج، والسُّهروردي، ومهيار الديلمي، وغيرهم.

من يدفع أُجرة الزمَار؟!

□ وقد ختم المؤلف كتابه بتوجيه ضربة دامغة لمعسكر الحداثيين في رأيي، وذلك بعرض بعض ما جاء في كتاب «الحرب الباردة الثقافية» الذي يُعرّي «ميليشيات الحداثة» أو «مارينز الثقافة العربية» حتى من ورق التوت الذي تواروا خلفه، كما يكشف دور المخابرات في عملية الاستيلاء على عقول البشر، ويفضح أكذوبة «السلام الأمريكي» الذي يبشر بعصر تنوير جديد يطلقون عليه اسم «القرن الأمريكي» أو هكذا زعموا!

□ فيقول: إن خطورة كتاب «الحرب الثقافية الباردة» تكمن في قدرة مؤلفته على سرد الحقائق المتراكمة وجمع الصورة بجوار الصورة، من خلال الصبر والأناة في جمع المادة الأرشيفية والشهادات، لتكشف عن دور المخابرات الأمريكية في عالم الفنون والآداب، وتكشف لنا سر مواقف وتحولات عديدة في عالم الثقافة عندما كان مثقف الستينيات الملتزِم في مصر والوطن العربي يرقبها فاغرًا فاه، دون أن يدري أسبابها.

□ ويدور موضوع هذا الكتاب – كما يشرح المؤلف- حول مؤامرات المخابرات المركزية الأمريكية الـ C.I.A والدور الذي قامت به في عالم الفنون والآداب بتمويلها لأنشطة ثقافية ومهرجانات فنية وموسيقية، وإنشاء مجلات أدبية واتحادات فنية وموسيقية، وإقامة مكتبات عامة ومراكز ثقافية في جميع أنحاء العالم، وبخاصة في أوروبا؛ لمواجهة المد الشيوعي ونفوذه الفكري والثقافي وسط تجمعات المثقفين، وذلك بغية الترويج للنمط أو «النموذج الأمريكي» في الحياة والفكر والثقافة.

□ وترى المؤلفة أن ما فعلته (C.I.A) في عالم الفن والأدب لإعادة

بناء البنية الثقافية في العالم بما يؤدي إلى كراهية النمط القديم والهرولة وراء النموذج الأمريكي؛ يؤكد سرعة الثقافة في التأثير على الوعي وعلى الوجدان، من خلال الرواية الأدبية والدراما في السينما والتلفزيون والمعارض الفنية والحفلات الموسيقية، بحيث يُتخلَّى تدريجيًّا عن نمط قديم واكتساب نمط آخر، يركز على الحريات المطلقة دون ضوابط مقابل القيود القائمة في الشرق! فالجماهير كانت تتشرب على مدى أكثر من أربعين عامًا وبالتدريج ثقافةً معادية تداعب غرائز التملك والتفوق والأنانية، فأثبتَ هذا في النهاية أن تغيير نمط في السلوك والفكر أقوى من تغيير نمط الإنتاج.

✍ إن هذا الكتاب سيرى القارئ له أنه أقوى صفعة في وجه ذلك التيار؛ لأنه أورد بالأدلة والبراهين والحجج الدامغة أسماء الأدباء والمثقفين التغريبيين، وكذلك أسماء الصحف والمجلات التي كانت تمولها وتشيد بهم مغرِّرة الناس باتجاهاتهم»[(١)].

٥٤- المواقف التي تمرّ بالإنسان:

«فكما أن الأحداث والمواقف التي تمر بالأمة تكون سببًا من أسباب علو الهمة – فكذلك الفرد نفسه إذا مرت به أحداث ومواقف، وتقلبات في حياته، من محن، وبلايا وغير ذلك – فإنها تؤثر فيه، وتترك أثرها في نفسه، وقد تكون سببًا لنهوضه ورفعته؛ ذلك أن للهمم خمودًا، وللعزائم

---

(١) «الصفحات السود لمدارس التغريب والحداثة والتنوير كما عرضتها وثائق الاستخبارات الغربية» مقالة لصلاح حسن رشيد بمجلة «البيان» العدد (٢٤٧) (ص٨٦- ٨٨).

فترةً، ولا يتيقظ من فترتها إلَّا من استفزته صروف الحوادث، وأرتْهُ كيف يرقى أناس إلى مكانة العز، وينحط آخرون إلى وهدة السقوط، ولا تفعل ذلك إلَّا بمن أدركت منه رمق حياة لم يزل نبضها خافقًا.

أما من جف طبعه، وسكنت إحساساته حتى التحق عند أولي البصائر ببهيمة الأنعام - فلا يحس لها وجيةً[١]، ولا يسمع لها ركزًا[٢].

ولهذا كان امرؤ القيس في حياة والده - شابًّا لاهيًا، عابثًا، همُّه ملاحقة النساء، وتشرابُ الخمور؛ إذ كان ينعم بطيب العيش تحت ملك والده.

وعندما قُتِل والده، وزال الملك الذي تحت يديه - أثَّر به ذلك الموقف أيما تأثير، فاستيقظ من رقدته، وهب من سباته، وأعلى من همته، وترك شرب الخمر، وبدأ يسعى في استعادة ملك أبيه.

□ فبعد أن كان يقول:

لنا غنم نُسَوِّقُها غِزارٌ ... كأن قرون جلتها العصيُّ

فتملئ بيتنا إقطًا وسمنًا ... وحسبك من غنى شبعٌ وريُّ[٣]

□ أصبح يقول: «لا صحو اليوم، ولا سكر غدًا، اليوم خمر، وغدًا أمر».

وآلى على نفسه ألا يأكل لحمًا، ولا يشرب خمرًا، ولا يدِّهن بدهن، ولا يصيب امرأة، ولا يغسل رأسه - حتى يقتل من بني أسد مئة، ويجزَّ نواصي مئة، بثأر أبيه»[٤].

---

(١) الوجية: الحركة والاضطراب.

(٢) انظر: «السعادة العظمى» (ص٦٤).

(٣) «ديوان امرئ القيس» (ص١٧١).

(٤) «ديوان امرئ القيس» (ص٨).

□ وأصبح يقول من أمثال قوله:

فلـو أنـما أسـعى لأدنـى معيـشةٍ ... كفاني – ولم أطلب – قليلٌ من المال

ولكـنما أسـعى لمجـدٍ مُؤَثَّـلٍ ... وقد يدرك المجدَ المؤثـلَ أمثالي[1]

فقوله: -ولم أطلب- جملة اعترض بها بَيْنَ الفعل «كفاني» وفاعله «قليل».

وفائدتها تحقير شأن المعيشة، وتبرئة سعيه أن ينضي الطلب إلى ما هو أدنى؛ فإنها مما يحصل بغير طلب ولا عناء.

وإنما الذي يحتاج إلى الطلب هو المجد المؤثل، ولا يدركه إلَّا عظماء الرجال[2]» اهـ[3].

سيد قطب وفرح الغرب بموت حسن البنا ونقطة التحوَّل في حياة سيد قطب:

كان سيد قطب علمًا من أعلام الأدب يُشار إليه بالبنان، وقدّر الله له نقطة التحول في حياته يوم مقتل الشيخ حسن البنا رَحِمَهُ اللهُ، ورأى السعادة الغامرة وفرح الأمريكان بمقتله وتهنئة الصليبيين بعضهم بعضًا بهذا الحدث الكبير، وتخلصهم من هذا الكابوس المخيف «حسن البنا»، وقتها كان الأستاذ سيد قطب في أمريكا، فكانت نقطة التحوَّل الكبيرة في حياته ليبدأ مشواره مع الله عَزَّ وَجَلَّ فكانت كتبه[4]، التي فاح شذاها، وضاع عبيرُها في الدنيا والأمصار.

---

(١) «ديوان امرئ القيس» (ص١٢٩).

(٢) انظر: «الحرية في الإسلام» (ص١٠).

(٣) «الهمة العالية» (ص١٥٣ - ١٥٥).

(٤) كل إنسان يُؤخذ منه ويُرَدُّ، وفي «ظلال القرآن» أخطاء كبيرة ومخالفة لاعتقاد أهل السنة لا نوافقه أبدًا عليها، وللإنصاف لا بد أن نذكر ما للرجل وما عليه.

٥٥- عزة النفس:

فعزة النفس تعني الارتفاع عن مواضع المهانة، ويقابلها الضعة، وهي انحدار النفس في المهانة [١].

فعزيز النفس لا يريق ماء وجهه، ولا يبذل عرضه فيما يدنسه، فيبقى موفور الكرامة، مرتاح الضمير، مرفوع الرأس، شامخ العرنين، سالمًا من ألم الهوان، متحررًا من رق الأهواء ومن ذل الطمع، لا يسير إلَّا وفق ما يمليه عليه إيمانُه، والحقُّ الذي يحمله ويدعو إليه؛ فعزة النفس من كبر الهمة، «وكبر الهمة يعقد الألسنة عن الانطلاق في مجاري التملق والمداهنة» [٢].

ولهذا تجد أن أشد الناس عزمًا ومضاءً هو أنزههم نفسًا، وأبعدهم عن الطمع وجهة.

□ قال الثعالبي: «ومن أحسن ما سمعت في القناعة قول ابن طباطبا العلوي:

كـن بـما أوتيتـه مقتنعًـا تَـسْتَدِمْ عـسر القنـوع المكتفـي

إن في نيـل المنـى وَشْـكَ الـردى وهـلاك المـرء في ذا الـسرفِ [٣]

□ قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَمَـتُّ مطـامعي فأرحـت نفـسي فـإن الـنفس مـا طمعـت تهـون

---

(١) «عزة النفس» و«السخاء» و«الإعراض عن الجاهلين» هذه الأسباب الثلاثة مأخوذة من «الهمة العالية» لمحمد بن إبراهيم (ص١٦٢- ١٨٤).

(٢) «حياة الأمة» (ص٣١).

(٣) «أحسن ما سمعت» (ص٢٢).

وأحييت القنوع وكان ميتًا ... ففي إحيائه عرضٌ مصون
إذا طمعٌ يَحِلُّ بقلب عبد ... عَلَتْه مهانة وعلاه هون[(١)]

□ وقال:

رأيت القناعةَ كنز الفتى ... فصرت بأذيالها ممتسك
فلا ذا يراني على بابه ... ولا ذا يراني به منهمك
وصرت غنيًّا بلا درهم ... أَمُرُّ على الناس شبه الملك[(٢)]

□ ومما ينسب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قوله:

أفادتني القناعةُ كلَّ عزٍّ ... وهل عزٌّ أعزُّ من القناعةْ
فَصَيِّرْها لنفسك رأسَ مالٍ ... وصيِّرْ بعدها التقوى بضاعةْ
تَحُز ربحًا وتغنى عن بخيل ... وتنعم بالجنان بصبر ساعةْ[(٣)]

□ وأنشد ثعلب:

من عفَّ خفَّ على الصديق لقاؤه ... وأخو الحوائج وجهه مبذول
وأخوك مَنْ وفَّرت ما في كيسه ... فإذا استعنت به فأنت ثقيل[(٤)]

ثم إن عزة النفس تلقي على صاحبها مهابة ووقارًا في العيون، وتحرز له جلالة ومكانة في القلوب، وذلك مما تنشرح له صدور العظماء.

---

(١) «ديوان الشافعي» (ص٨٥).
(٢) «ديوان الشافعي» (ص٢٧).
(٣) «ديوان الإمام علي» (ص١٢١ - ١٢٢).
(٤) «عين الأدب والسياسة» (ص١٣٧).

وإنما عيب الرجل في أن يجعل هذه المكانة غايته المنشودة، أو أن يتخذها حبالةً لاصطياد مآرب لا يتعداه نفعها.

ولهذه الخصلة – كذلك- آثار صالحة في الاجتماع؛ فإن الأمة التي تُشْرَبُ في نفوسها العزة يشتد فيها الحرص على أن تكون مستقلة بشؤونها، غنية عن أمم من غيرها، وتبالغ في الحذر في أن تقع في يد مَنْ يطعن في نحر كرامتها، ولا يستحيي الإنسانية أن تراه مهتضمًا لحق من حقوقها [١].

ولئن كانت عزة النفس جميلةً رائعة فَلَهِيَ من أهل العلم أجمل وأروع.

ولئن كانت مرغوبةً مطلوبةً من كل أحد فلهي من أهل العلم أولى وأحرى.

فأكرم بمن رفعه العلمُ فرفع العلمَ، فصار عودًا مرًّا، ومكسرًا صلبًا، لا تلين له في نصرة الحق قناة، ولا يفت له عضد، يقف للمبطلين موقف الشجى بين الحلق والوريد، فيصارعهم بالحجة، ويفلجهم بالبينة.

وأجدر بذي العلم أن يكون ذا نفس عزيزة زكية، وساحة طاهرة نقية؛ حتى لا يكون الخلل حائلًا بينه وبين هداية الناس [٢].

□ ورحم الله القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني؛ إذ يقول في عزة أهل العلم:

يقولـون لي فيـك انقبـاضٌ وإنـما ... رأوا رجلًا عن موقف الذل أحجما

أرى الناس من داناهم هان عنـدهم ... ومن أَكْرَمَتْـهُ عـزةُ الـنفس أُكرِمـا

---

(١) انظر: «رسائل الإصلاح» (١/ ١٢٥- ١٢٦).

(٢) انظر: «السعادة العظمى» (ص٢٠٩- ٢١٢)، و«حياة الأمة» (ص٣١- ٣٢).

ولم أقضِ حقَّ العلمِ إن كـان كلـما بـدا طمـعٌ صـيَّرْته لي سُـلَّمَا
ومـا كـلُّ بـرقٍ لاح لي يـسْتفزُّني ولا كل من لاقيـت أرضـاه مـنعما
إذا قيل: هذا منهلٌ قلـت قـد أرى ولكـنَّ نفـسَ الحـرِّ تحتمـل الظـما
أُنَهْنِهُهَا عـن بعـض مـا لا يـشينها مخافـة أقـوال العـدا فِـيمَ أَوْ لِـا
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتـي لأخدم من لاقيـت لكـن لأُخْـدما
أأشـقى بـه غرسًـا وأجنبـه ذِلَّـةً! إذن فاتباعُ الجهل قد كـان أحزمـا
ولو أن أهل العلم صانوه صـانهم ولـو عظَّمـوه في النفـوس لَعُظِّـما
ولكـنْ أهـانوه فهـانوا ودنَّـسوا محيـاه بـالأطماع حتـى تجهـما[(١)]

وصفوة المقال في عزة النفس أنها ترجع إلى معرفة المرء قيمةَ نفسه؛ فلا يوردها إلَّا الموارد التي تليق بها؛ فيشعر بكرامة نفسه، ويشعرها بما لها من حقوق، فلا يسمح لمخلوق كائنًا من كان أن ينال منها مثقال ذرة، كما يشعر بما عليه من واجبات، فلا يسمح لنفسه أن يعتدي على حقوق الناس مثقال ذرة أيضًا.

وهي بمعناها الدقيق احترام نفسك من غير احتقار لأحد، وأن تقف موقفًا له جانبان: فإن نظرت إلى من هو أعلى منك في المنصب والجاه ونحو ذلك؛ فلا تُمَكِّنْهُ أن ينال من نفسك ولو ذرة، ولا أن يتعدى حدوده ولو شعرة.

---

(١) «أدب الدنيا والدين، والبداية والنهاية» لابن كثير (١١/ ٣٥٥)، و«خاص الخاص» (ص٢٢٨- ٢٢٩).

وإذا نظرت إلى من هو أسفل منك فلا تتعدى حدودك، وإذا شعرت باستخذائه وذلته فارفع مستواه ما استطعت حتى يصل إلى الحدود [١].

٥٦- السخاء:

فالسخاء يقوم على الشعور بأن للمال قيمةً تستدعي عدم الإسراف في إنفاقه؛ وأن للحياة الفاضلة مطالب يُبذل المال في سبيلها غير مأسوف عليه؛ فهو بذل ما ينبغي في الوجه الذي ينبغي الإنفاق فيه.

فمن أطلق يده في اتباع الشهوات فهو مسرف، ومن قبضها عن الإنفاق في وجوه الخير فهو بخيل، أما السخاء فكان بين ذلك قوامًا.

وبما أن السخاء يقوم على الرحمة، وقلة الحرص على جمع المال – كان متصلًا بفضائل أخرى تعد من مقومات الهمة العالية، ومن مظاهرها الجلية؛ فالسخي في أغلب أحواله يأخذ بالعفو، ويتحلى بالحلم، ويجري في معاملاته على الإنصاف، فيؤدي حقوق الناس من تلقاء نفسه، وإذا قضى كان عادلًا، فلا تطمح نفسه إلى رشوة، ولا تحدثه أن يأخذ حقَّ ضعيف إلى قوي.

ولتجدنَّ السخيَّ بحق متواضعًا، لا يطيش به كبر، ولا تستَخِفُه الخيلاءُ، ولتجدنَّه أقرب الناس إلى الشجاعة وعزة النفس؛ وإنما يخسر الإنسان الشجاعة والعزة بشدة حرصه على متاع الحياة الدنيا.

---

(١) انظر: «فيض الخاطر» (٢/ ١٤٧ و١٤٩).

□ قال أبو الطيب:

فَأَحْسَنُ وجهٍ في الورى وجهُ مُحْسِنٍ وأيمن كفٍّ فيهم كفُّ مُنْعِمِ[١]

أما البخيل فلفراغ قلبه من الرحمة، ولقلة اهتمامه بأن يكون له ذكر جميل، ولحرصه على جمع المال حرصًا يعمي ويُصمُّ – تجده قد فقد كثيرًا من المكارم، وجمع إلى الشح كثيرًا من الرذائل، كما قال عمرو بن الأهتم:

ذريني فإن البخل يا أمَّ هيثم لصالح أخلاق الرجال سروق[٢]

فإذا اتصف المرء بالسخاء زكت نفسه، ولانت عريكته، وقاده سخاؤه إلى أن يترقى في المكارم، وأن يتطهر من المساوئ والمعايب؛ فالسخي قريب من كل خير وبر.

□ قال الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن ألزم نفسه الجود والإنفاق راضها رياضةً عملية كرياضة العضل بأثقال الحديد، ومعاناة القوة في الصراع ونحوه.

أما الشح فلا يناقض تلك الطبيعة، ولكنه يَدُعها جامدة مستعصية، لا تلين، ولا تستجيب، ولا تتيسَّر»[٣].

ولقد جرت سنة الله بأن السخي بحق يفوز بالحياة الطيبة، ولا تكون عاقبته إلَّا الرعاية من الله والكرامة؛ فلما كان السخي رحيمًا بالفقراء والمساكين والمحتاجين، حريصًا على إسعادهم وإدخال السرور والبهجة

---

(١) «ديوان المتنبي» (ص٤/ ١٤١).

(٢) «شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم»، دراسة وتحقيق د. سعود عبد الجابر (ص٩٢).

(٣) «وحي القلم» (٣/ ١٤).

في نفوسهم -كان جزاؤه من جنس عمله[١].

أثر السخاء في سيادة الأمة[٢]:

للسخاء أثر في سيادة الأمة؛ فالأمة تبلغ القدر الأسمى من السيادة بحفظ دينها، وسعة معارفها، وسمو أخلاقها، وصيانة أعراضها، ونباهة ذكرها، ومتانة اتحادها، وحماية أوطانها.

وكل هذه المقاصد الرفيعة الشأن - إنما تتحقق بالمال الذي يبذله الأسخياء من الناس.

فللسخاء أثر في حفظ الدين؛ فالمساجد التي تقام فيها الصلوات والمدارس التي تدرس فيها علوم الدين ووسائلُها، والجمعيات التي ترشد بمحاضراتها ومجلاتها إلى حقائق الدين، وتدعو إلى التمسك بعروته الوثقى، والمحاكم التي تُنْصَبُ للعدل بين الناس وتحكم بشريعة الإسلام الغراء -كل ذلك معدود من مآثر السخاء.

وللسخاء أثر عظيم في تنمية العلوم، وسعة المعارف، وذلك من خلال ما تجود به النفوس الكريمة من أموال تصرف في إنشاء مدارس للتعليم، أو طبع كتب قيِّمة، أو عقد مسابقات لتحقيق بحث علمي أو أدبي.

وللسخاء أثر في نبل الأخلاق وسلامتها من جهة أنه يحفظ الدين، وينمي العلوم.

وبحفظ الدين، ونمو العلوم ترتفع الأخلاق، وتبلغ الذروة في كمالها.

وللسخاء أثر في إنقاذ كثير من الناس من عوز الفقر، الذي قد ينجرف بهم إلى فساد الأخلاق، وضيعة الآداب.

---

(١) انظر: «الهداية الإسلامية» (ص٨٤- ٨٩).

(٢) انظر: «الهداية الإسلامية» (ص٨٩- ٩٢).

وللسخاء أثر في صيانة الأعراض؛ ذلك أن الكريم يبذل المال لذي الحاجة، فيصون وجهه من الابتذال بالسؤالِ، والسؤالُ يزري بصاحبه، ويجعله عرضة للوقيعة فيه.

ثم إن الأسخياء يصونون أعراضهم بها يسدُّون به أفواه أناس لولا عطاؤهم لأطلقوا ألسنتهم بذمهم وهجائهم، ولاختلقوا لهم معايب وهم منها براء.

□ قال بعض الشعراء:

وما خير مالٍ لا يقي الذمَّ ربَّه ... ونفس امرئٍ في حقها لا يهينها [(١)]

□ وقال المثقِّب العبدي:

لا يبالي طيبُ النفس به ... تلَفَ المال إذا العرض سَلِمْ

أجعل المال لِعِرْضي جُنَّةً ... إن خير المال ما أوفى الذِّمَمْ [(٢)]

□ وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أصون عرضي بمالي أدنسه ... لا بارك الله بعد العرض بمال [(٣)]

□ وقال الشافعي رحمه الله:

وعداوة الشعراء داء معضل ... ولقد يهون على الكريم علاجه [(٤)]

ولهذا فالبخلاء كثيرًا ما يكونون عرضة للهجاء، بل إن أكثر مادة للهجاء في الجاهلية هي البخل والبخلاء؛ فإذا هجي الرجل سارت

(١) «عيون الأخبار» (١/ ٣٤٠).
(٢) «المفضليات» (ص٢٩٤).
(٣) «ديوان حسان بن ثابت» (ص١٩٢).
(٤) «ديوان الشافعي» (ص٣٤) تحقيق الزغبي.

الركبان بذمه وعيبه.

□ قال الثعالبي: «قال بعض الرواة: أهجى بيت للعرب قول الأعشى:

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يَبِتْنَ خمائصا [1]

□ ولهذا كان جرير يتألم كثيرًا من قول الأخطل:

قوم إذا استنبح الأضيافُ كَلْبَهُمُ قالوا لأُمِّهِمُ بولي على النار [2]

وللسخاء أثر في نباهة الذِّكرِ بعد سلامة العرض؛ فإن الفضائل – والسخاء في مقدمتها – تطلق الألسنة بالثناءِ، والثناءُ الصادق من النعم التي تقابل بالارتياح والشكر.

□ قال عمرو بن الأهتم:

وإن المجد أوَّله وَعَورُ ومصدر غِبِّه كرمٌ وَخيرُ [3]

وإنك لن تنال المجد حتى تجودَ بما يَضَنُّ به الضمير

بنفسك أو بمالك في أمور يهاب ركوبها الوَرِعُ [4] الدَّثور [5]

□ وكان خالد بن عبد الله القسري يقول: «تنافسوا في المغانم، وسارعوا إلى المكارم، واكتسبوا بالجود حمدًا، ولا تكتسبوا بالمال ذمًّا، ولا تَعِدوا بمعروف ولم تعجلوه، واعلموا أن حوائج الناس نعمةٌ من الله

---

(١) «أحسن ما سمعت» للثعالبي (ص١٣٠).

(٢) «ديوان الأخطل» (ص١٦٦).

(٣) الخِير: الشرف.

(٤) الورع: المتحرج، الدثور: الخامل النؤوم.

(٥) «المفضليات» (ص٤١٠).

عليكم، فلا تملوها فتعودَ نِقَمًا»[١].

□ وقال ابن حبان البستي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالواجب على العاقل إذا أمكنه الله من حطام هذه الدنيا الفانية، وعلم زوالها عنه، وانقلابها إلى غيره، وأنه لا ينفعه في الآخرة إلَّا ما قدم من الأعمال الصالحة – أن يبلغ مجهوده في أداء الحقوق من ماله، والقيام بالواجب في أسبابه، مبتغيًا بذلك الثواب في العقبى، والذكر الجميل في الدنيا؛ إذ السخاء محبة ومحمدة، كما أن البخل مذمة ومبغضة، ولا خير في المال إلَّا مع الجود»[٢].

□ ثم إن للسخاء أثرًا في ستر العيوب وإن كثرت، قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإن كثرت عيوبُك في البرايا وسَرَّك أن يكون لها غطاء
تَستَّرْ بالسخاء فكلُّ عيبٍ يُغَطِّيه كما قيل السخاء[٣]

وللسخاء أثر في ائتلاف القلوب، وتأكيد رابطة الإخاء؛ ذلك أنه يبذر محبة المحسنين في قلوب ذوي الحاجات.

بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

□ وكما يسخو المرء ثم إن من وجوه السخاء صرفَ المال في نحو ضيافة أو هدية ولو لغير ذي حاجة.

وهذا مما يذهب بالجفوة، ويجعل القلب من القلب قريبًا.

---

(١) «اتحاف النبلاء بأخبار وأشعار الكرماء والبخلاء» لابن المبرد الحنبلي تحقيق يسري البشري (ص٦٠).

(٢)«روضة العقلاء» (ص٢٣٥).

(٣)«ديوان الشافعي» (ص١٦) تحقيق الزغبي.

بل إنه يقضي على كثير من الأخلاق المرذولة، والتي من شأنها أن تفتك بالجماعة وتقضي على وحدتها، كرذيلتي الحسد والكبر؛ فالكبر من ذوي اليسار، والحسد من ذوي الحاجة والفاقة.

فبالسخاء يتواضع ذوو اليسار، وبه يزول الحسد من ذوي الحاجات.

أما أثر السخاء في حماية الأوطان فإن إعداد وسائل الدفاع إنما يكون بالمال، وعلى قدر سخاء الأمة يكون الاستعداد.

وسخاء الأمة في سبيل الدفاع يأتي على حسب شعورها بالكارثة التي تقع فيها إذا هي تركت الدفاع.

* هذا وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الإمساك عن الإنفاق في سبيل دفع العدو إلقاءٌ باليد إلى التهلكة، فقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بماله في سبيل مجاهدة الأعداء فكذلك يسخو بسلاحه، فيقول:

لـئن لم أكـن فـيكم خطيبًـا فـإنني ... بسيفي إذا جدَّ الوغى لَخطيـبُ[1]

□ وكما يسخو بسلاحه يسخو كذلك بقلمه فيقول:

ولي قلـمٌ في أنمـلي إن هَزَزْتُـه ... فـما ضرني ألا أَهُـزَّ المهنـدا[2]

من صور السخاء[3] **:** ومما ينبغي أن يعلم أن السخاء ليس مقتصرًا على بذل المال فحسب، بل إن مفهومه أوسع، وصوره أعمُّ وأشمل:

أ- فيدخل في قبيل الأسخياء من يكون له دين على آخر فيطرحه عنه، ويخلي ذمته منه، وهو يستطيع الوصول إليه دون عناء ولا تعب.

---

(١) «كتاب الصناعتين» لأبي هلال العسكري (ص٢٢).

(٢) «الهداية الإسلامية» (ص٩١).

(٣) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٢٧٩- ٢٨٢)، و«الهداية الإسلامية» (ص٨٤- ٨٩).

□ «كان قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما من الأجواد المعروفين، حتى إنه مرض مرةً، فاستبطأ إخوانه في العيادة، فسأل عنهم، فقالوا: إنهم كانوا يستحيون مِمَّا لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله مالًا يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديًا ينادي: من كان لقيس عليه مال فهو منه في حلٍّ؛ فما أمسى حتى كُسِرت عَتبةُ بابه من كثرة من عاده»[(١)] .

ب- ويدخل في قبيل الأسخياء من يستحق على عمل أجرًا فيترك الأجر من تلقاء نفسه.

ج- ويدخل في قبيلهم من يسعى في قضاء حوائج الناس، وتفريج كرباتهم.

□ عن الحسن رحمه الله قال: «لأن أقضيَ حاجة أخ أحبُّ إلي من أن أعتكف سنة»[(٢)] .

□ وقيل لابن المنكدر: «أي الأعمال أحبُّ إليك؟

قال: إدخال السرور على المؤمن».

□ وقيل: أي الدنيا أحب إليك؟

قال: «الأفضال إلى الإخوان»[(٣)] .

---

(١) «مدارج السالكين» (ص٢/ ٢٧٨).

(٢) «عيون الأخبار» (٤/ ١٧٥).

(٣) «عيون الأخبار» (٤/ ١٧٤).

□ وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الناس بالناس ما دام الحياة بهم	والسعد لا شكَّ تارات وهبَّاتُ
وأفضل الناس ما بين الورى رجل	تقضى على يده للناس حاجات
لا تَمْنَعَنَّ يدَ المعروف من أحد	ما دمت مقتدرًا فالسعد تارات
وأشكر فضائل صنع الله إذ	إليك لا لك عند الناس حاجات (١)

د- ويدخل في السخاء سخاوة الإنسان بجاهه، بحيث يبذله في سبل الخير، والشفاعات الحسنة، من إحقاق حق، ونصرة مظلوم، وإعانة ضعيف، ومشي مع الرجل إلى ذي سلطان، ونحو ذلك.

* قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء: ٨٥].

• وقال النبي ﷺ: «**اشفعوا تؤجروا**»(٢).

□ قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأدِّ زكاةَ الجاه واعلم بأنها	كمثل زكاة المال تم نصابها (٣)

هـ- ويدخل في السخاء سخاء الإنسان برياسته، فيحمله سخاؤه على امتهانها، والإيثار في قضاء حاجات المتلمس.

و- ومن السخاء سخاء الإنسان براحته، وإجمام نفسه، فيجود بها تعبًا وكدًّا في مصلحة غيره.

---

(١) «ديوان الشافعي» تحقيق خفاجي (ص٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١١٨)، ومسلم (٢٦٢٧) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) «ديوان الشافعي» تحقيق الزغبي (ص٢١).

□ ومن هذا جود الإنسان بنومه ولذاته لمسامره، كما قيل:

متَّـيمٌ بالنـدى لـو قـال سـائلهُ هبْ لي جميعَ كرى عينيك لم ينم(١)

ز- ومن ذلك سخاء الإنسان بوقته في سبيل نفع الناس أيًّا كان ذلك النفع.

ح- ومن جميل السخاء سخاء الإنسان بالنصح والإرشاد.

ط- ومن أعلى مراتب السخاء سخاء الإنسان بالعلم، وذلكم أفضل من السخاء بالمال؛ لأن العلم أشرف من المال.

والناس في السخاء بالعلم مراتب متفاوتة، وقد اقتضت حكمة الله، وتقديره النافذ ألا ينفع به بخيلًا أبدًا.

ومن الجود به أن تبذله لمن يسألك عنه، بل تطرحه عليه طرحًا.

ومن الجود به أن السائل إذا سألك عن مسألة استقصيت له جوابًا شافيًا، فلا يكون جوابك له بقدر ما تدفع به الضرورة، كما كان بعضهم يكتب في جواب الفتيا «نعم» أو «لا» مقتصرًا على ذلك.

ومن السخاء بالعلم أن لا يقتصر على مسألة السائل، بل يذكر له نظائرها، ومتعلقاتها، ومآخذها، بحيث يشفيه، ويكفيه.

ي- ومن السخاء سخاء الإنسان ينفع البدن على اختلاف أنواعه، كما قال ﷺ: **«يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة كلَّ يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين اثنين صدقة، ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها، أو يرفع له عليها متاعه صدقه، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة يمشيها**

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٧٩).

الرجل إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»[١].

ك- ومن السخاء سخاء الإنسان بعرضه لمن نال منه، كما جاء في خبر أبي ضمضم: قال النبي ﷺ: **«أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضيغم، أو** ضمضم – شك ابن عبيد [٢]- **كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك»**[٣].

□ قيل للشعبي: «فلان يَتَنَقَّصُك ويُشتِمُك، فتمثل الشعبي بقول كُثَيِّر عَزّة:

هنيئًا مريئًا غير داءٍ مخامرٍ ... لِعَزَّةَ من أعراضنا ما استحلتِ

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدينا ولا مَقْلِيَّةً إن تَقَلَّتِ [٤]

وفي هذا السخاء من سلامة الصدر، وراحة القلب، والتخلص من معاداة الخلق – ما فيه.

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى (ص٧٢٠).

(٢) هو محمد بن عبيد بن حساب.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٨٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٨٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص٦٥)، والخطيب البغدادي في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١/ ٣٥- ٣٦) كلهم عن أنس، وضعفه العراقي في تخريج أحاديث «الإحياء» (٣/ ١٦٣)، وكذلك الألباني في «إرواء الغليل» (٨/ ٣٢)، ولكن له شاهد عند أبي هريرة أخرجه ابن بشكوال في كتابه «الغوامض والمبهمات» (ص٤٤٩)، ونصه: «أن رجلًا من المسلمين قال: اللهم إنه ليس لي مال أتصدق به، فأيما رجل من المسلمين أصاب من عرضي شيئًا – فهو له صدقة، فأوحى الله إلى النبي ﷺ أنه قد غفر له». قال عنه ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٥٥٠): «صحيح».

(٤) «بهجة المجالس» (٢/ ٤٣٦).

ل- ومن السخاءِ السخاءُ بالصبر والاحتمال، والإغضاء.

وهذه مرتبة شريفة من مراتب السخاء، وهي أنفع لصاحبها من الجود بالمال، وأعزُّ له، وأنصر، وأملك لنفسه، وأشرف لها، ولا يقدر عليها إلَّا النفوس الكبار.

□ وينسب لأمير المؤمنين - علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه قوله:

أُغَمِّضُ عيني عن أمورٍ كثيرةٍ ... وإني على ترك الغَمَوضِ قديرُ

وما من عمًى أُغضي ولكن لربما ... تعامى وأغضى المرء وهو بصيرُ

وأسكت عن أشياءَ لو شئتُ قُلْتُها ... وليس علينا في المقال أميرُ

أُصَبِّرُ نفسي باجتهادي وطاقتي ... وإني بأخلاق الجميع بصير [1]

م- ومن جميل السخاء سخاء المرء بالخلق، والبشر، والتبسم، والبشاشة، والبسطة، ومقابلة الناس بالطلاقة.

فذلك فوق السخاء بالصبر والاحتمال، والعفو، وهذا هو الذي بلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وهو أثقل ما يوضع في الميزان، وفيه من المنافع والمسار، وأنواع المصالح ما فيه [2].

□ قال ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ: «البشاشة إدام العلماء، وسجية الحكماء؛ لأن البشر يطفئ نار المعاندة ويحرق هيجان المباغضة، وفيه تحصين من الباغي، ومنجاة من الساعي» [3].

---

(١) «ديوان الإمام علي» (ص١٠٦)، وانظر سوء الخلق مظاهره - أسبابه - علاجه للكاتب (ص١٠٣- ١١٦).

(٢) انظر: «سوء الخلق» (ص٨١- ٩٠ و١٠١- ١٠٢).

(٣) «روضة العقلاء» (ص٧٥).

□ قيل للعتابي: «إنك تقى الناس كلهم بالبشر!.

قال: دفع ضغينة بأيسر مؤونة، واكتساب إخوان بأيسر مبذول»[(١)].

□ وقال محمد بن حازم:

وما اكتسب المحامد حامدوها بمثل البشر والوجه الطليق[(٢)]

ن- ومن السخاء حض الناس على الخير، وحثهم على الجود والإنفاق.

* ولهذا قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ [الماعون].

فَذَكَرَ الله ﷻ مَنْ لا يحض على طعام المسكين في معرض الذم، وفي هذا أمر للعبد بأن يحض على طعام المسكين إن لم يستطع إطعامه بنفسه.

س- ومن ذلك دلالة الناس على وجوه الخير، وتذكيرهم بطرقه؛ فالدال على الخير كفاعله.

ع- ومن ذلك شكر الأسخياء، والدعاء لهم، وتشجيعهم على مزيد من البذل.

* ولهذا لما أمر الله نبيَّه ﷺ بأن يأخذ الصدقات من الأغنياء — أمره بالدعاء لهم كما قال ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ﴾ [التوبة: ١٠٣].

فقوله ﷻ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ أي: ادع لهم، وقوله: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ﴾، أي: طمأنينة لقلوبهم، واستبشار لهم[(٣)].

---

(١) «بهجة المجالس» (٢/ ٦٦٥).

(٢) «بهجة المجالس» (٢/ ٥٩٨).

(٣) «تفسير ابن سعدي» (٢/ ٢٨٣).

ف- ومن صور السخاء الخفية الجميلة - سخاوة النفس بترفعها عن الحسد، وحبِّ الاستئثار بخصال الحمد.

وذلك بأن يحب المرء لإخوانه ما يحب لنفسه، فيفتح المجالات أمامهم، ويعطيهم فرصة للإبداع، والحديث، والمشاركة، ونحو ذلك بعيدًا عن الأثرة، وحب التفرد بالخير.

ومما يَجْمُل في ذلك أن يفرح لفرحهم، ويحزن لإخفاقهم، فهذه من الصور الخفية للسخاء، وقلَّ من يتفطَّن لها، ويأخذ نفسه بها.

ص- ومن جميل السخاء ومحموده سخاء المرء عما في أيدي الناس، فلا يلتفت إليه، ولا يستشرف له بقلبه، ولا يتعرض له بحاله ولا لسانه.

□ قال ابن المقفع: «عَوِّدْ نفسك السخاء، واعلم أنه سخاءان: سخاوة نفس الرجل بما في يديه، وسخاوته عما في أيدي الناس.

وسخاوة نفس الرجل بما في يديه أكثرهما وأقربهما من أن تدخل في باب المفاخرة.

وتركه ما في أيدي الناس أَمْحَضُ في التكرم، وأبرأ من الدنس.

فإنْ هو جمعهما، فبذل، وعفَّ فقد استكمل الجود والتكرم»[(١)].

□ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلسان القدر يقول للفقير الجواد: وإن لم أعطك ما تجود به على الناس فَجُدْ عليهم بزهدك في أموالهم، وما في أيديهم -تَفَضُلْ عليهم، وتزاحمهم في الجود، وتنفرد عنهم بالراحة»[(٢)].

---

(١) «الأدب الصغير والأدب الكبير» (ص١٤٤).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٨٢).

ق- وأروع ما في السخاء سخاء المرء بنفسه، وأجمل ما في ذلك ما كان في سبيل الله.

هذا وقد مر الحديث عن هذا النوع فيما سبق.

□ قال أبو فراس:

ويدعى كريمًا من يجود بماله ... ومن يبذل النفسَ الكريمة أكرمُ[(١)]

تفاضل الناس بالسخاء[(٢)]:

يتفاضل الناس بالسخاء على قدر هممهم، وإليك تفصيل ذلك:

أ- يتفاضلون من جهة حال الإنفاق؛ فالذي ينفق في السر أكمل في السخاء من الذي لا ينفق إلَّا في العلانية، قال تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٧١].

ب- ويتفاضلون من جهة استصغار ما يُنفق واستعظامه؛ فالذي ينفق في الخير، وينسى أو يتناسى أنه أنفق - هو أسخى ممن ينفق ثم لا يزال يَذْكُر ما أنفق، ولا سيما ذكره في معرض الامتنان.

ج- ويتفاضلون في جهة السرعة إلى البذل، والتباطؤ عنه؛ فمن يبذل المال لذوي الحاجة لمجرد ما يشعر بحاجتهم -يَفْضُل من لا يبذل المال إلَّا بعد أن يسألوه.

د- ومن يقصد بالبذل موضع الحاجة - عرفه أو لم يعرفه- يكون

---

(١) «ديوان أبي فراس» (ص٦٢).

(٢) انظر: «الهداية الإسلامية» (ص٨٦- ٨٩).

أسخى ممن يخص بالنوال من يعرفه ويعرفونه.

«أعطى رجل امرأة سألته مالًا عظيمًا، فلامُوه، وقالوا: إنها لا تعرفك، وإنما كان يرضيها اليسير.

فقال: إن كانت ترضى باليسير فإني لا أرضى إلَّا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي»[(١)].

هـ- ومن يعطي عن ارتياح وتلذذ بالعطاء يعد أسخى ممن يحسن وفي نفسه حرج.

□ قال زهير ابن أبي سلمى يمدح حصن بن حذيفة بن بدر:

تــراه إذا مــا جئتــه مــتهلِّلًا كأنك تعطيه الذي أنت سائله [(٢)]

□ وقال بشار بن برد يمدح عقبة بن سلم:

لـيس يعطيـك للرجـاء ولا الخـو ف ولكـن يَلــذُّ طعـم العطـاء

لا ولا أن يقــال شـيمته الجــو د ولكــنْ طبــائعُ الآبــاء [(٣)]

و- ومن علامات رسوخ الرجل في السخاء ألا يجعل بينه وبين طالبي العرف حجابًا غليظًا.

ز- ومن علامات رسوخ الرجل في السخاء أن يلاقي خدمُه الزائرين والمُسْتَجْدينِ بأدب جميل، وأن يستقبلهم بالبشر والترحاب؛ حتى يحفظ عليهم عزتهم.

---

(١) «عيون الأخبار» (١/ ٣٣٧).

(٢) «ديوان زهير ابن أبي سلمى» (ص٥٢).

(٣) «ديوان شعر بشار بن برد»، السيد بدر (ص١٤).

□ قال ابن هرمة يمدح رجلًا:

هَشٌّ إذا نزل الوفود ببابه ... سهل الحجاب مؤدَّب الخدام[1]

ح- وأبلغ ما يدلك على أصالة الرجل أن يَرِقَّ عطفُه، حتى يبسط إحسانه إلى ذي الحاجة وإن كان من أعدائه؛ فذلك من كِبَر النفس، ومن ضروب الأنفة والعزة.

□ قال أحدهم:

وأمنحه مالي وَوُدِّي ونصرتي ... وإن كان مَحْنِيَّ الضلوع على بغضي

□ حكي عن مصعب بن الزبير: «أنه لما ولي العراق جلس يومًا لعطاء الجند، وأمر مناديه فنادى: أين عمرو بن جرموز – وهو الذي قتل أباه الزبير – فقيل له: إنه قد تباعد في الأرض.

فقال: أيظن الجاهل أني أقيده بأبي عبد الله – يعني والده الزبير-؟ فليظهر آمنًا؛ ليأخذ عطاءه موفَّرًا!.

فعدَّ الناس ذلك من مستحسن الكبر»[2].

ط- ومن علامات الرسوخ في السخاء أن يتألم المرء، وأن يتأسف أشد الأسف إذا سئل شيئًا وهو غير واجدٍ له.

□ قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يا لهفَ نفسي على مالٍ أفَرِّقه ... على المقلين من أهل المروءات

---

(١) «عيون الأخبار» (١/ ٨٩).

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٥٣).

إن اعتذاري لمن قد جاء يسألني ... ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات[(١)]

□ قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان سعيد بن العاص إذا أتاه سائل فلم يك عنده ما سأل قال: اكتب عليَّ بمسألتك سِجِّلًا إلى يوم يسري»[(٢)].

ي- ومن الأسخياء من تسمو به الحال، فيرى أن الفضل والمنة إنما هي لمن جاءه يستجديه؛ حيث تكرم عليه، وأحسن الظن به، فهذا من غرائب السخاء.

فهذا حبر الأمة، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: «ثلاثة لا أكافئهم: رجل بدأني بالسلام، ورجل وسع لي في المجلس، ورجل اغبرَّت قدماه في المشي إليَّ؛ إرادة التسليم عليَّ، أما الرابع فلا يكافئه عني إلَّا الله عَزَّ وَجَلَّ.

قيل: من هو؟

قال: رجل نزل به أمر، فبات لَيلَتَهُ يفكر بمن ينزله، ثم رآني أهلًا لحاجته فأنزلها بي!»[(٣)].

□ وينسب له رضي الله عنه أبيات جميلة في هذا المعنى يقول فيها:

إذا طارقاتُ الهمِّ ضاجعت الفتى ... وأعمل فِكْرَ الليلِ والليلُ عاكرُ

وباكرني في حاجة لم يجدْ بها ... سواي ولا من نكبة الدهر ناصرُ

فرجت بما لي همَّه من مقامه ... وزايله همٌّ طروقٌ مسامرُ

---

(١) «ديوان الشافعي» تحقيق الزغبي.

(٢) «عيون الأخبار» (١/ ٣٧٠).

(٣) «عيون الأخبار» (٤/ ١٧٦).

وكـان لـه فـضل علـيَّ بظنّـه ... بي الخيرَ إني للـذي ظـنَّ شـاكرُ [(١)]

ك- وأرفع درجات السخاء أن يكون الرجل في حاجة مُلِحَّةٍ إلى ما عنده، فيدع حاجته، ويصرف ما عنده في وجوه الخير، وذلك ما يسمى بالإيثار.

* قال تعالى في معرض الثناء على الأنصار رضي الله عنهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ [الحشر: ٩].

* وقال تعالى في معرض الثناء على عباده المؤمنين: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان].

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ثم أخبر عنهم بإطعام الطعام على محبتهم له، وذلك يدل على نفاسته عندهم، وحاجتهم إليه».

وما كان كذلك فالنفوس به أشح، والقلوب به أعلق، واليدُ له أمسك.

فإذا بذلوه في هذه الحال فهم لما سواه من حقوق العباد أبذل»[(٢)].

□ قال دعبل الخزاعي:

ولـيس الفتـى المعطـي عـلى اليـسر ... ولكنه المعطي على العسر واليسر [(٣)]

□ وقال بعض الشعراء:

ليس جود الفتيان من فـضل مـال ... إنـما الجـود للمقـل المـواسي [(٤)]

---

(١) «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» لابن رشيق القيرواني (١/ ٣٧).
(٢) «جامع الرسائل» لابن تيمية (١/ ٧٢).
(٣) «عيون الأخبار» (١/ ٣٤٤).
(٤) «عيون الأخبار» (١/ ٣٤٤).

فإذا كان السخاء بتلك المثابة فما أجدر العاقل أن يأخذ نفسه به، وأن يجاهدها على اكتسابه.

وإذا كان من أعظم الأسباب لعلو الهمم وسيادة الأمم - فما أحرانا أن نربي نَشْأَنا على هذا الخلق العظيم، وأن نلقنهم أنه مرقاة السيادة والفلاح.

كما كان فرضًا علينا أن ننذرهم سوء المنقلب الذي ينقلب إليه البخلاء والمبذرون.

فإذا نحن فعلنا هذا أخرجنا للناس أمة تسمو أن تنحدر في تلك المدنية الهازلة المرذولة، ولا يجد خصومها لقهرها أو سلب حق من حقوقها طريقًا.

٥٧- الإعراض عن الجاهلين:

فهذا العمل سبب لعلو الهمة، ورفعة المنزلة، ووفور الكرامة، والبعد عن موجبات الذلة.

فمن أعرض عن الجاهلين حمى عرضه، وأراح نفسه، وسلم من سماع ما يؤذيه.

* قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف].

فهذه الآية جمعت أصول الأخلاق؛ فهي علاج رباني للراحة من شياطين الإنس.

فبالإعراض يحفظ الرجل على نفسه عزتها؛ إذ يرفعها عن مجاراة الطائفة التي تلذ الإقذاع والمهاترة.

□ قال الشافعي:

أعـرض عـن الجاهـل الـسفيه فكـل مـا قـال فهـو فيـه

مـا ضر نهـر الفـرات يومًـا لو خاض بعض الكـلاب فيـه (١)

□ وقال:

إذا سـبني نـذل تزايـدت رفعـةً ومـا العيـب إلَّا أن أكـون مـسابه

ولـو لم تكـن نفـسي عـلي عزيـزةً لَمَكَّنْتُها من كـل نـذل تحاربـه (٢)

□ وقال السموأل:

ربَّ شَـتْم سـمعتُه فَتَـصامَمْـ ـتُ وغَـيٍّ تركتـه فَكُفِيْـتُ (٣)

□ وقال المثقب العبديُّ:

وكـلامٍ سَـيِّءٍ قـد وقَـرتْ أذني عنـه ومـا بي مـن صَـمَمْ

فَتَعزَّيْـتُ؛ خـشاةً أن يـرى جاهـل أني كـما كـان زعـمْ

ولَبَعْضُ الصفح والإعراض عـن ذي الخنا أبقـى وإن كـان ظَلَـمْ (٤)

□ وقال الأصمعي: «بلغني أن رجلًا قال لآخر: والله لئن قلت واحدة لتسمعن عشرًا.

(١) «ديوان الشافعي» (ص٩٠).
(٢) «ديوان الشافعي» (ص٢٢).
(٣) «الأصمعيات» (ص٨٥).
(٤) «المفضليات» (ص٢٩٤).

فقال له الآخر: لكنك إن قلت عشرًا لم تسمع واحدة»[١].

□ وشتم رجل الحسن وأربى عليه، فقال له: «أما أنت فيما أبقيت شيئًا، وما يعلم الله أكثر»[٢].

□ وقال بعض الشعراء:

إني لأعرض عن أشياء أسمعها حتى يقول رجال إن بي حُمُقا

أخشى جواب سفيهٍ لا حياء له فَسْلٍ وظنَّ أناسٍ أنه صدقا[٣]

□ قال ابن المقفع: «واعلم أنك ستبتلى من أقوام بسفه سيطلع منك حقدًا. فإن عارضته أو كافأته بالسفه فكأنك رضيت ما أتى به؛ فأحببت أن تحتذي مثاله.

فإن كان ذلك عندك مذمومًا فَحَقِّقْ ذمَّك إياه بترك معارضته.

فأما أن تذمه وتمتثله[٤] فليس في ذلك سداد»[٥].

□ وقال الخطابي: «أنشدني ابن مالك، قال: أنشدني الدَّغولي في سياسة العامة:

إذ أمن الجهالُ جهلك مرة فَعِرْضُك للجهال غُنْمٌ من الغُنْمِ

وإن أنت نازيت السفيه إذا نزا فأنت سفيه مثله غير ذي حلم

ولا تعرض للسفيه ودارِهِ بمنزلة بين العداوة والسلم

---

(١) «عيون الأخبار» (٣/ ٢٨٥).

(٢) «عيون الأخبار» (٣/ ٢٨٧).

(٣) «عيون الأخبار» (٣/ ٢٨٤).

(٤) تمتثله: تحتذيه وتسلك مسلكه.

(٥) «الأدب الصغير والأدب الكبير» (ص١٥٥).

فيخشاك تاراتٍ ويرجوك تارة وتأخذ فيها بين ذلك بالحزم [(١)]

٥٨- إباءة الضَّيم:

الضيم: الظلم والاضطهاد، وإباءته: كراهته والنفور منه.

والنفور الصادق من الضيم يستلزم الغضب عند وقوعه.

ولهذا الخلق صلة محكمة بخلقين عظيمين، هما: عزة النفس، والبطولة؛ فمن لم يكن عزيز النفس لم يتألم من أن يضام، ومن لم يكن بطلًا احتمل الضيم؛ رهبة أو حرصًا على الحياة.

□ قال أبو النشناش النهشلي:

فمت معدمًا أو عشْ كريمًا؛ فإنني أرى الموتَ لا ينجو من الموتِ هاربه [(٢)]

□ وقال عَدِيٌّ بن رعلاء الغساني:

ليس من مات ما ستراح بميْتٍ إنما الميْتُ مَيِّتُ الأحياء

إنما الميْتُ من يعيش ذليلًا سَيِّئًا بالُهُ قليلُ الرجاءِ [(٣)]

□ وقال سويد ابن أبي كاهل يمدح قومه:

وإباءٌ للدَّنِيَّات إذا أعطي المكثور [(٤)] ضَيمًا فكنع [(٥)(٦)]

---

(١) «العزلة» للخطابي (ص٢٠٦- ٢٠٧).

(٢) «الأصمعيات» (ص١٩٩).

(٣) «الأصمعيات» (ص١٥٢).

(٤) المكثور: المغلوب.

(٥) كنع: خضع.

(٦) «الأصمعيات» (ص١٩٧).

فإباءة الضيم من علامات الهمة العالية، ومن مقوماتها الأساسية.

ولهذا فإن الرجل الذي يغار على ذوي القرابة والصداقة والجوار، ويبذل في إنقاذهم من الضيم دمه، أو ماله، أو جاهه - يعظم بهذه المزية في أعين من يقدرون المكارم قدرها.

وأكبرُ أباةِ الضيم همةً، وأرقاهم في سماء السيادة مقامًا - هو من يغار على الأمة في دينها، ويأبى أن تمسها لفحةٌ من ضيم، فيجاهد في سبيل سلامتها من أن يهضم حق من حقوقها، أو يغتصب شبر من أوطانها [١].

ويصور لك إباء الرجل؛ لأن يضام قول عتبان الشيباني حين نزلت ثقيف متقلبة على أرض قومه:

فـلا صُـلْحَ مـا دامـت أرضـنا يقوم عليها من ثقيـفَ خطيـبُ [٢]

□ أو قُل إن شئت:

فلا صُلْحَ ما دامـت منـابرُ أرضـنا يقوم عليهـا مـن أمريكـا صَـلِيبُ

٥٩- النظر إلى من هو أعلى في الفضائل وإلى من هو أدنى في أمور الدنيا:

فهذا من مقومات الهمم، ومن أسباب النهوض للمعالي؛ فينبغي لمتطلب الكمالات أن ينظر إلى من فوقه في أمور الدين، والتقوى، والصلاح، والعلم، والعبادة، والكرم، ومحاسن الأخلاق، وسائر الفضائل.

وأن ينظر إلى من دونه في أمور الدنيا من منصب، أو جاه، أو مال، أو

---

(١) «رسائل الإصلاح» (٢/ ٧٢).

(٢) «العفو والاعتذار» للرقام البصري (١/ ١٨٦).

صحة، أو بناء، أو مركب أو نحو ذلك..

□ قيل في منثور الحكم: «وإذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر إلى من فوقك من العلماء»(١).

□ وقال ابن العميد:

من شاء عيشًا هنيئًا يستفيد به ... في دينه ثم في دنياه إقبالا

فَلْيَنْظُرنَّ إلى من فوقه أدبًا ... ولينظرنَّ إلى من دونه مالا (٢)

فإذا أخذ المرء بهذا الأدب السَّني، وتوفر على اقتناء الفضائل، وألزم نفسه على التخلق بالمحاسن، ولم يرضَ من منقبة إلَّا بأعلاها، ولم يقف عند فضيلة إلَّا وطلب الزيادة عليها، واجتهد فيما يحسن سياسة نفسه عاجلًا، ويبقى لها الذكر الجميل آجلًا - لم يلبث أن يبلغ الغاية من التمام، ويرتقي إلى النهاية في الكمال، فيحوز السعادة الإنسانية، والرئاسة الحقيقية، ويبقى له حسن الثناء مؤبَّدًا، وجميل الذكر مخلدًا (٣).

• وإلى هذا المعنى العظيم يسير قول النبي ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه في المال والخلق - فلينظر إلى من هو أسفل- منه ممن فُضِّل عليه**»، وزاد مسلم: «**فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم**»(٤).

□ قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الحديث جامع لمعاني الخير؛ لأن المرء لا

---

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص٧٢).

(٢) المصدر السابق (ص٧٣).

(٣) انظر: «تهذيب الأخلاق» للجاحظ (ص٦٠ - ٦١).

(٤) رواه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٨/ ٢١٣).

يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهدًا فيها - إلَّا وجد من هو فوقه؛ فمتى طلبت نفسه اللحاق به استقصر حاله، فيكون أبدًا في زيادة تقربه من ربه، ولا يكون على حال خسيسة من الدنيا إلَّا وجد من أهلها من هو أخس حالًا منه.

فإذا تفكر في ذلك علم أن نعمة الله وصلت إليه دون كثير ممن فُضِّل عليه بذلكم من غير أمر أوجبه، فيلزم نفسه الشكر، فيعظم اغتباطه بذلك في معاده»[1].

٦٠- إدامة النظر في السيرة النبوية:

فالسيرة النبوية مليئة بالأحداث العظام، التي تبعث الهمة، وتوقظ العزمة.

فحياة النبي ﷺ كلها مليئة بالجهاد، والصبر، والمصابرة، وصدق العزيمة، وعلو الهمة.

ولا عجب في ذلك فهو سيد البشر، وخيرة الله من خلقه، وهو قدرة الناس أجمعين.

ولذلك لما بعثه الله؛ ليخرج العباد من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد أنشأ ﷺ يؤسس مبادئ العزة والكرامة، فاجتث من الأنفس شجرة الذلة من جذورها، وأعتق رقاب الأمة من الاستكانة؛ مخافة أن تهوي بها إلى أدنى درجات الضعة والدناءة، ولم يأْلُ جهدًا في إجراء دم الشهامة وكبر الهمة في عروقها الميتة، حتى أخرجها في قالب الكمال، لا تتردد إلَّا على أبواب الفضائل، ولا تبسط ساعديها إلَّا

(١) «فتح الباري» (١١/ ٣٣٠).

لمهمات الأمور[1].

□ قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها - فلْيقْتَدِ بمحمد رسول الله ﷺ وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه، أعاننا الله على الاتساء به بِمَنِّهِ آمين»[2].

٦١- الرحلة والتقلب في كثير من البلاد:

ولا سيما التقلب في بلاد تختلف بعاداتها، وأساليب تربيتها، ومناهج حياتها العلمية والسياسية.

«ولعل نبوغ ابن خلدون في شؤون الاجتماع ذلك النبوغ الرائع - إنما جاءه من نشأته في تونس، ثم سياحته في بلاد الجزائر، والمغرب الأقصى، والأندلس، ثم مصر - سياحة اعتبار، سياحةً اتصل فيها برؤساء حكوماتها، وأكابر علمائها، بل سياحة كان يقبض فيها أحيانًا على طرف

---

(١) انظر: «حياة الأمة» (ص٢٩- ٣٠)، وانظر: «العظمة» (ص٢٤- ٢٨) لمحمد الخضر حسين.

(٢) «الأخلاق والسير» (ص٢٤)، وانظر تفصيل ذلك في «صيد الخاطر» (٢/ ٤١٠- ٤١٣)، وانظر: «الشمائل المحمدية» للترمذي (ص١٨٦- ٢١٠) و(٢٦٢- ٢٨٣) تحقيق محمد عفيف الزغبي، وانظر «الأنوار في شمائل النبي المختار» للبغوي تحقيق الشيخ إبراهيم اليعقوبي (١/ ١٦١- ٣٥٨)، و«أخلاق النبي ﷺ وآدابه» لأبي الشيخ الأصبهاني تحقيق عصام الدين الصبابطي (ص١٣- ٩٨)، و«دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني (ص٥٥١- ٦٥٦)، و«إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٥٧- ٣٨٧)، و«شمائل الرسول ودلائل نبوته» لابن كثير (١/ ٧٣- ١٥٢)، ومحمد رسول الله وخاتم النبيين لمحمد الخضر حسين.

من سياسة تلك البلاد»[1].

وإذا درسنا تاريخ العلماء والأدباء الذين رحلوا عن أوطانهم، ووجهنا النظر إلى ما نتج عن رحلاتهم من فوائد تعود عليهم أنفسهم وعلى قومهم، أو على الأوطان التي حلوا بها - وقفنا على فوائد عديدة، وعوائد حميدة، يقدرها الباحثون عن وسائل رقي الأفراد والجماعات.

فمن أنفس ما يكتسبه الرجل في رحلته أن يعلم أشياء لم يكن يعلمها من قبل؛ فكم من عالم لم يبلغ المقام الذي يشار إليه بالبنان إلَّا بالرحلة.

كما أن في الرحلة عونًا على التمكن من بعض الأخلاق السامية، مثل خلق الصبر؛ لكثرة ما يلاقيه الراحل من متاعب بدنية، وآلام نفسية.

ومثل أدب المدارة؛ فإن البعيد عن وطنه أشد شعورًا بالحاجة إلى الأدب ممن يعيش بين قوم يعرفون من حسبه ومكانة بيته ما يجعل صراحته خفيفة على أسماعهم.

كما أن الراحل لا يخلو من أن يلاقي في رحلته رجالًا صاروا مُثُلًا عالية في مكارم الأخلاق، فيزداد بالاقتداء بهم كمالًا على كمال.

ثم إن الألمعي قد ينشأ في نبوغ، فيضيق بلده عن أنظاره الواسعة، وتطلعاته البعيدة، فيرحل إلى مدينة تكون أوسع مجالًا للآراء والأخذ والرد، فتعظم مكانته، ويكثر الانتفاع بحكمته.

ولولا الرحلة لما عظم شأنه، ولما كثرت ثمرات نبوغه.

ومما ذكر في هذا الصدد «أن القاضي يوسف بن أحمد بن كج الدِّيْنَوَري

---

(١) «رسائل الإصلاح» (١/ ١٨١)، وانظر: «حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية» لمحمد الخضر حسين.

قد بلغ في العلم مرتبة كبيرة، وقال له بعض من لقيه: يا أستاذ، الاسم لأبي حامد الغزالي، والعلم لك؟!

فقال القاضي: ذاك رفعته بغداد، وأنا حطتني الدِّيْنَوَرُ!»(١).

وربما أدرك الرجل في وطنه ضيق عيش يخشى أن يعوقه عن الازدياد في العلم، أو التفرغ لنشره بالتدريس والمذاكرة، فيرحل حيث يلقى كفافًا أو يسارًا يساعده على أن يقبل على الدرس والبحث بنفس مطمئنة.

أما البلاد التي يُرتَحل منها فإنها تستفيد من جهة أن العالم يرحل من وطنه وهو يحمل علمًا غزيرًا، أو يتحلى بأدب سنيٍّ، ثم ينزل بين جماعات مختلفة، فيرونه مثالًا لأهل العلم والأدب من قومه، فيرتفع شأن قومه في أنظارهم.

ثم إن البلاد التي يُرحل منها قد تحظى بالعلم بعد انقطاعه عنها، أو تقوم سوقه فيها بعد خمولها، والفضل في ذلك لرجال يرحلون إلى الحواضر التي هي منبع العلوم، ثم يعودون وقد امتلأوا مما اغترفوا من العلوم والفنون (٢).

أما البلاد التي يُرحل إليها فإنها تُفيد أيما فائدة ممن يفد إليها من العلماء والأدباء وأهل الفضل.

فرحلات العلماء والأدباء تنقل العلم والأدب من بلد إلى آخر على وجه أثبت وأنفع مما تنقله المؤلفات وحدها.

والأمثلة والشواهد على ما مضى كثيرة جدًّا، ولا أدل على ذلك في

---

(١) «رسائل الإصلاح» (٢/ ٧٩).

(٢) انظر: «رسائل الإصلاح» (٢/ ٧٥- ٨٥)، و«الرحلات» لمحمد الخضر حسين.

العصور الحديثة من رحلة العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – عليه رحمة الله- فلقد رحل من بلاده شنقيط إلى الديار السعودية، فأفاد واستفاد، وارتفع شأنه، وعلت مكانته؛ حتى أصبح في مقدمة أهل زمانه في العلم والفضل[١].

وقل مثل ذلك في شأن الشيخ الداعية عبد الله القرعاوي – عليه رحمة الله- الذي رحل إلى جنوب المملكة العربية السعودية، فدعا إلى الله، وحرص على نشر العلم، فنفع الله به نفعًا عظيمًا تُرى آثاره إلى يومنا الحاضر[٢].

هذا وإن مما ينبغي التنبيه عليه أن السفر لا يذكي همة صاحبه، ولا يربي له ملكة الأدب – إلَّا إذا قارنته فِطْنَةٌ مستيقظة، تبحث عن أسرار الاجتماع، وتدقق النظر في تمييز الحسن من المعيب؛ لأن من الناس من لا يزيدهم الاغتراب إلَّا خورًا في طباعهم، وانحلالًا في أخلاقهم، وعقائدهم.

قد غمسوا وجوههم في الخبائث، حتى نضب منها ماء الحياة، وانسدل عليها من السماجة قناعٌ كثيف.

بل إن منهم من تتمادى به القحة، فَيُغِيْرُ على العقائد تسفيهًا وتضليلًا خصوصًا ممن ارتمى في أحضان أعداء الله، فسافر إلى بلادهم بلا عقيدة تردعه، ولا إيمان يزمُّه.

---

(١) انظر: «رحلة الحج إلى بيت الله الحرام» للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، للشيخ عبد الرحمن السديس.

(٢) انظر: «الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي ودعوته في جنوب المملكة العربية السعودية» تأليف موسى السهلي.

ولو انزوت هذه الفئة في حنايا بيوتهم لكان خيرًا لهم، وأخفَّ فتنة على السامعين لهم؛ فالسفر النافع - إذًا - ليس هو مبارحة الأوطان كيفما اتفق، ولا الجولان بالبلدان كيفما كان الحال [(١)].

٦٢- استشعار المسؤولية:

• وذلك بأن يستشعر الإنسان مسؤوليته، ويعمل ما في وسعه ومقدوره، ويحذر كل الحذر من التهرب من المسؤولية، والإلقاء باللائمة والتبعة على غيره؛ فذو الهمة العالية يخوض معركة الحياة بعزم وإيمان؛ فلا ينتحل الأعذار للتخلص من الواجب، ولا يختلق الأسباب للتنصل من المسؤولية، بل لقد روَّض نفسه على تحمل المسؤوليات، والنهوض بالواجبات من غير ما ترددٍ أو إحجام؛ ذلكم أن المسؤولية في الإسلام عامة، تشمل كل فرد من المسلمين؛ فهم جميعًا داخلون في عموم قوله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» [(٢)].

فالمسؤولية مشتركة، كل امرئ بحسبه، هذا بتعليمه وكلامه، وهذا بوعظه وإرشاده، وهذا بقوَّته وماله، وهذا بجاهه وتوجيهه إلى السبيل النافع وهكذا.

فاستشعار المسؤولية مما يبعث الهمة، ويقود إلى التنافس في الخير، وبه تستجلب الخيرات، وتنال الهداية والبركات.

* قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ

---

(١) انظر: «السعادة العظمى» (ص١٢٩- ١٣٢).

(٢) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء].

٦٣- الحرص على الإفادة من كل أحد ومن كل موقف:

□ قال الشيخ محمد إبراهيم أحمد: «فقد تساعف الإنسانَ الأمورُ، فتسير على نحو ما يريد، وقد تخالفه الأمور، فتجري على خلاف ما يشتهي.

وقد يوفق بمن يعينه ويأخذ بيده، وقد يخذل فلا يجد إلَّا من يعوقه ويقف في طريقه.

وكثير من الناس يفيد من الأمور التي تجري في صالحه، ولكنه يقف مكتوف الأيدي إذا وقف أمامه أمر، أو حال دون بغيته حائل.

أما العاقل الحازم، ذو الهمة العالية، والبصيرة النافذة - فيحرص كل الحرص على أن يوظف الأمور كي تسير في صالحه، وأن يفيد من جميع المواقف التي تمر به مهما اختلفت عليه، فتراه «ينتفع بكل من خالطه وصاحبه، من كامل، وناقص، وسيِّئ الخلق، وحسنه، وعديم المروءة، وغزيرها.

وكثير من الناس يتعلم المروءة ومكارم الأخلاق من الموصوفين بأضدادها، ما روي عن بعض الأكابر أنه كان له مملوك سيِّئ الخلق، فظ، غليظ، لا يناسبه.

فسئل عن ذلك، فقال: إني أدرس عليه مكارم الأخلاق!

وهذا يكون بمعرفة مكارم الأخلاق في ضد أخلاقه، ويكون بتمرين

النفس على مصاحبته، ومعاشرته، والصبر عليه»[(١)].

□ قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولكل شيء فائدة، ولقد انتفعت بمحك أهل الجهل منفعةً عظيمةً، وهي أنه توقد طبعي، واحتدم خاطري، وحمي فكري، وتهيج نشاطي، فكان ذلك سببًا إلى تواليفَ لي عظيمة، ولولا استثارتهم نشاطي، واقتداحهم كامني ما انبعثت لتلك التواليف»[(٢)].

□ وهذا الأديب الكبير عباس محمود العقاد يقول في صدد الحديث عن أساتذته، وعن استفادته منهم: «استفد في مرحلة التعليم الابتدائي من أستاذين اثنين على اختلاف بينهما في طريق الإفادة؛ فإن أولهما قد كان قاصدًا، والآخر أفادني على غير قصد منه، فحمدت العاقبة على الحالين.

كان أحد الأستاذين الشيخ فخر الدين محمد الدشناوي، وكان يميل إلى التجديد والابتكار في التعبير، ويمنح أحسن الدرجات للتلميذ المتصرف في مناحي الكلام، وأقلَّها للتلميذ الذي يقتبس من نماذج الكتب.

وكانت دروسه تلتهب حماسةً ووطنيةً، ولها تأثيرها البليغ في نفوس التلاميذ، خصوصًا في زمن كانت تئن فيه البلاد من وطأة الاحتلال.

أما الأستاذ الثاني فمدرس الحساب»[(٣)].

□ ثم تحدث عن مدرس الحساب فقال: «كان يؤمن بالخرافات، وشفاعات الأولياء، وكان محدود الفهم في دروسه، ولا سيما المسائل

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٣٥).

(٢) «الأخلاق والسير» (ص٤٨).

(٣) «ذكرياتي مع عباس العقاد»، لطاهر الجبلاوي، إعداد عباس طاهر الجبلاوي (ص٢٥).

العقلية في دروس الحساب»[١].

□ وبعد أن ذكر بعض المواقف مع ذلكم الأستاذ قال: «ولكن الدرس الأكبر الذي أحسبه أكبر ما استفدته مع جميع الدروس في صباي كان بصدد مسألة حسابية من تلك المسائل العقلية.

كنت شديد الولع بهذه المسائل، لا أدع مسألة منها دون حل مهما يبلغ من إعضالها.

وكان الأستاذ يحفظ منها عددًا كبيرًا محلولًا في دفتره يعيده على التلاميذ كل سنة، وقلنا يزيد عليه شيئًا من عنده.

وعُرضت في بعض الحصص مسألة ليست في الدفتر، فعالجنا حلها في الحصة على غير جدوى، ووجب في هذه الحالة أن يحلها الأستاذ لتلاميذه فلم يفعل، وقال على سبيل التخلص: إنما عرضتها عليكم؛ امتحانًا لكم؛ لتعرفوا الفرق بين مسائل الحساب، ومسائل الجبر؛ لأنها تشتمل على مجهولين.

لم أصدق صاحبنا، ولم أَكُفَّ عن المحاولة في بيتي، وقضيت ليلةً ليلاءَ حتى الفجر، وأنا أقوم وأقعد عند اللوحة السوداء حتى امتلأت من الجانبين بالأرقام، وجاء الفرج قبل مطلع النهار، فإذا بالمسألة محلولة، وإذا بالمراجعة تثبت لي صحة الحل، فأحفظ سلسلة النتائج وأعيدها؛ لاستطيع بيانها في المدرسة دون ارتباك أو نسيان.

قلت: لقد حللت المسألة.

---

(١) «ذكرياتي مع عباس العقاد» (ص٢٥).

قال الأستاذ: أية مسألة.

قلت: المسألة التي عجزنا عن حلها في الحصة الماضية.

قال: أو صحيح؟ تفضل، أرنا همتك يا شاطر!

وحاول أن يقاطعني مرة بعد مرة، ولكن سلسلة النتائج كانت قد انطبعت في ذهني؛ لشدة ما شغلتني، وطول ما راجعتها، وكررت مراجعتها، وانتظرت ما يقال.

فإذا الأستاذ ينظر إليَّ شزرًا وهو يقول: لقد أضعت وقتك على غير طائل؛ لأنها مسألة لن تعرض لكم من امتحان.

وإذا بالتلاميذ يُعَقِّبون على نفحة الأستاذ قائلين: ضيَّعت وقتنا، ما الفائدة من كل هذا العناء؟»[1].

□ ثم عقب العقاد على هذا الحدث بقوله: «كانت هذه الصدمة خليقة بأن تكسرني كسرًا لو أن اجتهادي كان محل شك عندي، أو عند الأستاذ، أو عند الزملاء.

أما وهو حقيقة لا شك فيها، فإن الصدمة لم تكسرني، بل نفعتني أكبر نفع حمدته في حياتي، وصح قول: «نيتشه»[2]: كل ما لم يقتلني يزيدني قوة.

لأني لم أحفل بعدها بإنكار زميل، ولا رئيس، وعلمت أن الفضل قيمته فيه، لا فيما يقال عنه أيًّا كان القائلون»[3].

---

(١) «ذكرياتي مع عباس العقاد» (ص٢٧- ٢٨).

(٢) يعني به: فريدريك نيتشه، فيلسوف ألماني. انظر: «كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة» لعبد الرحمن الميداني (ص٥٦٠).

(٣) «ذكرياتي مع عباس العقاد» (ص٢٨).

بل إن كثيرًا من العقلاء يتعلم من الحيوانات البهم أمورًا تنفعه في معاشه، وأخلاقه، وصناعته، وحربه، وحزمه، وصبره.

قيل لرجل: مَنْ عَلَّمك البكور في حوائجك أوَّل النهار لا تُخِلُّ به؟

قال: مَنْ عَلَّم الطير تغدو خماصًا كل بكرة في طلب أقواتها على قربها وبعدها، لا تسأم ذلك، ولا تخاف ما يعرض لها في الجو والأرض.

وقيل لآخر: منْ علَّمك السكون، والتحفظ، والتماوت حتى تظفر بإربك، فإذا ظفرت به وثبت وثوب الأسد على فريسته؟

قال: الذي علم الهرة أن ترصد جحر الفأرة، فلا تتحرك، ولا تتلوَّى، ولا تختلج حتى كأنها ميتة، حتى إذا برزت الفأرة وثبت عليها كالأسد.

وقيل لآخر: من علمك حسن الإيثار والبذل والسماحة؟

قال: من علم الديك يصادف الحبة في الأرض، وهو يحتاج إليها ولا يأكلها، بل يستدعي الدجاج، ويطلبهن طلبًا حثيثًا حتى تجيء الواحدة منهن، فتلتقطها وهو مسرور بذلك، طيب النفس به.

فإذا وضعت له الحبَّ الكثير فرَّقه ههنا وههنا، وإن لم يكن له دجاج؛ لأن طبعه قد ألِفَ البذل والجودَ، فهو يرى أنه من اللؤم أنه يستبد وحده بالطعام.

وكذلك كرام الأسود وأشرافها يُتعلم منها الأنفة وعزة النفس؛ فهي لا تأكل إلَّا من فريستها، وإذا مرت بفريسة غيرها لم تدن منها ولو جهدها الجوع [(١)].

---

(١) انظر ذلك مفصلًا في «شفاء العليل» لابن القيم (ص١٤٧ - ١٦٤).

ومن جميل ما ينبغي على المرء في هذا الشأن أن يفيد من تجارب الآخرين؛ فالحياة كلها تجارب، واستفادة من التجارب، وميزة إنسان على إنسان، وأمة على أمة هي القدرة على الاستفادة من التجارب وعدمُها؛ فالحادثة تمر أمام جمع من الناس فيستفيد منها أحدهم بمقدار مئة، وآخر بمقدار خمسين، وثالث تمر منه الحادثة على عين بلهاء، فلا يستفيد منها شيئًا؛ فكم من الناس من لهم أعين ولكن لا يبصرون بها، وآذان ولكن لا يسمعون بها، وقلوب ولكن لا يعقلون بها.

والفرق بين من يستفيد من التجربة ومن لا يستفيد أن الأول يستطيع أن ينتهز الفرص في حينها، وأن يتجنب الخطر قبل وقوعه، على حين أن الثاني لا ينتهز فرصة، ولا يشعر بالخطر إلَّا بعد وقوعه.

وحينما تقرأ كتب التاريخ تقرؤها؛ لتستفيد من أعمال الناس، وما وقع لهم، وما صدر منهم، وما كان من نتائج أعمالهم، وتقرأ سير العظماء؛ لتتشبه بهم، وتدرك مواضع عظمتهم»[١] اهـ[٢].

٦٤- السلامة من الغرور ومن المبالغة في احتقار النفس[٣]:

«فهذان الأمران من أعظم الأسباب لدنو الهمم، والسلامة منهما من أعظم الأسباب لعلوها.

أما الغرور فهو أن يحتقر المرء كل من عداه، وأن يتطاول إلى ما ليس في قدرته، وأن يتدخل فيما ليس من شأنه، وأن يحكم على ما لم يُحِط به علمه.

(١) انظر: «فيض الخاطر» (١٠/ ٢١١).
(٢) «الهمة العالية» (ص٢٣٠- ٢٣٤).
(٣) المصدر السابق (ص٢٥٤- ٢٥٦).

حتى إن المغرور ليترفع عن الإصغاء إلى نصيحة، أو الاستماع لرأي، أو الخضوع لكبير، أو الإجلال لعالم.

وهذا المرض متفشٍّ في أمتنا؛ فكم من أمتنا من قضى عليه الخمول والكسل، ولو سألتهم عن ذلك لأجابوك: من نحن؟ وما قيمتنا؟ وماذا نستطيع أن نعمل؟ وهل بإمكاننا أن نوقف الشمس؟ أو أن نؤخر عجلة الزمن؟

كلا يا صاح، إنك شيء عظيم، تستطيع أن تفعل أشياء وأشياء، وما هؤلاء الذين تراهم ممن يملأون التاريخ بجلائل الأعمال إلَّا أناس مثلك، لهم مثل ما لك في الذكاء والموهبة، ولكنهم وثقوا بأنفسهم، وعرفوا قيمة مواهبهم.

وهذا المرض تبتلى به الأمم الضعيفة، المنتقلة من طور الخمول إلى دور اليقظة، أو المتردية من شامخ العزة إلى درك الضعف والذلة.

وإنه لمرض يتفشى في أمتنا اليوم، وحسبك أن تستمع إلى أحاديث الناس في المجتمعات العامة؛ لترى كيف يحمل كثير منهم مبضعَ الطبيب، يجرح به هذا، ويقطع به ذلك، وكيف ينطوي على غرور يجعل رأيه فوق الآراء، ونظره فوق الأنظار، وعلمه فوق كل علم.

وهو لا يفتأ في حديثه يصف الناس بالحماقة، وأهل العلم بالجهالة ونحو ذلك..

وحين تبتلى الأمة بهذه البلية فإنها تستعصي على نصح الناصحين، وتنحدر وهي تظن أنها في أعلى عليين، وتتراكم عليها المصائب، وهي تظن أنها أقوى من جميع أعدائها، تهزمهم بصرخة، وتردهم بإشارة،

وتدفعهم عنها بالضجة، والثرثرة.

□ أما المرض الثاني فهو المبالغة في احتقار النفس؛ فتجد من الناس من هو محطم النفس، مسلوب الإرادة، فاقد الأمل، قليل الثقة بنفسه وبأمته، لا يرى أن باستطاعته أن يقوم بشيء في هذه الحياة.

وما أقسى هذا الداء، وما أمرَّه على الأمة؛ إذ يشل حركتها، ويجعلها ذليلة أمام كل جبار، ضعيفة أمام كل قوي.

أما أنت فقد قعدت بك همتك، فازدريت نفسك، وانتقصت أمتك، ورضيت لنفسك أن تكون نسيًا منسيًّا.

مثل هؤلاء في أمتنا كثير، وأعجب من ذلك أنك ترى في هؤلاء المصابين بمرض الخمول والاحتقار للنفس من هو مصاب في الوقت نفسه بداء الغرور أيضًا؛ فهو يضع نفسه في أمته موضع المتكبر المتبجح المغرور.

ولكنه يطرق رأسه أمام الأعداء حطة، وذلة، ومهانة.

والسلامة كل السلامة أن يسلمك الله من هذه الأدواء؛ فالإنسان العاقل السوي، الذي ينظر إلى الأمور كما هي – هو ذلك الذي يسير على حد الاعتدال، فلا يُغَرُّ بما أوتي من ذكاء، وعلم، وقوة، فيزعم لنفسه كل فضيلة، ويتطاول بغروره إلى كل منزلة.

ولا يركن في الوقت نفسه إلى جوانب الضعف فيه، فيقوده ذلكم إلى المبالغة في احتقار نفسه، وازدراء إمكاناته ومواهبه، فيقعد عن كل فضيلة،

ويعيش في هذه الحياة كأنه همل مضاع، ولقًى مزدري»[(١)] اهـ.

٦٥- الشجاعة والإقدام، واطراح المبالغة في تعظيم شأن الخوف:

«فالشجاعة فضيلة عظيمة، وخصلة من خصال الخير عالية، فهي من أعظم مقومات الهمة، ومن أهم أسباب اكتسابها.

فالشجاع يخاف من العار الذي يلحقه من احتمال الضيم، أو يرغب في أن يدرك مجدًا شامخًا، فيقوده ذلك إلى أن يلقي بنفسه في مواضع الدفاع، لا يلوي جبينه عن طعان أو نضال.

والأمة لا تحوز مكانة يهابها خصومها، وتقرُّ بِها عينِ حلفائها - إلَّا أن تكون عزيزة الجانب، صلبة القناة.

وعزة الجانب، وصلابة القناة لا ينزلان إلَّا حيث تكون قوة الجأش، والاستهانة بملاقاة المكاره، وذلك ما نسميه شجاعة[(٢)].

«وحد الشجاعة بذل النفس للموت عن الدين، والحريم، وعن الجار المضطهد، وعن المستجير المظلوم، وعن الهضيمة ظلمًا في المال، والعرض، وفي سائر سبل الحق»[(٣)].

والشجاعة لا تقتصر على الأقدام في ميادين الوغي، بل هي أعم من ذلك، فتشمل الشجاعة الأدبية في التعبير عن الرأي، وبالصدع بالحق، وبالاعتراف بالخطأ، وبالرجوع إلى الصواب إذا تبين، ونحو ذلك مما

---

(١) انظر: «أخلاقنا الاجتماعية» (ص١٠- ١٢)، و«لماذا تأخَّر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم» (ص١٤١- ١٥١).

(٢) انظر: «رسائل الإصلاح» (١/ ٧٧).

(٣) «الأخلاق والسير» لابن حزم (ص٣٢).

سيمر بنا.

وليس من شرط الشجاعة ألا يجد الرجل في نفسه الخوف جملةً من الهلاك، أو الإقدام، أو نحو ذلك؛ فذاك شعور يجده كل أحد من نفسه إذا هو همَّ بعمل كبير أو جديد.

بل يكفي في شجاعة الرجل ألا يعظم الخوف في نفسه حتى يمنعه من الإقدام، أو يرجع به إلى الانهزام.

◻ قال هشام بن عبد الملك لمسلمة: «يا أبا سعيد، هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدو؟

قال مسلمة: ما سلمت في ذلك من ذعر يُنَبِّه على حيلة، ولم يَغْشَني فيها ذعر سلبني رأيي.

قال هشام: هذه هي البسالة»(١).

بل إن أشجع الشجعان يجدون في أنفسهم ذلك الشعور إذا هم خاضوا المعمعان، وغشوا ساحات الوغى.

لكن ذلك لا يحملهم على الإحجام والانهزام.

◻ فهذا عمرو بن معدي كرب (٢) الزبيدي – وحسبك به شجاعة إقدامًا– يصف نفسه، ويصور حالته في ساحة الوغى، ويبين أن الخوف يداخله، ولكن لا يحمله على الفرار والإحجام، فلا ينقص ذلك من قدره، ولا ينزل من مكانته، حيث يقول:

---

(١) «رسائل الإصلاح» (١/ ٧٨).

(٢) انظر: «عمرو بن معدي كرب الزبيدي» لمطاع الطرابيشي.

ولقد أجْمَعُ رِجْلَيَّ بها حَذَرَ الموتِ وإني لفرورْ

ولقد أعْطِفُها كارهةً حين للنفس من الموت هريرْ

كلُّ ما ذلك مني خلقٌ وبكلٍّ أنا بالروع جديرْ [1]

فالشجاعة إذًا هي مواجهة الألم أو الخطر أو نحو ذلك عند الحاجة في ثبات، وليست مرادفة لعدم الخوف كما يظن بعض الناس.

فالذي يرى النتائج، ويخاف وقوعها، ثم يواجهها في ثبات - رجل شجاع.

فالقائد الذي يقف على خط النار، فترتعد لذلك فرائصه؛ خشية من نزول الموت به، ثم يضبط نفسه، ويؤدي عمله كما ينبغي، هو رجل شجاع.

بل هو شجاع - أيضًا- إذا رأى أن خير عمل يعمله أن يتجنب الخطر، وأن الواجب يقضي عليه أن ينسحب بجنوده حيث لا خطر.

فإن هو أضاع في موقفه رشده، أو ترك موقفًا يجب أن يقفه، أو فر بجنوده من خطر كان عليه أن يقفه - فهو جبان.

فالشجاعة لا تعتمد على الإقدام والإحجام فحسب، ولا على الخوف وعدمه، وإنما تعتمد على ضبط النفس، وعمل ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي.

□ قال عمرو بن العاص لمعاوية رضي الله عنهما: «لقد أعياني أن أعلم: أجبان أنت أم شجاع؟ فقال:

---

(١) «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص٨٢).

شجاعٌ إذا ما أمكنتني فرصةٌ وإلا تكن لي فرصة فجبان [١]

بل ليس بالمحمود أن يتجرد الإنسان من كل خوف؛ فقد يكون الخوف فضيلة، وعدمه رذيلة؛ فالخوف عند الإقدام على أمر مهم تتعلق به مصالح الأمة، أو يحتاج إلى اتخاذ قرار حاسم - فضيلة وأي فضيلة؛ إذ هو يحمل على الرَّويَّة، والتأني، والتؤدة، حتى يختمر الرأي، وينضج في الذهن [٢]؛ فلا خير في الرأي الفطير، ولا الكلام القضيب [٣]، والعرب تقول: «الخطأ زاد العَجُول»[٤].

□ كما أنها تمدح من يتريث ويتأني، ويقلِّب الأمور ظهرًا لبطن، وتقول فيه: «إنه لَحُوَّلٌ قُلَّبٌ»[٥].

ولهذا ما زال الحكماء ينصحون الناس ألا يقدموا على مواقع الخطر إلَّا أن تكون فائدة الإقدام أكبر من خسارته.

□ قال أبو الطيب المتنبي:

الرأي قبلَ شجاعةِ الشجعانِ هو أول وهي المحل الثاني

وإذا هما اجتمعا لنفسٍ حُرَّةٍ حازت من العلياء كل مكان [٦]

---

(١) «عيون الأخبار» (١/ ١٦٣).

(٢) انظر: «الأخلاق» (ص٢٠٥- ٢٠٦).

(٣) الرأي الفطير: هو الذي لم ينضج، والكلام القضيب: هو المرتجل انظر: «زهر الآداب» للحصري القيرواني (١/ ١٥٤).

(٤) «مجمع الأمثال» للميداني.

(٥) «الأمثال» لأبي عبيد (ص١٠٠).

(٦) «ديوان المتنبي» (٤/ ١٧٤).

□ وقال:

وكـل شـجاعة في المـرء تغنـي ... ولا مثـل الـشجاعة في الحكـيم [١]

وإنما الجبن المذموم، والخوف المرذول - هو ما بالغ صاحبه فيه مبالغة تخرجه عن طوره، فهذا هو خوف الجبان الرعديد، الذي يغلب جانب الشر، ويخشى سوء عواقبه.

أما الشجاع فلا يفكر كثيرًا في احتمال الشر، ثم إذا وقع لم يَطِرْ قلبه شَعَاعًا، بل يصبر، ويتحمله بثبات؛ إن مرض لم يضاعف مرضه بوهمه، وإن نزل به مكروه قابله بجأش رابط فخفف شدته؛ فمن الحكمة والعقل ألا يجمع الإنسان على نفسه بين الألم بتوقع الشر، والألم بحول الشر؛ فليسعد ما دامت أسباب الحزن بعيدة عنه، فإذا حدثت فَلْيقابلْها بشجاعة واعتدال.

□ قال أبو علي الشبل:

ودع التوقــع للحــوادث إنــه ... للحي مـن قبـل المـمات ممـات [٢]

وبالجملة فالشجاع ليس بالمتهور الطائش الذي لا يخاف مما ينبغي أن يخاف منه، ولا هو بالجبان الرعديد الذي يَفْرَقُ من ظله، ويخاف مما لا يخاف منه [٣].

ثم إن الشجاعة ليست هي قوةَ البدن؛ فقد يكون الرجل قويَّ البدن

---

(١) «ديوان المتنبي» (٤/ ١٢٠).

(٢) «صيد الخاطر» (٢/ ٣٣٩).

(٣) انظر: «الأخلاق» (ص٢٠٥- ٢٠٦)، و«فيض الخاطر» (٢/ ٢٠٥)، و«المسؤولية» (ص٣١- ٣٢).

ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته.

والمحمود منها ما كان بعلم ومعرفة، دون التهور الذي لا يفكر صاحبه، ولا يميز بين المحمود والمذموم.

ولهذا كان القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح.

فأما المغلوب حين غضبه فليس بشجاع ولا شديد[١].

أمور تعين على اكتساب الشجاعة:

□ هذا ومما يعين على اكتساب الشجاعة، واطراح المبالغة في تعظيم شأن الخوف - زيادة على ما مضى - ما يلي:

أ- الدربة، والمران، والتعود: فإن قلة الإلف لأمر من الأمور - تقود إلى الجبن؛ فالإنسان إذا لم يرَ الشيء ويألفه يجبن أمامه، كالطالب إذا لم يتعود الخطابة، فإنْ هو حاول تهدَّج صوتُه، وجفَّ ريقُه، وارتعشت أطرافه.

وكذلك من لم يتعود غشيان المجالس، ومخالطة الناس - فإنه يخاف منهم، ويلجئه الخوف إلى إيثار العزلة.

فإذا هو اضطر يومًا إلى الاجتماع بهم علاه الخجل، وزاد ارتباكه، واضطربت حركاته، وثقل على الناس، وثقلوا عليه.

وعلاج ذلك يكون بالدربة، والمران، والتعود، والممارسة، فلا يزال يتكلف الخطابة حتى يصير خطيبًا، والجرأة حتى يصير جريئًا[٢].

---

(١) انظر: «الاستقامة» لابن تيمية (٢/ ٢٧١).

(٢) انظر: «الأخلاق» (ص ٢١٠).

□ قال البارودي:

واعْتَدْ على الخير؛ فالموفق من ... هذَّبه الاعتياد والدَّرَبُ [(١)]

ب- توطين النفس على وقوع المكروه، والحذر من تضخيم النتائج:

فمما يفيد في هذا الباب أن يفرض وقوع المكروه، ثم يُهوِّنه ويوطن نفسه على احتماله، ثم يشرع في إنقاذ ما يمكنه إنقاذه.

فلو تصور أنه خطب ولم يُجِدْ، وانتقده السامعون، ثم صغَّر النتيجة وهوَّنها، وقال في نفسه: كلُّ خطيبٍ مُعَرَّضٌ لمثل ذلك - لتشجع، ولم يجبن.

بل ربما أصبح فيما بعد خطيبًا مِصْقَعًا، لا تُقَيِّدُه حُبْسةٌ، ولا يثنيه جماح.

وكذا لو قرر الأطباء أن تعمل له عملية جراحية فَقَدَّرَ الموت، واستصغره - لقابل الأمر بثبات وهكذا [(٢)]..

□ قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: «وطِّن نفسك على ما تكره يقلَّ همُّك إذا أتاك، ويعظم سرورك ويتضاعف إذا أتاك ما تحب مما لم تكن قدَّرْته» [(٣)].

ج- النظر في العواقب: وذلك بأن ينظر إلى عواقب كلٍّ من الجبن والشجاعة، فإذا ظهر له أن ما يصل إليه من الخير إنْ هو تشجع أعظمُ مما يصل إليه من الجبن - استحثه ذلك على الشجاعة.

فمن جبن عن أن يرحل عن بلده لطلب رزق أو علم - فلينظر في

---

(١) «ديوان البارودي» (ص٧٩).

(٢) انظر: «الأخلاق» (ص٢١١).

(٣) «الأخلاق والسير» (ص٢٦)، وانظر: «صيد الخاطر» (١/ ١١٠- ١١١)، و«دع القلق» (ص٣٥- ٤٤).

الأمر، فسيرى أن من المحتمل أن يصيبه مرض في رحلته، وأنه قد يموت في أرض غربته.

ولكن من المؤكد أنه إذا لم يرحل ضاق رزقه، أو قل علمه، أو كان جبانًا، أو جاهلًا حتمًا.

فالنظر في العواقب قد يحمل المرء على أن يكون شجاعًا، لا سيما إذا علم أنْ ليست الحياة بنبض القلب، ولا بالأكل والشرب، وإنما هي بالعمل الجاد، والإفادة والاستفادة، وإلَّا أصبح الإنسان من سقط المتاع لا قيمة له عند أحد..

وما للمرء خير في حياة إذا ما عدت من سقط المتاع

▫ قال أعرابيٌّ من باهلة:

فَلَلْمَوْتُ خيرٌ من حياة يُرى لها على الحر بالإقلال وسيم هوان (١)

* ولهذا كانت عناية القرآن بخصلة البطولة والإقدام؛ حيث أقبل على النفوس، وأخذ ينقيها من رذيلة الجبن والإحجام، ويذكرها بسوء عاقبة الجبناء، كقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة: ٨].

فقد أشارت الآية إلى أن عاقبةَ الجبناءِ أن يبتلوا بذي قوة لا يعرف للعهد حرمة، ولا يقيم للعدل وزنًا.

ومن الذي يرتاب أن الموت في مواطن البطولة أشرف من حياة يغمرها الذل والهوان؟ (٢).

---

(١) «عيون الأخبار» (١/ ٢٣٩).

(٢) انظر: «الهداية الإسلامية» (ص٣٩).

□ قال أبو الطيب المتنبي:

غـير أن الفتـى يلاقـي المنايـا   كالحـاتِ ولا يلاقـي الهوانـا
وإذا لم يكـن مـن المـوت بـدٌّ   فمـن العجـز أن تمـوت جبانًـا [(١)]

د- **اطراح المبالاة بكلام الناس**: فذلك هو باب العقل والراحة كلها، كما قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ [(٢)].

ولا يعني اطراح المبالاة بكلام الناس أن يتقصد المرء مخالفة الناس، وأن يعمد إلى مخاشنتهم، والإغلاظ عليهم؛ لأن الحكمة تقتضي مداراة الناس، ومعرفة أحوالهم، وإنزالهم منازلهم؛ فالحكيم الحازم العاقل يزن عقول من يلاقونه، ويحس ما تكن صدورهم، وتنزع إليه نفوسهم، فيصاحبهم وهو على بصيرة مما وراء ألسنتهم من عقول، وسرائر، وعواطف، فيتيسر له أن يسايرهم إلَّا أن ينحرفوا عن الرشد، ويتحامى ما يؤلمهم إلَّا أن يتألموا من صوت الحق [(٣)].

فإذا قام المرء بما تقتضيه الحكمة – فَلْيقدِم على ما قصد إليه دونما التفات أو مبالاة بكلام أحد؛ فلا لوم ولا تثريب عليه حينئذٍ.

هـ- **أن يستحضر المرء أنْ لا سلامة من الناس**: فالسلامة من الناس عزيزة المنال، خصوصًا إذا كان المرء ممن يتصدر ويقوم بجلائل الأعمال.

□ قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «من قدَّر أنه يسلم من طعن الناس وعيبهم –

---

(١) «ديوان المتنبي» (٤/ ٢٤١).

(٢) انظر: «الأخلاق والسير» (ص١٧).

(٣) انظر: «رسائل الإصلاح» (١/ ٩٥).

فهو مجنون»[١].

فإذا كان الأمر كذلكم كان حريًّا بالمرء ألا يعظم شأن الناس في قلبه، وألا يجعل مراقبتهم والخوف من ثلبهم وعيبهم حائلًا بينه وبين تحقيق مآربه النافعة له، ولأمته، ووطنه.

□ قال بشار بن برد:

من راقبَ الناسَ لم يظفرْ بحاجته ... وفاز بالطيباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ[٢]

□ وقال سلم الخاسر:

من راقب الناس مات همًّا ... وفاز باللذةِ الجسورُ[٣]

وبالجملة فاحرص على أن تركز جهدك، وتستفرغ طاقتك في العمل الذي تراه صوابًا، ثم بعد ذلك أدِرْ ظهرك، وصمَّ أذنيك عن كل ما ينالك من لوم اللائمين، ونقد الظالمين، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

ومما يعينك على ذلك أن تستشعر أن كلام الناس لا يضرك أبدًا إلَّا إذا اشتغلت به، وأن تتذكر جيدًا، بأن النقد الظالم إنما هو اعتراف ضمني بقدرتك وعلوِّ كعبك؛ فبقدر ذلك يكون النقد الموجه إليك.

ثم اعلم عِلْمَ اليقين بأن الناس لا يشغلهم أمرك كثيرًا؛ فهم مشغولون بأنفسهم في غالب أمرهم؛ فأدنى شيء يَحدُثُ لهم ينسيهم ما

---

(١) «الأخلاق والسير» (ص١٧).

(٢) «ديوان بشار بن برد» (ص٦٠).

(٣) «بهجة المجالس» (١/ ١٢٢).

سمعوه عنك[١].

و- **معرفة قدر النفس:** وذلك بأن يعرف المرء قدر نفسه، فلا يقدم على عمل إلَّا وهو عالم بقدرته عليه، ولا يكلف نفسه إلَّا ما تطيقه؛ «فالذي يَقْدُرُ نفسه فوق قدرها إنما يرهقها، والذي يقدر نفسه أقل من قدرها إنما يضيع إمكاناتها سدى.

وأما الذي يقدر نفسه حق قدرها، فإنما يضعها في مكانها دون إرهاق لطاقتها، ودون إهدار لميزاتها»[٢].

□ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «ينبغي للعاقل ألا يقدم على العزائم حتى يزن نفسه هل يطيقها، ويجرب ركوب بعضها سرًّا من الخلق؛ فإنه لا يأمن أن يُرى في حالة لا يصبر عليها، فيفتضح»[٣].

ز- **أن يستحضر أن الإخفاق لا يضر:** فإذا أخفق المرء في بداية أمره مرة أو أكثر – فلا ينزعج لذلك، وليعد الكرَّة بعد الكرة، وليعلم أن الإخفاق طريق النجاح، وأن الخطأ طريق الصواب؛ فليس الإخفاق عارًا إذا كنت بذلت جهدك بإخلاص، ولا يعد المرء مخفقًا حتى يتقبل الهزيمة كأنها دائمة ويتخلى عن المحاولة؛ فهذا أديسون مخترع المصباح الكهربائي – أخفق عشرة آلاف مرة قبل أن يصنع المصباح؛ فلا تقلق إذا أنت أخفقت مرة أو أكثر»[٤].

---

(١) انظر: «دع القلق» (ص٢٢٤- ٢٣٠).

(٢) «أنت وقدراتك» تأليف فرجينيا بيلارد، ترجمة د. عطية محمود هنا، إشراف ومراجعة تقديم د. عبد العزيز القوصي (ص٧).

(٣) «صيد الخاطر» (٢/ ٢٤٣).

(٤) انظر: «طاقتك الكامنة»، سمير شيخاني (ص٢٧١).

ح- **الثقة بالنفس:** وذلك بألا يقتصر على تذكر جوانب الضعف فيها؛ لأن ذلك يقود إلى المبالغة في احتقارها، وبالتالي تحجم ولا تقدم.

بل يتذكر مع ذلك جوانب القوة والإبداع فيها؛ حتى تنبعث إلى الإقدام، وتكتسب شيئًا من الهدوء والثقة.

□ قال الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذي يحيا بالثقة تحييه الثقة»(١).

ط- **أخذ الأهبة والاستعداد:** فإذا أراد أن يتكلم في مجمع - على سبيل المثال- فَلْيَقُمْ بأخذ الأهبة والاستعداد؛ حتى لا يُرْتَجَ عليه، خصوصًا إذا كان في بداياته؛ فإن التقصير بالأخذ بالأسباب مما يضعف المرء ويربكه.

ومما ينفع في ذلك أراحة الجسم؛ ذلك أن الخوف يتبع التعب الذي ينال المجموع العصبي، كالذي ينال الشخص عقب مجهود كبير بذله، أو تفكير طويل فكَّره، أو حادثة جليلة هَزَّتْهُ؛ فهذه الأشياء وأمثالها تضعف المجموع العصبي، فإذا أخذ الجسم قسطًا من الراحة استرد الإنسان راحته، وزال خوفه(٢).

فإذا هو قام بالأسباب فليتوكل على الله، وليفوض الأمر إليه.

ي- **الإيمان بالقضاء والقدر والتسليم لله في الأمر:** فالإيمان بالقضاء والقدر يقتضي أن يوقن العبد بأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

وهذا يبعثه إلى أن يقدم غير هياب ولا مبال بما سيناله، فإذا كتب الله له حياة فلن تفوته وإن وقف في جفن الردى، وإن كتب له موتًا فلن يفوته أو

---

(١) «وحي القلم» (١/ ٢٣٢)، وانظر: «قوة الإرادة وطرق تنميتها» (ص٢٣).

(٢) انظر: «فيض الخاطر» (١٠/ ٢٢٣).

يفلت منه ولو كان في بروج مشيدة؛ فما يغني الفرار، وما يضر الإقدام؟

□ يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله:

أي يومي من الموت أفِر   يوم لا يُقْدَر أو يوم قدر

يوم ما قدِّر لا أرهبه   وإذا قدر لا ينجي الحذر[١]

ﻣﻣﻣ

□ وكان معاوية رضي الله عنه يتمثل بهذين البيتين:

كأن الجبان يرى أنه   سيقتل قبل انقضاء الأجلْ

وقد تدرك الحادثاتُ الجبان   ويسلم منها الشجاع البطل[٢]

ﻣﻣﻣ

□ قال ابن القيم رحمه الله: «والذي يحسم مادة الخوف هو التسليم لله؛ فمن سلَّم لله، واستسلم له، وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعلم أنه لن يصيبه إلَّا ما كتب له - لم يبقَ لخوف المخلوقين في قلبه موضع أيضًا؛ فإن نفسه التي يخاف عليها قد سلَّمها إلى وليها ومولاها، وعلم أنه لا يصيبها إلَّا ما كتب لها، وأن ما كتب لها - لا بد أن يصيبها؛ فلا معنى للخوف من غير الله بوجه.

---

(١) «ديوان الإمام علي» (ص٧٩- ٨٠).

(٢) «بهجة المجالس» (٢/ ٤٨٠).

وفي التسليم أيضًا فائدة لطيفة، وهي أنه إذا سلمها لله فقد أودعها عنده، وأحرزها في حرزه، وجعلها تحت كنفه؛ حيث لا تنالها يَدُ عَدُوٍّ عادٍ، ولا بغيُ باغٍ عاتٍ»[١].

ك- الصبر عند الصدمة الأولى: فإذا كان الإنسان في أول الطريق للخطابة، أو للحروب أو نحو ذلك - فإنه يحتاج إلى الصبر عند الصدمة الأولى؛ لأنه معرض للإخفاق، فإذا صبر في بداية الأمر هان عليه استدراك ما مضى.

وأما إذا أيس وترك الأمر من بدايته، فإنه لن ينال مجدًا ولا رفعة.

ل- الخطار بالنفس: فهذا مما تنال به الشجاعة، ويُطَّرح فيه الجبن، فقد يحتاج إليه الإنسان في بعض الأحايين؛ فالتاجر قد يحتاج إليه، والمتكلم، والمحارب كذلك.

▫ قال معاوية لعمرو بن العاص رضي الله عنهما: «من طلب عظيمًا خاطر بعظيمة»[٢].

▫ وكان عمرو يقول: «عليكم بكل أمر مزلقة مهلكة»، أي: عليكم بجسام الأمور»[٣].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٢).
(٢) «عيون الأخبار» (١/ ٢٣١).
(٣) «عيون الأخبار» (١/ ٢٣١).

□ وقال كعب بن زهير رضي الله عنه:

وليس لمن لم يَرْكبِ الهولَ بُغيةٌ ... وليس لرحلٍ حطَّه الله حاملُ

إذا أنت لم تُقْصِرْ عن الجهل والخنا ... أصبت حليمًا أو أصابك جاهل [(١)]

□ وقال آخر:

الذلُّ في دعةِ النفوس ولا أرى ... عزَّ المعيشةِ دون أن يسعى لها [(٢)]

□ وقال آخر:

لا بد أن أركَبَها صعبةً ... وقَّاحةً تحت علام وَقَاح

أُجْهِدُها أو تنثني دونه ... دون الذي أمَّلت أو بالنجاح

إما فتى نال المنى فاشتفى ... أو بطل ذاق الردى فاستراح [(٣)]

□ وقال علي بن المقرب العيوني:

سأمضي على الأيام عزم ابن حُرّةٍ ... يرى العَوْدَ فيها تكره النفس أحمدا

---

(١) «ديوان كعب بن زهير» (ص١٣٤).

(٢) «عيون الأخبار» (١/ ٢٣٢).

(٣) «أدب الطلب» للشوكاني (ص١٢٩).

فإمـــا حيـــاة لا تُـــذمُّ حميـــدةٌ ... يُحـدِّث عنهـا مـن أغـار وأنجـدا

أنـــال المنـــى فيهـــا وإمـــا مَنيَّـــةٌ ... تريح فؤادًا أَحَّ [١] من غُلَّة الصدى [٢]

ﮂﮃﮄﮅ

م- **التقوى**: فتقوى الله ﷻ هي أعظم باعث على الشجاعة؛ لأن من عرف ربَّه، وقدره حقَّ قدره، وعظم وقاره وجلاله في قلبه – هانت عليه الدنيا، وزال من قلبه مهابة الخلق، وانقلبت في حقه المخاوف أمنًا.

فالتقوى هي العدة في الشدائد، والعون في الملمات، وهي متنزل السكينة، ومهبط الرَّوْح والطمأنينة، وهي مبعث القوة واليقين، ومعراج السمو إلى السماء، وهي التي تثبت الأقدام في المزالق، وتربط على القلوب في الفتن [٣].

□ قال الشيخ محمد الخضر حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن تفقَّه في التقوى عرف أنها الوسيلة الكبرى للعظمة الصادقة؛ فإنها بذل الإنسان جهده وسعيه في طرق الفلاح».

ومن تَقْوى الرجل الذي رُزِق ألمعيةً متوقِّدةً، وهمةً ساميةً – أن يقتحم الأخطار، ويقذف في نفسه في معالي الأمور، فإذا هو في جلال وعظمة،

---

(١) أَحَّ: سعل، والصدى: العطش.

(٢) «علي بن المقرب العيوني حياته – شعره» (ص٣٢٢).

(٣) انظر: «عيون البصائر» (ص٢٩١).

وإن لم يَجِدِ الزهوُ والكبرُ إلى نفسه منفذًا»(١).

ن- الإكثار من ذكر الله : فبذكر الله تطمئن القلوب، وتسكن النفوس. قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

وبذكر الله يقوى القلب، ويُغْلَب العدو، وتهون الصعاب.

ولهذا أرشدنا الله – تبارك وتعالى- إذا لقينا العدو أن نثبت وأن نذكره عَزَّ وَجَلَّ لما في ذكره من الطمأنينة والثبات.

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال].

□ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض حديثه عن فضائل الذكر: «إن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام بن تيمية في «سننه»، وكلامه، وإقدامه أمرًا عجيبًا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمرًا عظيمًا»(٢).

وأفضل الذكر بعد القرآن تلك الكلمات الأربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر.

وكذلك: «لا حول ولا قوة إلَّا الله»؛ فلها أثر عظيم في شجاعة

---

(١) «العظمة» (ص١٥- ١٦).

(٢) «الوابل الصيب» لابن القيم (ص١٠٦).



القلب وثباته.

▫ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الكلمة العظيمة: «وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال، والدخول على الملوك ومن يُخَافُ، وركوب الأهوال ولها أيضًا تأثير في دفع الفقر»[1]اهـ[2].

٦٦- الإقبال على ما ينفع، والإعراض عن كل ما لا ينفع:

وهذا الأمر جماع لما مضى من الأسباب المعينة على اكتساب الهمة العالية.

فمن شأن متطلب الكمال، والساعي إلى حميد الفعال – أن يقبل على كل أمر ينفعه، وأن يسلك السبل المفضية إلى ما رامه وأمَّله، وأن يتجنب كلَّ أمر يعوقه ويقطع سيره، وأن ينأى بنفسه عن كل ما من شأنه أن ينزل قدره، ويدني همته.

▫ وللإمام ابن القيم في هذا الشأن كلام قيم؛ فإليك أيها القارئ هذا الكلام النوراني من ذلك العالم الرباني:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «طالب النفوذ إلى الله والدار الآخرة، بل وإلى كل علم، وصناعة، ورئاسة بحيث يكون رأسًا في ذلك، مقتدى به فيه – يحتاج أن يكون شجاعًا مقدامًا، حاكمًا على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تَخَيُّله، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق

---

(١) «الوابل الصيب» لابن القيم (ص١٠٧).

(٢) «الهمة العالية» (ص٢٥٦- ٢٧٠).

الوصول إليه، والطرق القواطع عنه، مقدام الهمة، ثابت الجأش، لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم، ولا عذل عاذل، كثير السكون، دائم الفكر، غير مائل مع لذة المدح ولا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته، لا تستفزه المعارضات، شعاره الصبر، وراحته التعب، مُحبًّا لمكارم الأخلاق، حافظًا لوقته، لا يخالط الناس إلَّا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحب بينهم، قائمًا على نفسه بالرغبة والرهبة، طامعًا في نتائج الاختصاص على بني جنسه، غير مرسل شيئًا من حواسه عبثًا، ولا مُسَرِّحًا خواطره في مراتب الكون.

وملاك ذلك هجر العوائد، وقطع العلائق الحائلة بينك وبين المطلوب»[(١)] اهـ[(٢)].

٦٧- نُبْل النَّفْس:

▫ قال الجوهريُّ: «النُّبْل: النَّبَالَةُ والفضلُ. والنَّابِل هو الحاذقِ بالأمر، العليم بما يُصلحه.

▫ والنُّبْلُ: خُلُق حميدٌ يتحلَّى صاحِبُهُ بالذَّكاءِ والنَّجَابَة في ذاتِهِ، والفضلِ والرِّفقِ في تعامُله مع النَّاس مع حِذْقٍ في الرَّأي والعَمَل.

• عن جُبَيْر بن مُطعِم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ للقُرَشِيِّ مِثْلَيْ قوَّة الرجل مِن غيرِ قريْش»**. قلتُ للزُّهري: ما عَنَى بذلك؟ قال: نُبْلُ

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (ص٢٧١- ٢٧٢).

(٢) «الهمة العالية» (ص٢٧٠- ٢٧١).

الرَّأي[١].

والنبيل: سَيِّدٌ في قومه:

• عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكرٍ وعمر: «**هذانِ سِيِّدَا كُهُولِ**[٢] **أهلِ الجنَّةِ مِنَ الأوَّلِينَ والآخِرينَ إلَّا النَّبِيِّينَ والمرْسَلِين**»[٣].

• عن كعب بن مالكٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال لبني ساعِدَةَ: «**مَنْ سيِّدُكُمْ؟**». قالوا: جُدُّ بن قيسٍ. قال: «**بِمَ سَوَّدْتُمُوهُ؟**». قالوا: إنَّهُ أكثرُنَا مالًا، وإنَّا على ذلك لنَزُنُّهُ[٤] بالبُخْلِ؟. فقال النبيُّ ﷺ: «**وأَيُّ دَاءٍ مِنَ البُخْلِ؟**». قالوا: مَنْ سيِّدُنا؟ قال: «**بِشْرُ بنُ البَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ**»[٥].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٨١)- واللفظ له- وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧٨): «رواه أحمد ورجالُ أحمد رجال الصحيح».
وكذا رواه ابن حبان، والحاكم، والطيالسي، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «سننه»، والطحاوي، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (١٦٩٧)، و«صحيح الجامع» (٢١٨١).

(٢) الكهل من الرجال ما زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين، وقيل: إلى تمام الخمسين، وَوَخَطهُ الشيب.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٦٦٥، ٣٦٦٦) عن أنس، وعلي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (ص٨٢٢)، و«صحيح الجامع» (٧٠٠٥).

(٤) زَنَّه: ظنه به واتهمه.

(٥) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٦٣) عن أبي هريرة واللفظ له وصححه ووافقه الذهبي، ورواه البخاري في «الأدب المفرد»، والطبراني في «الأوسط»، والخطيب عن جابر، والطبراني في «الأوسط» والخرائطي عن كعب بن مالك، =

□ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «ما رأيتُ أحدًا كان أسودَ منْ معاويةَ بن ابن سُفْيان». قلتُ: ولا عُمرَ؟ قال: «كان عُمَرُ خيرًا مِنْ معاويةَ، وكان مُعاويةُ أسودَ مِنْهُ»[1].

□ قيل لمعاويةَ: منْ أسْوَدُ الناس؟ قال: «أسْخَاهُمْ نفسًا حينَ يُسْأَلُ، وأحسنهم في المجالسِ خلُقًا، وأحْلمهم حِينَ يُسْتَجْهَلُ»[2].

ذِكْرُ بعض خِصَالِ النُّبلاءِ:

□ قال ابن الجوزيِّ: «خُلقتْ لي همَّةٌ عاليةٌ تطلب الغاياتِ. فقلَّتِ السِّنُّ وما بلغْتُ ما أمَّلْت، فأخذتُ أسألُ تطويل العمر، وتقوية البدن، وبلوغَ الآمالِ. فأنكرتْ عليَّ العاداتُ، وقالت: ما جَرتْ عادةٌ بما تطلب. فقلتُ: إنما أطْلبُ من قَادِرٍ يخْرِقُ العاداتِ».

□ وقدْ قيل لرَجُلٍ: «لنا حُوَيجَةٌ. فقال: اطلبوا لها رجيْلًا».

□ وقيل لآخر: «جئناكَ في حاجةٍ لا ترؤكَ، فقال: هلَّا طلبْتُمْ لها سَفاسِفَ الناسِ؟».

فإذا كان أهل الأنفَةِ منْ أرْبابِ الدُّنيا يقُولونَ هذا، فلِمَ لا نطْمَعُ في فَضْلِ كريمٍ قادِرٍ؟»[3].

وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٠٤).

(١) «المنتقى من مكارم الأخلاق» (ص١١٥)، والسَّواد هنا من السؤدد، وهو النبل.

(٢) «المنتقى من مكارم الإخلاق» (ص١١٦).

(٣) «صيد الخاطر» (٢٩٧).

إلى أنْ يقُولَ: فالله الله، وعليكم بملاحظة سيرِ السَّلَفِ، ومطالعةِ تصانيفهمْ، وأخْبَارِهمْ فالاسْتِكْثَارُ من مُطَالعةِ كتُبِهمْ رؤْيَةٌ لهمْ، كما قال:

فَـاتَنِي أَنْ أَرَى الـدِّيَارَ بِطَـرْفِي ... فَلَعَـلِّي أَرَى الـدِيَارَ بِـسَمْعِي

وإنِّي أُخبِرُ عن حالي، ما أَشْبَعُ من مطالعةِ الكتبِ، وإذا رأيتُ كتابًا لم أرَهُ، فكأنِّي وقعْتُ على كنزٍ. ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوف في المدرسة النِّظاميَّة، فإذا به يحتوي على نحو ستَّة آلافِ مجلَّدٍ، وفي ثبت كتب أبي حنيفة، وكتب الحميْديِّ، وكتب شيْخِنا عبد الوهَّاب وابن ناصرٍ، وكتب أبي محمَّد بن الخشَّابِ، وكانت أحمالًا، وغير ذلك من كلِّ كتابٍ أقدرُ عليه.

ولو قلتُ: إنِّي طالعْتُ عشرين ألف مجلَّدٍ كان أكثر وأنا بعد في الطَّلَبِ. فاستفدْتُ بالنَّظَرِ فيها مِنْ ملاحظةِ سيرِ القومِ، وقدْرِ هممهم، وحفظهم، وعباداتهم، وغرائبِ علومِهِمْ، ما لا يعرفه منْ لم يطالعْ. فصرْتُ أستزْرِي ما الناسُ فيه، وأحتقرُ هِمَمَ الطُّلَّابِ ولله الحمدُ.

وقال أيضًا: ما يتناهى في طلب العلم إلَّا عاشِقُ العلم، والعاشِقُ ينْبَغي أنْ يصْبِرَ على المكارِهِ، ومنْ ضرورةِ المتُشَاغِلِ به البعد عن الكَسْبِ، ومُذْ فُقِدَ التَّفَقُّدُ لهم من الأمراءِ ومن الإخوانِ لازمهم الفقر ضرورةً. والفضائِلُ تُنَادِي: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب].

فكُلَّما خافَتْ من ابْتلاءٍ قالتْ:

لا تحْسَبِ المَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ المَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

□ ولَمَّا آثَرَ أحمدُ بنُ حنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ طلب العلم وكان فقيرًا، بقيَ أربعين سنةً يتَشَاغَلُ به ولا يتَزَوَّجُ، فينبَغِي للفقيرِ أنْ يُصابِرَ فقْرَهُ كما فعل أحمدُ. ومَنْ يُطِيقُ ما أطَاقَ!؟ فقدْ رَدَّ مِنَ المال خمسين ألفًا، وكان يأكل الكامَخَ ويتَأَدَّمُ بالملْح. فما شَاعَ له الذِّكْرُ الجميل جُزافًا، ولا ترَدَّدَتِ الأقدام إلى قبره إلَّا لمعنى عجيبٍ، فياله ثناءً ملأَ الآفاقَ!، وجمالًا زيَّن الوجودَ، وعِزًّا نسخ كُلَّ ذُلٍّ. هذا في العاجلِ، وثوابُ الآجلِ لا يُوصَفُ. فالصَّبْر الصبْرَ أيُّها الطَّالِبُ للفضائِل، فإنَّ لذَّة الرَّاحة بالهوى، أو البطالة، تذهبُ، ويبْقَى الأَسَى، وقال الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَا نَفْسُ مَا هُوَ إلَّا صَبْرُ أَيَّام ... كَأَنَّ مُدَّتَهَا أضْغَاثُ أَحْلام

يَا نَفْسُ جُوزِي عِنِ الدُّنْيَا مُبَادِرَةً ... وخَلِّ عَنْهَا فَإِنَّ العَيْشَ قُدَّامِي[(١)]

□ قال عكرمةُ: «السَّيِّدُ الذي لا يغْلِبُهُ غضَبُهُ»[(٢)].

□ قال الضَّحَّاكُ: «السَّيِّدُ الحسنُ الخلُقِ»[(٣)].

□ قال الضَّحَّاكُ: «السَّيِّدُ: الحليمُ التَّقِيُّ»[(١)].

(١) «صيد الخاطر» (ص٥٥٢-٥٥٣).
(٢) «المنتقى من مكارم الأخلاق» (ص١١٥).
(٣) المرجع السابق (ص١١٥).

□قال كُشَاجِمُ:

لا أَسْتَلِذُّ العَيْشَ لَمْ أَدْأَبْ لَهُ ... طَلَبًا وسَعْيًا فِي الهَوَاجِرِ والغَلَسْ

وأَرَى حَرَامًا أَنْ يُواتِيَنِي الغِنَى ... حَتَّى يُحَاوَلَ بالعَنَاءِ ويُلْتَمَسْ

فَاصْرِفْ نَوالَكَ عَنْ أَخِيكَ مُوَفَّرًا ... فَاللَّيْثُ لَيْسَ يُسِيغُ إِلَّا مَا افْتَرَسْ [٢]

☙❧☙❧☙❧

□قال الشاعر:

تَفَضَّلْ عَلَى مَنْ شِئْتَ وَاعْنَ بِأَمْرِهِ ... فَأَنْتَ وَلَوْ كَانَ الأَمِيرَ أَمِيرُهُ

وَكُنْ ذَا غِنَى عَنْ مَنْ تَشَاءُ مِن الوَرَى ... وَلَوْ كَانَ سُلْطَانًا فَأَنْتَ نَظِيرُهُ

وَمَنْ كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ وَوَاقِفًا ... عَلَى طَمَعٍ مِنْهُ فَأَنْتَ أَسِيرُهُ [٣]

☙❧☙❧☙❧

(١) المرجع السابق (ص١١٥).
(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٨٨).
(٣) «صيد الخاطر» (ص٤٢٦).

أقوالٌ عَطِرات:

كُنْ خبرًا يروقُ جميلاً:

□ قال الشاعر:

تَلْقَى الكريمَ فتستدِلُّ بِبِشرِهِ ... وتَرَى العُبُوسَ على اللئيم دليلًا

واعلم بأنك عن قليلٍ صائِرٌ ... خَبَرًا، فَكُنْ خبرًا يروقُ جميلًا[1]

□ ولله در القائل: «مَنْ لم يرْكَب الأهوال لم ينل الرَّغَائِبَ، ومن ترك الأمر الذي لعلَّه أنْ ينال منْهُ حاجتهُ مخافة ما لعلَّهُ يُوقَّاهُ فليس ببالغٍ جسيمًا، وإنَّ الرَّجُل ذا المروءةِ ليكون خامل الذِّكْر خافض المنزلة، فتأْبَى مرؤَتُهُ إلَّا أن يسْتَعْلِيَ ويرْتفعَ، كالشُّعْلة مِنَ النَّارِ التي يصُونُهَا صاحِبُهَا وتأبى إلَّا ارْتِفَاعًا»[2].

□ قال حبيبٌ الطَائِيُّ:

أَعَاذِلَتِي مَا أَخْشَنَ اللَّيْلَ مَرْكَبًا ... وَأَخْشَنُ مِنْهُ فِي المُلِمَّاتِ رَاكِبُهْ

ذَرِينِي وَأَهْوَالَ الزَّمَانِ أُقاسِهَا ... فَأَهْوَالُهُ العُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهْ[3]

□ قال كعبُ بنُ زُهَيْرٍ:

وَلَيْسَ أَنْتَ لَمْ يَرْكَبِ الهَوْلَ بُغْيَةٌ ... وَلَيْسَ لِرَحْلٍ حطَّهُ اللهُ حَامِلُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الجَهْلِ وَالخَنَا ... أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ[4]

---

(١) «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص١٩٤).

(٢) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٣/ ١٨).

(٣) «العقد الفريد» (٣/ ١٩).

(٤) «العقد الفريد» (٣/ ١٩).

الفَرْقُ بين العزم والإرادة والهَمِّ:

□ قال الكَفَوِيُّ: «دواعي الإنسان إلى الفعل مِن خيرٍ وشرٍّ على مراتب، منها: الإرادة، ومنها الهَمُّ، ومنها: العزم.

وذكر الفرق بين هذه الثلاثة فقال:

الهَمُّ: اجتماع النَّفْس على الأمر، والإِزْماع عليه، والعزم هو القصدُ على إمضائه، فالهَمُّ فوق الإرادة ودون العَزم، وهوَ «أي: الهَمُّ» أوَّلُ العزيمة»[١].

• عن شَّداد بن أوس رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته: «**اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرُّشْدِ، وأسألُك شُكْرَ نِعْمَتِك، وحُسنَ عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادِقًا، وأسألُك من خير ما تَعْلَم، وأعوذُ بك من شرِّ ما تعلمُ، وأستغفِرك لما تعلم**»[٢].

• وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**ثلاثةٌ يحبهم الله، وثلاثة يبغضهم الله، فأما الذين يحبهم الله: فرجل أتى قومًا فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابةٍ بينه وبينهم فمنعوه، فتخلَّف رجلٌ بأعقابهم فأعطاه سرًّا لا يعلمُ بعطِيَّته إلَّا الله، والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النومُ أحبَّ إليهم مما يُعدَل به نزلوا فوضعوا رؤوسهم، فقام أحدهم يتملَّقُني ويتلو آياتي.**

---

(١) «الكُلِّيات» للكفوي (ص٩٦١).

(٢) صحيح: رواه النسائي (٣/ ٥٤) واللفظ له، والترمذي (٣٤٠٧)، وأحمد (٤/ ١٢٥)، وقال مُحقِّق «جامع الأصول» (٤/ ٢٥٩): ورواه الحاكم وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٢٤١٦).

ورجل كان في سَرِيَّةٍ فَلَقِيَ العَدُوَّ فهُزِموا، وأقبل بصدره حتى يُقتَل أوْ يُفتَحَ له، والثلاثة الذين يُبغضهم الله: الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغنى الظلوم»[1].

✍ **أخي**: علو الهمَّة بَذْرُ النِّعَم، والهمَّة رايةُ الجِدِّ[2].

◻ قال الشاعر عن عالي الهمة:

إذا همَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ... وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ العَوَاقِبِ جَانِبَا

ولَمْ يسْتَشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ... وَلَمْ يَرْضَ إلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا[3]

◻ عكف أبو صالحٍ أيُّوبُ بن سليمان على كتاب العروض حتَّى حفظهُ، فسأله بعضهم عن إقباله على هذا العلم بعْدَ الكِبَرِ، فقال: «حضرتُ قومًا يتكلَّمُون فيه فأخذني ذُلٌّ في نفسي أنْ يكُونَ بابٌ مِنَ العِلم لا أتكلَّمُ فيهِ»[4].

اليقظة.. اليقظة:

◻ قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومِن الناس مَن يعيش شَقِيًّا ... جيفةَ الليل غَافِلَ اليقظهْ

---

(١) حسن: رواه أحمد (٥/ ١٥٣)، والترمذي (٢٥٦٨) واللفظ له، وقال: هذا حديث صحيح، والنسائي (٥/ ٨٤) وهو في «المشكاة» حديث (١٩٢٢)، وحسنَّه محقق «جامع الأصول» (٩/ ٥٦٤).

(٢) «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص٣٢٧).

(٣) «أسرار البلاغة» (ص١١٥).

(٤) «أدب الدنيا والدين» (ص٥٤).

فـــإذا كـــانَ ذا حيـــاءٍ وديـــنٍ راقـــبَ الله واتَّقـــي الحفَظَـــهْ
إنـــما النـــاسُ ســـائِرٌ ومقـــيمٌ والـــذي ســـار للمقـــيم عِظَـــهْ

□ قال العَزِّيُّ: «اليقظة هي القَوْمَةُ لله، المذكورة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ [سبأ: ٤٦]، فالقَوْمَةُ لله هي اليَقَظَةُ مِن سِنَةِ الغفلة»(١).

□ وقال أيضًا: «إن العبد إذا نهض من وَرْطة الغفلة استنار قلبه برؤية نور التنبيه فأوجب له ملاحظة نعم الله الباطنة والظاهرة، وكُلَّما حَدَّق قلبه وطَرْفُهُ فيها شاهَدَ عظَمَتَها وكَثْرَتَها فيئس مِن عَدِّها والوقوفِ على حَدِّها»(٢).

□ وقال أيضًا: «اعلم أن العبدَ قَبْلَ وصول الداعي إليه في نوم الغفلة قَلْبُهُ نائمٌ وطَرْفُهُ يقظانُ، فصاحَ به الناصح وأسمَعَهُ دَاعِيَ النَّجاح وأَذَّن به مُؤَذِّنُ الرحمن: حَيٍّ على الفلاح»(٣).

□ وقال الفيروزآبادي: «واليقظةُ عند القوم أوَّلُ منازل العبودية، وهي انزعاج القلب لروعة الانتباه مِن رقدَة الغافلين، ولله ما أنفعَ هذه الرَّوْعَة، وما أعظمَ قدرَها وخطرَها، وما أقوى إعانَتَها على السلوكِ، فَمَن أَحَسَّ بها فقد أَحَسَّ والله بالفلاح، وإلَّا فهو في سَكَرَات الغفلة، فإذا انتبه وتيقَّظ شَمَّر بهمَّته إلى السفر إلى منازله الأولى، فأخذ في أُهبة السَّفَر وانتقل إلى منزلة القوم، وهو العهدُ الجازِم على الشيء، ومفارقةُ كُلِّ قاطعٍ

(١) «لسان العرب» (٧/ ٤٦٦ - ٤٦٧).
(٢) «تهذيب مدارج السالكين» (ص١٠١).
(٣) «تهذيب مدارج السالكين» (ص١٠١).

ومُعَوِّق، ومُرافقةُ كُلِّ مَعِينٍ ومُوَصِّلٍ، وبحَسَبِ كمال انتباهه ويقظته تكون عزيمته، وبحسب قُوَّة عَزمِهِ يكون استعدادُهُ، فإذا استيقظ أوجبتِ اليقظةُ الفِكرةَ، وهي تحديقُ القلب نحو المطلوب الذي قد سَعِدَ به مُجْمَلًا ولم يهتَدِ إلى تفصيله وطريق الوصول إليه، فإذا صَحَّت فِكْرَتُهُ أوجبت له البصيرة وهي نورٌ في القلب ترى به حقيقة الوعدِ والوعيدِ والجنة والنار»[١].

□ ولله در ابن قيم الجوزية إذ يقولُ:

فحيَّ عَلَى جنَّاتِ عَدْنٍ فإنها ... منازلك الأولَى وفيها المُخَيَّمُ

ولكننا سَبْيُ العَدُوِّ فهل تُرَى ... نعودُ إلى أوطانِنَا ونُسَلِّمُ

فِفرُّوا إلى الله:

* قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ ﴾ [الذاريات].

□ قال الطبري: «عِنْدَ تفسِير هذا الجزْءِ من الآية الكريمةِ -: «اهرُبوا أيُّها الناس مِنْ عِقَابِ الله إلى رَحْمَتِه بالإيمانِ به واتِّبَاع أمْره والعمل بطاعَتِه»[٢].

□ وقال القُرْطبيُّ في معنى هذه الآيةِ الكريمةِ: قُلْ لهم يا مُحَمَّدُ، أيْ لقَوْمِكَ: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ ﴾ [الذاريات]. أيْ: فِرُّوا مِنْ معاصيهِ إلى طاعَتِه. وذكر عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قوله في هذه الآيةِ: فِرُّوا إلى الله بالتَّوْبَةِ مِنْ ذنوبكم، ورُوِيّ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أيضًا في هذه الآيةِ: فِرُّوا مِنْهُ إليه واعمَلُوا بطاعَتِهِ، وقال بعضهم: فِرُّوا مِنْ طاعَةِ الشَّيْطانَ إلى

---

(١) «بصائر ذوي التمييز» للفيروزآبادي (٥/ ٣٨٨، ٣٨٩).

(٢) «تفسير الطبري» (١١/ ٤٧٣).

طاعةِ الرحمن، وقيلَ: فِرُّوا مِنَ الجهْلِ إلى العلمِ، ومِنَ الكُفْرِ إلى الإيمان، وقيلَ: فِرُّوا إلى ما سبق لكم من الله، ولا تَعْتَمِدُوا على حركاتِكُمْ»(١).

□ وقال الشَّوكانيُّ: «فِرُّوا إلى الله بالتَّوبةِ مِنْ ذنوبكمْ عن الكُفْرِ والمعاصي، وقيل معنى ففرُّوا إلى الله: اخْرُجوا مِنْ مَكَّةَ».

□ وقال الحسينُ بن الفضْلِ: «احترِزْوا مِنْ كُلِّ شيءٍ غيرَ الله فَمَنْ فَرَّ إلى غيرِهِ لم يمْتَنِعْ مِنْهُ»، قيل: فِرُّوا مِنْ طاعةِ الشَّيْطانِ إلى طاعةَ الرحمنِ، وقيلَ: فِرُّوا مِنَ الجَهْلِ إلى العلمِ» (٢).

ففروا إلى الله :

□ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: الجَأُوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه»(٣).

□ وقال النيسابوري: «أي: التجئوا إليه، ولا تعبدوا غيره، أمْرٌ بالإقبال عليه والإعراض عمَّا سواه»(٤).

□ وقال الجنيد: «الشيطان داعٍ إلى الباطل ففروا إلى الله يمنعكم منه».

□ وقال ذو النون المصري: «ففروا من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الشكر».

□ وقال عمرو بن عثمان: «ففروا من أنفسكم إلى ربكم، فروا إلى سبق لكم من الله، ولا تعتمدوا على جواريكم».

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٧/ ٣٦- ٣٧) باختصار وتصرف يسير.
(٢) «فتح القدير» (٥/ ٩١).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٣٨).
(٤) «حاشية السندي على تفسير ابن جرير الطبري» (٧/ ١٦).

□ وقال سهل بن عبد الله: «فرُّوا ممَّا سوى الله إلى الله»[(١)].

□ وقال أبو حيَّانَ: «فِرُّوا إلى الله: أَمْرٌ بالدُّخُولِ في الإيمانِ وطاعةِ الله، وجُعِلَ الأمرُ ذلك بلفظ الفرار ليُنَبِّه على أنَّ وراءَ الناس عقابًا وعذابًا وأمْرًا حَقُّهُ أنْ يُفَرَّ مِنْهُ، فجمعتَ لفظة ففِرُّوا بيْنَ التَّحْذِيرِ والاستدعاءِ».

□ وقال الزَّمَخْشَرِيُّ: «فِرُّوا إلى طاعتهِ وثوابِهِ مِنْ معصيته وعقابه ووحِّدُوه ولا تشركوا به شيئًا»[(٢)].

□ فالفِرَار: أن يَفزَعَ الإنسانُ ويهربُ من عقاب الله ومن الشيطان والمعاصي والجهل وكُلِّ ما عَدَا الله إلى طاعة الرحمن والدخول في الإيمان.

□ قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِنْ منازلِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]: منزلةُ الفِرَارِ:

قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وحقيقةُ الفِرَارِ: الهربُ مِنْ شيءٍ إلى شيءٍ،وهو نوْعَانِ: فِرَارُ السُّعَدَاءِ، وفِرَارُ الأشْقِيَاءِ.

ففرارُ السُّعَداءِ: الفرَارُ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وفرارُ الأشقيَاءِ الفِرارُ مِنْهُ لا إليهِ.

وأمَّا الفرَارُ مِنْهُ إليه: ففرارُ أوليائِهِ.

□ قال صاحب المنازلِ: «هو الهربُ مِمَّا لمْ يكُنْ إلى منْ لم يزلْ. وهو على ثلاث درجاتٍ: فرارُ العَامَّةِ مِنَ الجهل إلى العلم عقْدًا وسعْيًا. ومن الكسلِ إلى التَّشْمير جِدًّا وعزْمًا، ومن الضِّيقِ إلى السَّعَة ثقةً ورجاءً.

يريد بما لم يكن «الخلق»، وبما لم يزلْ «الحقُّ».

---

(١) «تفسير القرطبي» (٩/ ٣٦، ٣٧).

(٢) «البحر المحيط» (٨/ ١٤٢).

وقوله: «فرارُ العامَّةِ من الجهل إلى العلم عقدًا وسعيًا»: فالفرارُ المذْكُورُ: هو الفرارُ من الجهْلَين: مِنَ الجهْلِ بالعلم إلى تحْصِيله، واعتقادًا ومعرفةً وبصيرةً، ومِنْ جهْلِ العملِ إلى السَّعْي النَّافعِ، والعملِ الصَّالح قصدًا وسعْيًا.

وقولُه: «ومِنَ الكسلِ إلى التَّشْميرِ جِدًّا وعزْمًا»: أي يَفِرُّ مِنْ إجابةِ دَاعِي الكسلِ إلى دَاعِي العملِ والتَّشْمير بالجدِّ والاجتهَادِ، والجدُّ هَهُنا هو صِدْقُ العملِ، وإخلاصُهُ مِنْ شوائِبِ الفُتُورِ، ووعُودِ التَّسْويفِ والتَّهَاون، وهو تحت السِّين وسوف، وعسى ولعلَّ، فهي أضرُّ شيءٍ على العبد، وهي شجرةٌ ثمرها الخسران والنَّدَاماتُ.

وقولهُ: «مِنَ الضِّيق إلى السَّعةِ ثقةً ورجاءً»: يريد هروب العبد مِنْ ضيق صدْره بالهموم والغموم والأحزان والمخاوف التي تعتَريه في هذه الدَّار مِنْ جهةِ نفسه. وما هو خارجٌ ممنْ نفسه ممَّا يتعلَّقُ بأسباب مصالحه، ومصالح مَنْ يتعلَّقُ به، وما يتعلَّقُ بها له وبدنه وأهله وعدُوِّهِ، يهربُ من ضيق صدْرِه بذلك كُلِّه إلى سعةِ فضاءِ الثِّقةِ بالله تبارك وتعالى، وصدْقِ التَّوكُّلِ عليه، وحسن الرَّجاءِ لجميل صُنْعِه به، وتوقُّعِ المرْجُوِّ مِنْ لطْفه وبرِّهِ.

وكلَّما كان العبدُ حسن الظَّنِّ بالله ، حسنَ فيه ألْبَتَّةَ، فإنه سبحانه لا يخيِّبُ أمل آملٍ، ولا يُضَيِّعُ عمل عاملٍ. وعبَّر عن الثِّقة وحسن الظَّنِّ بالسَّعَةِ، فإنَّهُ لا أشرح للصَّدْر، ولا أوْسَعَ له – بعد الإيمان– منْ ثقته بالله ورجائِهِ له وحسن ظنِّه به.

وبالجملة فصاحب هذا التَّجْريد: لا يقْنع مِنَ الله بأمرٍ يسكن إليه دون

الله، ولا يفرح بما حصل له دون الله، ولا يأسى على ما فاتَهُ سِوَى الله، ولا يستغْنِي برُتْبةٍ شريفةٍ، وإنْ عظمَتْ عنده أو عند الناس، فلا يستغني إلَّا بالله. ولا يفتقرُ إلَّا إلى الله، ولا يفرحُ إلَّا بموافقته لمرضاةِ الله، ولا يحزنُ إلَّا على ما فاتَهُ من الله، ولا يخاف إلَّا من سقوطه مِنْ عينِ الله. واحتِجَابِ الله عَنْهُ، فكُلُّهُ بالله، وكُلُّهُ لله، وكُلُّهُ مع الله، وسيْرُهُ دائمًا إلى الله، وقد رُفِعَ له علمُهُ فشمَّرَ إليه، وتجرَّدَ له مطلوبه فعمل عليه، تُنَادِيه الأغيارِ: إليَّ، وهو يقولُ: إنَّما أريد مَنْ إذا حصل لي حصل لي كلُّ شيءٍ، وإنْ فاتني فاتني كلُّ شيءٍ، فهو مع الله مجرَّدٌ عنْ خلْقِهِ، ومع خلْقِه مجرَّدٌ عنْ نفسه، ومع الأمر مُجَرَّدٌ مِنْ حظِّه، أعْنِي الحظَّ المراحم للأمر، وأمَّا الحظُّ المعين على الأمرِ: فإنَّهُ لا يحطُّهُ تناوُلُهُ عنْ مرْتَبتِه، ولا يُسْقِطُه منْ عينِ ربِّهِ.

وهذا أيضًا موْضِعٌ غَلِطَ فيه منْ غَلِطَ منَ الشُّيُوخِ فظنُّوا أنَّ إرادةَ الحَظِّ نقْصٌ في الإرادةِ.

والتَّحْقيقُ فيه: أنَّ الحظَّ نوْعانِ: حظٌّ يُزَاحِمُ الأمرَ، وحظٌّ يؤازرُ الأمرَ. فالأوَّلُ هو المذموم، والثاني ممدوحٌ وتناوله منْ تمام العبوديَّة، فهذا لوْنٌ، وهذا لونٌ[1].

الرحلة إلى الله وما يعترِضُها:

□ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا عزم العبد على السَّفَر إلى الله تعالى وإرادته عرضت له الخوادع والقواطِعُ، فينْخدعُ أولًا بالشَّهواتِ والرِّياسات والملاذِّ والمناكِحِ والملابس، فإنْ وقف معها انقطع وإنْ رفضها، ولم يقفْ

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٥٠٤- ٥١٠) باختصار.

معها وصدقَ في طلبه ابْتلي بوطْءِ عقبهِ[١]، وتقبيل يده، والتَّوْسِعة له في المجلس، والإشارة إليه بالدُّعَاءِ ورجاءِ بركتهِ، ونحو ذلك، فإنْ وقف معه انقطع به عن الله، وكان حظَّهُ مِنْهُ، وإنْ قطعَهُ، ولم يقفْ معه ابْتُلِيَ بالكرامات والكشُوفاتِ، فإنْ وقف معها انقطع بها عن الله وكانت حظَّهُ، وإنْ لم يقفْ معها ابتُلِي بالتَّجْريد والتخلِّي ولذَّةِ الجمعيَّةِ، وعزَّةِ الوحدةِ والفراغِ مِنَ الدُّنيا، فإنْ وقف مع ذلك انقطعَ به عن المقصودِ، وإنْ لم يقفْ معه وسار ناظرًا إلى مُرادِ الله مِنْهُ، وما يُحبُّهُ مِنْهُ، بحيثُ يكون عبدهُ الموقوف على محابِّه ومراضيه، أين كانت؟ وكيف كانت، تعب بها أو اسْتراحَ، تنَعَّم أوْ تألَّمَ، أخرجتْهُ إلى الناس أو عزلتْهُ عنهم، لا يختارُ لنفسه غير ما يختارُهُ له ولِيُّهُ وسيِّدُهُ، واقفٌ مع أمره ينفِّذُهُ بحسب الإمكان، ونفسه عنده عليه أهونُ عليه أنْ يقدِّمَ راحتها ولذَّتها على مرْضاةِ سيِّدهِ وأمره، فهذا هو العبدُ الذي قدْ وصل ونفذَ ولم يقطعه عن سيده شيءٌ ألْبتَّة»[٢].

• عن البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا أخذْتَ مضجعكَ[٣] فتوضَّأْ وضوءَكَ للصَّلاةِ، ثمَّ اضطجعْ على شقِّكَ الأيمن، ثُمَّ قل: اللهمَّ إنِّي أسلمْتُ وجهي إليك[٤] وفوَّضْتُ أمْرِي إليك، وألجأْتُ**

---

(١) أي: السير خَلْفَه.

(٢) «الفوائد» (ص١٧٢).

(٣) «**إذا أخذت مضجعك**»: معناه إذا أردت النوم في مضجعك.

(٤) «**أسلمت وجهي إليك**». وفي الرواية الأخرى. «**أسلمت نفسي إليك**»: أي استسلمت وجعلت نفسي منقادة لك طائعة لحكمك. قال العلماء: الوجه والنفس هنا بمعنى الذات كلها، يقال: سلم وأسلم واستسلم بمعنى.

ظهري إليك[١]، رغْبَةً ورهْبَةً إليك[٢]، لا ملجأَ ولا منْجَى مِنْكَ إلّا إليكَ. آمنْتُ بكتابك الذي أنزلْتَ، وبنبِيِّكَ الذي أرسلتَ، واجعلهُنَّ مِنْ آخر كلامك، فإنْ مُتَّ مِنْ ليلتكَ، مُتَّ وأنت على الفِطْرَةِ»[٣] قال: فرددْتُهُنَّ لأستذْكِرَهُنَّ فقلتُ: آمَنْتُ برسولك الذي أرْسلتَ. قال: «قُلْ: آمَنْتُ بِنَبيِّك الذي أرسَلْتَ»[٤].

الرُّجُولَةُ والفُتُوَّةُ والمُرُوءَةُ والإنسانيَّةُ:

هذه صفاتٌ أرْبعُ يرجع اشْتِقاقها إلى جِنْسِ الذُّكور وما يتحلُّون به منْ صفات القوَّةِ ونحوها، فالرُّجولة نسبةٌ إلى الرَّجل والفتوَّةُ ترجعُ إلى الفتى، والمروءَةُ إلى المرءِ، والإنسانيَّةُ ترْجعُ إلى الإنسان، وفي المجالِ الأخلاقي «أو الاصطلاحِيِّ»، نجد المقصود بالمروءة والإنسانيَّةِ[٥] أعمَّ من نظيرتها الفتوَّةِ والرُّجولةِ؛ لأنَّ المرءَ أو الإنسان قد يكون فتًى شابًّا أو رجلًا كهلًا، والرُّجولة في أظهر معانيها تعني اتِّصافَ الإنسان بما يوصفُ به الرِّجالُ عادةً مِنْ نحو تحمُّلِ الأعباءِ الثِّقال، ومنْ أبرزِ ذلك تحمُّلُ الرُّسُل الكرامِ لأعباءِ الرسالة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧]، ومِنْ ذلك صدقُ الرجلِ فيما عاهد عليه ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ

---

(١) ألجأت ظهري إليك: أي توكلت عليك واعتمدت في أمري كله، كما يعتمد الإنسان بظهره إلى يسنده.

(٢) رغبة ورهبة: أي طمعا في ثوابك وخوفًا من عذابك.

(٣) الفطرة: أي الإسلام.

(٤) البخاري «الفتح» (١/ ٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠) واللفظ له.

(٥) سَوَّى ابن القيم بين صفتي المروءة والإنسانية وجعلهما مترادفين انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٣٦٦).

صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ومنها حُبُّ التطهُّر ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ﴾ [التوبة: ١٠٨]، ومنها أنَّ الرجل لا تشغله العوارِضُ عن ذكرِ الله والعملِ للآخرةِ مصْدَاقُ ذلك قول الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، فالرَّجل الحقُّ على ذلك هو من يتحمَّلُ الأعباءَ وينهض بها، ويصدقُ العهد، ويحبُّ الطهْرَ، ولا تشغلُهُ سفاسِفُ الأمُور عنْ معاليها، أمَّا الفوَّةُ فإنها تعني اتِّصافَ المرءِ بما يُوصفُ به الفتى من النَّجْدَةِ والنَّشاطِ وتوقُّدِ الذكاءِ، قال طرفَةُ:

إذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتًى؟ خِلْتُ أَنَّنِي ... عُنِيتُ، فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتبَلَّدِ [(١)]

□ وقال بعض الشُّعراء:

إِنَّ الفَتَى حَمَّالُ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... لَيْسَ الفَتَى بِمُنَعَّمِ الشُّبَّانِ

□ ولا تتوقَّفُ الفُتُوَّةُ على المال أو الجاهِ، وإنما على شرفِ الأعمالِ والخصالِ..

قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الفَتَى، وَرِدَاؤُهُ ... خَلَقٌ، وَجَيْبُ قَمِيصِهِ مَرْقُوعُ [(٢)]

□ لقد لاحظ العرب بعض هذه المعاني، فقال الجوهريُّ: «الفتى: السَّخِيُّ الكريم [(٣)]، يقال: هو فتًى بيِّنُ الفتوَّةِ، ويتأكَّدُ هذا المعنى اللُّغويُّ للفتوَّة بما جاء في الذِّكر الحكيم منْ وصفِ أهل الكهف بأنَّهُمْ ﴿فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾ [الكهف: ١٣]، وفي وهذا إشارةٌ واضحةٌ إلى أنَّ صفةَ الفتوَّةِ

---

(١) «ديوان طرفة» المعلقة.

(٢) عن «لسان العرب» (١٥/ ١٤٦) - ط. بيروت.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

فيهم تُفيد قوَّةَ تحمُّلهم وصلابةَ عزيمتهم وكمال عقُولهمْ المتمثِّل في الإيمانِ بالله تعالى، يقول ابن كثيرٍ في تفسير هذه الآية الكريمة: ذكر اللهُ تعالى أنَّهُمْ فتْيَةٌ وهم الشَّباب وهم أقبلُ للحقِّ وأهدى للسبيلِ منَ الشُّيُوخِ الذِينَ قدْ عتَوْا وانغمسُوا في دينِ الباطلِ، ولهذا كان أكثرُ المستجيبين لله ورسولِهِ شبابًا، وأمَّا الشُّيوخُ مِنْ قريشٍ فعامَّتُهمْ بقُوا على دينهم ولم يُسْلِمْ منهمْ إلَّا القليل»[١].

وبهذا يتَّضحُ أنَّ الفتُوَّة تُشِيرُ إلى معانٍ ذات قيمةٍ أخلاقيَّةٍ عظمى، حتى وإنْ كانت في الأصْلِ لا تُشْعِرُ بمدْحٍ ولا ذمٍّ كما يقول الفيروزآباديُّ[٢]، ثمَّ انتقلت اللفظةُ بعد ذلك للدَّلالةِ على معْنَى «استعمالُ الأخلاقِ الكريمة مع الخلقِ»، كما يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:[٣] ومعْنَى هذه العبارةِ: أنَّ الفتوَّةَ هي التَّطْبيقُ العمليُّ والتَّنْفيذُ الفعليُّ لما تقْتضيه الأخلاقُ الحميدَةُ التي لا بُدَّ أنْ يتحلَّى بها مَنِ اتَّصَفَ بالفتُوَّةِ، وقدْ عدَّهَا رَحِمَهُ اللَّهُ، من منازلِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة] فقال: حقيقةُ هذه المنزلة هي الإحسانُ إلى الناس وكفُّ الأذى عنهم، واحتمالُ أذاهمْ: «وهيَ إذنْ نتيجةُ حسنِ الخلُقِ، واستعْمالهُ «أي: إخراجُهُ إلى حَيِّزِ الوجُودِ بعدَ أنْ كان هيْئةً راسخةً في النَّفسِ».

وأقْدَمُ منْ تكلَّمَ في الفُتُوَّةِ جعفرُ الصَّادِقِ ثُمَّ الفضيْلُ بن عياضٍ، والإمام أحمد بن حنبلٍ، وسهْلُ بن عبد الله التستريِّ والجنيدُ، «ومن سارَ على نهجهم»، وقدْ سُئِلَ جعفرُ الصادقُ عن الفتوَّةِ فقال للسَّائِلِ: ما تقولُ

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٧٨).
(٢) «بصائر ذوي التمييز» (٤/ ١٧١).
(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٥٣).

أنتَ؟ قال: إنْ أعْطيتُ شكرْتُ، وإنْ مُنِعْتُ صبرْتُ، فقال «جعفرُ»: لكن المروءةَ عندنا: أُعطينا آثرْنَا، وإنْ مُنعْنَا شكرْنَا.

□ وقال الفضيلُ: «الفتُوَّةُ: الصَّفْحُ عنْ عثَرَاتِ الأخوانِ».

□ وقال الإمامُ أحمدُ: «الفتوَّةُ: ترْكُ ما تهْوَى لما تخْشَى».

□ وقال الجنيْدُ: «الفُتُوَّةُ: ألَّا تُنَافِرَ فقيرًا، ولا تُعَارِضَ غنيًّا».

□ وقال المُحَاسِبيُّ: «الفتوَّة: أنْ تُنْصِفَ ولا تنْتَصِفَ».

□ وقال الترمذيُّ: «الفتوَّة: أنْ تكون خصيمًا لربِّكَ على نفسك، وقيل: هي ألَّا ترى لنفسك فضْلًا على غيركَ»[١].

□ وقد لخَّصَ ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الأقوالِ عندما ذكر أنَّ أصْلَ الفتُوَّة عندهم هيَ أنْ يكون العبدُ أبدًا في أمْر «خدْمَةِ» غيره[٢].

□ وهذا الخلقُ الرَّفيعُ لا يتأتَّى بكماله إلَّا لرسول الله ﷺ كما يقول الدَّقَّاقُ-: «فإنَّ كلَّ أحدٍ يقول يوم القيامةِ: نفسي نفسي، وهو يقول: أمَّتِي أمَّتِي»[٣].

وفيما يتعلَّقُ بالفرقِ بين المروءةِ[٤] والفتُوَّةِ فيتمثَّلُ في أنَّ بينهما عمومًا وخصوصًا يقول ابن القيم موضِّحًا لهذا الفرق: الفتُوَّةُ نوعٌ من أنواعِ المروءةِ إذ المروءةُ استعمالُ ما يجملُ ويزينُ ممَّا هو مختَصٌّ بالعبْدِ، أوْ متعدٍّ إلى

---

(١) انظر هذه الأقوال وغيرها في: «مدارج السالكين» (٢/ ٣٥٤)، و«بصائر ذوي التمييز» (٤/ ١٧٠) وما بعدها.

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٥٥).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٥٥)، و«بصائر ذوي التمييز» (٤/ ١٧١).

(٤) انظر: «صفة المروءة» ووفقًا لما ذكر ابن القيم، فإن الإنسانية والمروءة يستويان في المعنى.

غيره، وتَرْكُ ما يُدنِّسُ ويشينُ مما هو مختصٌّ أيضًا به أو متعلِّقٌ بغيره، أما الفتوَّةُ فهي استعمالُ الأخلاق الكريمةِ مع الخلقِ [(١)]، أيْ إنَّ المروءةَ تتعلَّقُ بالنفس وبالغير، والفتوَّةَ تتعلَّقُ بالغير فقط إذ هي أنْ يكون المرءُ في خدمة غيره، أمَّا صِفَةُ الإنسانيَّةِ فهي والمُروءةُ سواءٌ» [(٢)].

يا هذا كن رَجُلا: وسِرْ بهمتك علك تلحق بهؤلاء الرجال:

* قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

* وقال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ [التوبة: ١٠٨].

* وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

* وقد نعت الله الأنبياء بكونهم رجالًا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧].

✍ فسِرْ على درب الرجال.

حسنُ السمت والهدى والدل موقوفٌ على عُلاة الهمم الربانيين الصالحين:

مادة (س م ت) تدل -كما يقول ابن فارس- على نَهْجٍ وقَصْدٍ وطريقة.

يُقال: سَمَت إذا أخذ النهج.

ويُقال: إن فُلانًا لحَسَنُ السَّمْتِ: إذا كان مستقيم الطريقة متحرِّيًا لفعل الخير.

والسَّمْت (أيضًا) هيئة أهل الخير يُقال: ما أحسن سَمْتَه.

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٥٣).

(٢) «نضرة النعيم» (٥/ ٢٠٤٢- ٢٠٤٤).

□ قال أبُو عُبَيد: «السَّمْتُ يكونُ في حُسْنِ الهيئة والمنظر من جِهَة الخير والدِّين لا من جهة الجمال والزينة».

فحسن السَّمت هو حسن المظهر الخارجي للإنسان طريقة الحديث والصَّمْت، والحركة والسُّكُون والدُّخُولِ والخروج والسِّيرة العلميَّة في الناس بحيثُ يستطيع منْ يراهُ أو يسمعُهُ أنْ ينْسِبَهُ لأهلِ الخيرِ والصَّلاحِ والدِّيانَةِ والفلاحِ [١].

• عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الهَدْيَ الصَّالحَ والسَّمْتَ الصَّالِحَ والاقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وعشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»** [٢].

□ عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما أنَّهُ قال: «رأيتُ رسول الله ﷺ في ليلةٍ أضْحِيَانٍ [٣]، فجعلْتُ أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر، وعليه حُلَّةٌ حمراءُ، فإذا هو عنْدِي أحسنُ منَ القمرِ» [٤].

---

(١) «مقاييس اللغة» لابن فارس (٣/ ٩٩)، و«النهاية» لابن الأثير (٢/ ٣٩٧)، و«لسان العرب» (ص٢٠٨٧) طبع دار المعارف، و«المفردات» للراغب (ص١١٨).

(٢) أبو داود (٤٧٧٦) واللفظ له، وأحمد (١/ ٢٩٦) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٤/ ٢٤٤) رقم (٢٦٩٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٧) رقم (٧٩١)، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: «إسناده حسن» (١٠/ ٥٠٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٩٢) بلفظ: «إن الهدى الصالح، والسَّمتَ الصالح، جزءٌ من سبعين جزءًا من النبوة» من رواية الطبراني في «المعجم الكبير».

(٣) ليلة أُضْحِيان: أيْ مضيئة.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٨١٢) في «الأدب» باب ما جاء في الرُّخصة في لبس الحمرة للرجال، وقال: هذا حديث حسن غريب وهو كما قال، ورواه الحاكم (١/ ١٨٧)، وصححه ووافقه الذهبي.

• عن البراءِ بن عَازِب رضي الله عنهما أَنَّهُ قال: «كان النَّبيُّ ﷺ مربوعًا، وقدْ رأيْتُهُ في حُلَّةٍ حمراءَ، ما رأَيْتُ شيئًا أحسن منْهُ».

▫ قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: «مَنْ سَرَّهُ أنْ يَنْظُرَ إلى هدْيِ رسول الله ﷺ فلينظرْ إلى عمْر بْنِ الأسَودِ»(١).

▫ قال عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه يوصِي الرِّجال والنساءَ: «مَنْ أدْرَكَ فيكُنَّ مِنَ امرأةٍ أوْ رجُلٍ فالسَّمْتَ الأولَ، السَّمْتَ الأوَّلَ، فإنَّا على الفطْرَةِ». قال عبد الله: السَّمْتُ: الطَّرِيقُ»(٢).

▫ قال عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه: «إنكم في زمانٍ كثيرٌ فقهاؤُهُ، قليلٌ خطباؤُه قليلٌ سؤَّالُه، كثيرٌ معْطُوه، العملُ فيه قائدٌ للهَوى، وسيأتي منْ بعْدِكم زَمانٌ قليلٌ فقهاؤُهُ، كثيرٌ خطبَاؤهُ، كثيرٌ سؤَّالُه، قليلٌ عطاؤُهُ، الهوى فيه قائدٌ للعمل. اعلموا أنَّ حُسْنَ الهدْيِ في آخر الزَّمَانِ خيرٌ مِنْ بعض العمل»(٣).

▫ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «القصدُ والتُّؤدَةُ وحسنُ السَّمْتِ جُزْءٌ مِنْ خمسةٍ وعشرين جُزءًا من النُّبُوةِ»(٤).

▫ قالت عائشةُ رضي الله عنها: «مَا رأيْتُ أحدًا كان أشْبَهَ سمْتًا ودلًّا وهدْيًا

---

(١) «حلية الأولياء» (٥/ ١٥٦) وهو في «الحلية» بهذا اللفظ، وذكره الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٥١٠) وعزاه لأحمد.

(٢) الدارمي (١/ ٨٢) رقم (٢١٣).

(٣) «الأدب المفرد» (ص٢٧٥، ٢٧٦) وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: «سنده صحيح» (١٠/ ٥١٠) ولا يُقال مثله مِن قِبَلِ الرأي.

(٤) «الموطأ» (٩٥٤)، وقال محمد فؤاد عبد الباقي: رواه الطبراني في «الكبير» مرفوعًا ومثله لا يُقال بالرأي.

برسولِ الله ﷺ في قيامها وقُعُودِهَا مِنْ فاطمةَ ﵂»[١].

□ قال إبراهيم النَّخَعيُّ ﵀: «كانوا إذا أتَوُا الرَّجُل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاتِهِ وإلى سمْتِهِ وإلى هيْئَتِه، ثمَّ يأخذونَ عنهُ»[٢].

□ قال الأعمشُ ﵀: «كانوا يتعلَّمُونَ مِنَ الفقيهِ كُلَّ شيءٍ حتَّى لبَاسَهُ ونعْليْهِ»[٣].

□ قال الأوزاعيُّ ﵀: «كُنَّا نَمْزَحُ ونضحك فلمَّا صرْنَا يُقْتَدى بنا خشيتُ أنْ لا يسعُنَا التَّبَسُّمُ»[٤].

□ قال الحسن البصريُّ ﵀: «كان الرجلُ يطلُبُ العلم فلا يَلبَثُ أن يُرَى ذلك في تخشُّعِهِ ولسانه وبصرِهِ ويَدِهِ»[٥].

□ قال أبو العاليةِ ﵀: «أرْحَلُ إلى الرَّجُلِ مسيرةَ أيَّامٍ فأوَّلُ ما أتفقَّدُ منْ أمره صلاتُهُ، فإنْ وجدْتُهُ يقيمُهَا ويتمُّهَا أقمْتُ وسمِعْتُ مِنْهُ، وإنْ وجدْته يضيِّعُها رجعْتُ ولم أسمعْ مِنْهُ وقلتُ هو لغيرِ الصلاةِ أضْيَعُ»[٦].

□ قال مالكٌ ﵀: «إنَّ حَقًّا على منْ طلبَ العلمَ أنْ يكون له وقارٌ وسكينَةٌ وخشْيَةٌ، وأنْ يكون مُتَّبِعًا لأثَرِ مَنْ مَضَى قبْلَهُ»[٧].

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٨٧٢) واللفظ له بسياق طويل، وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه أبو داود (٥٢١٧)، والنسائي في «عشرة النساء» (ص٣٠١) رقم (٣٥٤)، والحاكم (٤/ ٢٧٢)، (٤/ ٣٧٢) والبيهقي في «السنن» (٧/ ١٠١).

(٢) «الآداب الشرعية» (٢/ ١٤٩).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١٤٩).

(٤) المرجع السابق (٢/ ٤٤).

(٥) «شعب الإيمان» (٨/ ٤٢٧)، و«والآداب الشرعية» (٢/ ٤٥).

(٦) «حلية الأولياء» (٢/ ٢٢٠).

(٧) «الآداب الشرعية» (٢/ ٤٥).

□ قال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان عُمَرُ أشْبَهَ الناس بهدْي رسول الله ﷺ وأشْبَهُ الناس بعمر ابنه عبد الله، وبعبد الله ابنُهُ سالم»[١].

□ قال أبو عبيدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يرحلونَ إلى عمرَ رضي الله عنه فينْظُرونَ إلى سمْتِه وهدْيِهِ ودهِ فيتشَبَّهُونَ به»[٢].

□ قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لرجلٍ سأله أين تُريدُ؟ قال: إلى البصرةِ، فقيل له: منْ بقِيَ؟ قال: «ابنُ عوْنٍ آخذٌ من أخلاقهِ، أخذُ من آدابِهِ»[٣].

□ قال الوليد بن يزيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما رأيْتُ الأزواعيَّ ضاحكًا حتَّى يُقهقه قطُّ، ولا مُلتفتًا إلى شيءٍ، ولقدْ كان إذا أخذ في ذكر المعاد وما أشْبهه أقول في نفسي: لا يرى أحدٌ في المجلس لم يبْكِ قبلهُ»[٤].

□ قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يكن بالمدينة أحدٌ أشْبَهَ بأهل العلمِ مِنِ ابْنِ عَجْلانَ، كنتُ أشَبِّههُ باليَاقُوتَةِ بين العُلَماءِ»[٥].

□ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مَنْ كَانَ مُلتمِسًا جَلِيسًا صَالِحًا ... فَلْيَأْتِ حَلْقَةَ مِسْعَرِ بْنِ كِدَامِ

فِيهَا السَّكِينةُ وَالْوَقَارُ وَأَهْلُهَا ... أَهْلُ العَفَافِ وَعِلْيَةُ الأَقْوَامِ[٦]

□ كتب عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصيَّتِه التي أوْصَى بها أهلهُ

---

(١) «الفتح» (١٠/ ٥١٠).

(٢) «الصحاح» الجوهري (٤/ ١٦٩٩)، و«لسان العرب» (٣/ ١٤٢٣).

(٣) «الآداب الشرعية» (٢/ ١٤٩).

(٤) «الجرح والتعديل» (١/ ٢١٧).

(٥) المرجع السابق (١/ ٢٧٣).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٧٠).

وولدَهُ: «انظروا ما كان عليه أيُّوبُ ويونس وابنُ عونٍ واسألوا عنْ هدْيِ ابن عوْنٍ فإنَّكم ستجِدُونَ منْ يحدِّثُكُمْ عنْهُ»(١).

□ قال عبد الرحمن بن مهديٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنَّا نأتي الرَّجُل ما نريدُ علْمَهُ ليس إلَّا أنْ نتعلَّمَ مِنْ هدْيِهِ وسمْته ودلِّهِ»(٢).

□ وقال أيضًا: «كان عليُّ بن المدينيِّ وغير واحدٍ يحضُرون عنْدَ يحيى ابن سعيدٍ القطَّانِ ما يريدون أن يسْمَعُوا شيئًا إلَّا أنْ ينظروا إلى هدْيهِ وسمْتِهِ»(٣).

□ قال أبو عاصمٍ النَّبيلُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَاتَ حمَّادُ بن زيْدٍ يوم ولا أعلم له في الإسلامِ نظيرًا في هيئتِهِ ودلِّهِ وسمْتِهِ»(٤).

□ قال عبيدةُ بن عثمانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ نظر إلى الأوزاعيِّ اكْتَفَى به ممَّا يَرى عليه منْ أثَرِ العبادَةِ، كنتِ إذا رأيْتَهُ قائمًا يُصلِّي كأنما تنْظُرُ إلى جسدٍ ليس فيه رُوحٌ»(٥).

□ قال الحسنُ بن الرَّبيع رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما شبَّهْتُ أحمد بن حنبلٍ إلَّا بابنِ المباركِ في سمْتِهِ وهَدْيِهِ»(٦).

□ قال ابن عليِّ بن المدينيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رأيتُ في كتب أبي ستَّةَ أجزاءٍ: مذهب أبي عبد الله وأخلاقهُ، ورأيْتُ أحمد يفعل كذا ويفعلُ كذا، وبلغني

---

(١) «أصول الاعتقاد» (١/ ٦٢).
(٢) «الآداب الشرعية» (٢/ ١٤٩).
(٣) الموضع السابق نفسه.
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٥٩)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٣/ ١٠).
(٥) «الجرح والتعديل» (١/ ٢١٨).
(٦) مقدمة «المسند» للشيخ أحمد شاكر نقلًا عن «تاريخ الإسلام» للذهبي (ص٦٦).

عنه كذا وكذا»[١].

□ قال الميمونيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما رأيتُ أحدًا أنظفَ ثوبًا، ولا أشدَّ تعاهُدًا لنفسه في شاربه وشَعْرِ رأسه وشعْرِ بدنه ولا أنْقَى ثوبًا وأشدَّ بيانًا منْ أحمد ابن حنبلٍ»[٢].

□ قال محمد بن مسلمٍ: «كنَّا نَهابُ أنْ نُرَادَّ على أحمد بن حنبلٍ في الشَّيءِ أوْ نُحَاجَّهُ في شيءٍ من الأشياءِ، يعني لجلالته ولهيْبَةِ الإسلام الذي رُزِقَهُ»[٣].

□ قال المرُّوذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم أرَ الفقير في مجلسٍ أعزَّ مِنْهُ في مجلس أبي عبدالله[٤]، كان مائلًا إليهم مقْصِرًا عنْ أهلِ الدُّنيا، وكان فيه حلمٌ، ولم يكن بالعجُولِ، وكان كثير التَّواضعِ تَعْلُوهُ السَّكينةُ والوقارُ، إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفُتْيا لا يتكلَّمُ حتى يُسْأل، وإذا خرجَ إلى مسجدِهِ لمْ يتصدَّرْ، يقْعدُ حيث انتهى به المجلسُ»[٥].

□ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَقِيتُ عبد الوهاب الأنماطيَّ فكان على قانون السلفِ لم يسمعْ في مجلسه عيبَةٌ، ولا كان يطلبُ أجْرًا على سماعِ الحديث، وكنت إذا قرأْتُ عليه أحاديثَ الرَّقَائقِ بكى واتَّصلَ بكاؤُهُ فكان وأنا صغيرُ السِّن حينئذٍ يعمل بكاؤُهُ في قلبي، ويَبْنِي قواعِدَ الأدبِ في

---

(١) «الآداب الشرعية» (٢/ ١٤٩).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٢).

(٣) المرجع السابق (٢/ ١٢).

(٤) يعني: أحمد بن حنبل.

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢١٨).

نفسي، وكان على سمْتِ المشايخِ الذين سمِعْنَا أوصافهم في النَّقْلِ»(١).

□ وقال: «قد كان جماعةٌ من السلفِ يقصِدُونَ العبدَ الصالحَ للنَّظرِ إلى سمْتِهِ وهدْيِهِ، ولا لاقْتِبَاسِ علمه، وذلك أنَّ ثمرةَ علمه هدْيُهُ وسمْتُهُ»(٢).

□ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكمالُ عزيزٌ، والكاملُ قليلُ الوجودِ، فأوَّلُ أسبابِ الكمالِ تناسُبُ أعضَاءِ البدنِ، وحسن صورة الباطن، وصورةُ البدنِ تُسمَّى خلْقًا، وصورةُ الباطنِ تسمَّى خلقًا. ودليلُ كمالِ صورةِ البدنِ حسن السَّمْتِ واستِعْمَالُ الأدب، ودليلُ صورة الباطن حسن الطَّبائِعِ والأخلاقِ، فالطَّبَائعُ: العفَّةُ والنَّزاهةُ والأنفةُ من الجهلِ، ومباعدةُ الشَّرَهِ. والأخلاقُ: الكرمُ والإيثارُ وستْرُ العيوبِ وابْتداءُ المعروف والحلمُ عن الجاهلِ»(٣).

□ قال الحافظ في «الفتح»: «خرَّج أبو عبيدٍ في غريب الحديث: أنَّ أصحاب ابن مسعودٍ رضي الله عنه كانوا ينظرون إلى سمْتِهِ وهدْيه ودلِّه فيتشبهُّونَ به»(٤).

□ قال البدرُ العينيُّ صاحبُ «عمدة القاري على صحيح البخاري» رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للناس الاقتداءُ بأهل الفضلِ والصلاحِ في جميع أحوالهم في هيئَتهم وتواضعهم للخلقِ ورحمتهمْ وإنصافهم من أنفسهم وفي مأكلهم

---

(١) «صيد الخاطر» (ص١٤٣).

(٢) المرجع السابق (ص٢١٦).

(٣) المرجع السابق (ص٢٨٩).

(٤) «فتح الباري» (١٠/ ٥١٠).

ومشربهم واقتصادهم في أمورهم تبرُّكًا بذلك»[(١)].

□ قال الشاعرُ:

انْطِــقْ مُــصيبًا لا تَكُــنْ هَــذِرًا ... عَيَّابَــةً نَاطِقًــا بِــالْفُحْشِ والرِّيَــبِ

وَكُنْ رَزِينًا طَوِيلَ الصَّمْتِ ذَا فِكَرٍ ... فَإِنْ نَطَقْتَ فَلَا تُكْثِـرْ مِـنَ الخُطَـبِ

وَلَا تُجِبْ سَـائِلًا مِـنْ غَـيْرِ تَرْوِيَـةٍ ... وَبِالَّذِي عَنْهُ لَمْ تُسْأَلْ فَـلَا تُجِـبِ[(٢)]

دناءة الهمة:

«دنو الهمة مسلك دنيء، ومركب وطيء، وخلق ساقط، وعمل مرذول، لا يليق بأهل الفضل، ولا ينبغي من أهل النبل والعقل.

والناس إنما تتفاوت أقدارهم بتفاوت هممهم.

ولذلك فدنيء الهمة لا قيمة له ولا قدر؛ لأنه مَيَّال للدعة، مؤثر للراحة، مخلد للأرض، قاعد عن المكارم، كَلِفٌ بالصغائر، مولع بمحقرات الأمور، هَمُّهُ خاصةُ نَفْسِه، فِكْرُه محصورٌ في مطعمه وملبسه، وقوت يومه وليلته.

أما تطلاب المعالي، نشدان الكمالات – فلا يخطر له ببال، ولا يحوم له حول ما يشبهه خيال.

هذه بعض ملامح دنو الهمة، وتلك بعض صفات داني الهمة، تلك الصفات التي تجعل من صاحبها غرضًا للذم، وعُرْضَةً لِلَّوم.

□ ولهذا عِيب على امرئ القيس قوله:

---

(١) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٢/ ١٥٤).

(٢) «حُسْن السمت في الصمت» للسيوطي (ص٤٧).

لنـــا غـــنمٌ نُـــسَوِّقُها غـــزار كـــأن قـــرون جلَّتهـــا العِـــصَيُّ
وتمـــلأ بيتنـــا إقطًـــا وســـمنًا وحسبك من غنًى شبعٌ وريٌّ [1]

□ وعيب على طرفة بن العبد قوله [2]:

ولولا ثلاثٌ هنَّ من عيشة الفتى وجدِّك[3] لم أحفلْ[4] متى قام عُوَّدي[5]
فمنهنَّ سبقي العاذلاتِ بشربة كُمَيْتٍ [6] متى ما تُعْلَ بالماء تُزْبِدِ
وكرِّي إذا نادى المضاف[7] مُحَنَّبًا[8] كَسِيْد [9] الغضا نَبَّهْتَهُ المتورِّدِ [10]
وتقصيرُ يوم الدَّجنِ[11] والدجنُ بَبَهْكَنَة [12] تحت الخِباء [13] المُعَمَّدِ

يقول: لولا حبي ثلاث خصال هن من اللذات – لم أبالِ متى قام

---

(١) «ديوان امرئ القيس» (ص ١٧١).
(٢) «ديوان طرفة بن العبد» (ص ٣٢- ٣٣).
(٣) جدِّك: قسم، والجد هو الحظ والبخت.
(٤) لم أحفل: لم أبال.
(٥) عُوَّدي: جمع عائد من العيادة للمريض.
(٦) كميت: وصف للخمرة، وهي التي لونها بين السواد والحمرة.
(٧) المضاف: المذعور الذي ضافته الهموم.
(٨) محنبًا: المحنب هو الفرس الذي في يديه الحناء.
(٩) سيد الغضا: نوع من الذئاب، وهو أخبثها، ويسمى ذئب الغضا.
(١٠) المتورد: الذي ورد الماء.
(١١) الدجن: الغيم في السماء، وتقصير يوم الدجن: تقطيعه بالعبث، وجعله قصيرًا باللعب.
(١٢) البهكنة: المرأة الجميلة الحسنة الخلق.
(١٣) الخباء المعمد: الخيمة.

عودي من عندي؛ آيسين من حياتي.

وهذه الثلاث هي: شرب الخمر، وإغاثة المذعور، وتقطيع اليوم الذي تلبدت سماؤه بالغيوم – بالتمتع بامرأة حسناء تحت الخباء المعمد.

هذا هو غاية همته، ومنتهى طموحه، ولولا ذلك – كما يقول- لم يبالِ بالمنية متى نزلت به[١]!.

□ وقريب من ذلك قول أبي نواس:

إنما العيش سماع ومدام وندام

فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام[٢]

فتراه يقصر العيش اللذيذ على السماع، والمدام، والندام، وما عدا هذه الثلاثة – عنده- لا قيمة له تُذكر!.

فأي معنى لحياة هؤلاء وأمثالهم؟ وأي عظمة يبتغونها؟ وأي فضيلة يسابقون إليها؟.

فتلك الهمم والأماني وما شاكلها وجرى مجراها لا تعد من معالي الأمور، التي تتسابق فيه الهمم، بل إنها من سفولِ الهمة، ومما يأنفه الكرام، ويأباه ذوو المروءة والطبع السليم، ويجزع من أن يوصف به أهل الفضل والمكانة.

□ ولذلك جزع الزبرقان بن بدر أيَّما جزع، وذلك عندما هجاه الحطيئة بقوله:

دع المكارمَ لا ترحل لبغيتها واقعدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسي[٣]

---

(١) انظر: «شرح المعلقات العشر» للزوزني (ص١١٢- ١١٣).

(٢) «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٢٥٩).

(٣) «ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت» (ص٥٠)، وانظر: «عيون الأخبار» =

وبلغ من جزعه أن استعدى على الحطيئة أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فجعل عمر يهون البيت على الزبرقان، ويحمله على أنه معاتبة لا هجاء؛ كراهة أن يتعرض لشأن الحطيئة.

ولكن الزبرقان صَعُب، وعزَّ، وأنكر ألَّا تبلغ به مروءته وهمته إلَّا أن يأكل ويلبس [١].

ولذلك أيضًا فلا غرو أن يتردد على الألسنة ذمُّ الهمم الدانية وأصحابها.

□ قال حاتم الطائي:

لحى الله صعلوكًا مناه وهمُّه ... من العيش أن يلقى لبوسًا ومطعما

يرى الخِمْص تعذيبًا وإن يلقَ شبعةً ... يَبِتْ قَلْبُهُ من قِلَّة الهمِّ مبهما [٢]

□ وقال الآخر:

إذا ما الفتى لم يبغِ إلَّا لباسَهُ ... ومطعمَه فالخيرُ منه بعيدُ [٣]

□ وقال المعري:

وإن كان في لبس الفتى شرف له ... فما السيف إلَّا غمده والحمائل [٤]

□ وقال علي بن المقرب العيوني:

(١/ ٢٣٦).

(١) انظر: «العفو والاعتذار» للرَّقَّام البصري (١/ ٧٢- ٧٣)، و«تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري» لطه أحمد إبراهيم (ص٣٦).

(٢) «ديوان حاتم» (ص٤٥)، وانظر: «عيون الأخبار» (١/ ٢٣٣).

(٣) «عيون الأخبار» (١/ ٢٣٨).

(٤) «شرح ديوان سقط الزند» للمعري (ص٥٧).

عَـدِمْتُ فـؤادًا لا يبيـت وهَمُّـهُ كرامُ المساعي وارتقاءٌ إلى المجد

لعمري ما دَعْدٌ بِهَمِّي وإن دنت ولاليَ من هند غرام ولا وجد

لكن وجدي بالعلا وصبابتي لعارفةٍ أُسْدي ومكرمة أُجْدي [(١)]

□ وقال:

وذو الدناءة لو مَزَّقْت جِلْدَته بشفرة الضَّيْمِ لم يَحْسِنْ لها ألما [(٢)]

□ وقال البارودي:

وما أنا ممن تأسِرُ الخمرُ لُبَّه ويملك سمعيه اليراعُ المُثَقَّبُ [(٣)]

□ وقال الرافعي رَحِمَهُ اللهُ: «وأما ضعف الهمة فمنزلة الحيوان الذي لا هم له إلَّا أن يوجدَ كيفما وجد، وحيثما جاء موضعه من الوجود؛ إذ هو يولد ويكدح ويكد؛ ليكون لحمًا، وعظمًا، وصوفًا، ووبرًا، وشعرًا أثاثًا، ومتاعًا، وكأنه ضربٌ من النبات إلَّا أنه نوعٌ آخر من المنفعة»[(٤)] اهـ[(٥)].

أسباب دُنُوِّ الهمة:

نُجمل هنا ما سبق أن أوردناه من أسباب دناءة الهمة، ونضيف إليها أسباب أخرى:

١ - الوَهَن «حب الدنيا وكراهية الموت».

(١) «علي بن المقرب العيوني حياته - شعره»، تأليف د. علي الخضيري (ص٢٣٨).
(٢) «علي بن المقرب» (ص٢٥٨).
(٣) «ديوان البارودي شرح علي عبد المقصود عبد الرحيم» (ص٤٢).
(٤) «وحي القلم» لمصطفى صادق الرافعي (٣/ ٣٧٩).
(٥) «الهمة العالية» لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص٢٥ - ٢٨).

٢- التمنِّي.

٣- التسويف.

٤- إهدار الوقت في كثرة للأقارب والأصحاب، بدون هدف شرعي صحيح، وفائدة مُعْتَبَرة.

٥- كثرةُ التمتُّعِ بالمباحِ، والترفُ الزائدُ، والترفُّلُ في النَّعِيم.

٦- كثرة الخلطة، وصحبة البَطَّالين الذين سُفُلَت هِمَّتُهم.

٧- العجز والكسل.

٨- الغفلة.

٩- الفتور.

١٠- الفناء في مُلاحظة حقوق الأهل والأولاد، واستغراق الجهد في التوسُّعِ في تحقيق مطالبهم: «فقد تكون الزوجة فتنة لزوجها، فتصده عن العبادة، وتعوقه عن طلب العلم، والسعي للمعالي، وذلك بسبب رِقَّةِ دينها، أو كثرة طلباتها، وتخذيلها لزوجها.

وكذلك الأولاد قد يكونون فتنة وبلاء لوالدهم، فتراه يخاف عليهم، ويحرص على تأمين مستقبلهم، ويخشى من ضياعهم بعد فراقه الدنيا.

أما إذا انحرفوا عن سواء السبيل فلا تسل عن شقاء الأب وحسرته.

* وصدق الله ﷻ إذ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾ [التغابن: ١٤].

* وإذ يقول: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ [الأنفال: ٢٨].

• وقال ﷺ: «**إنَّ الولد مبخلة، مجبنة، مجهلة، محزنة**»[١].

فالزوجة والأولاد كثيرًا ما يثنون ذا الهمة عن مراده؛ ولهذا فكم عانى الكرام والشجعان منهم من تخذيلهم.

□ فهذا أحدهم يقول مبينًا عاقبته عندما أطاع زوجته في الشهوات:

أطعت العرس[٢] في الشهوات حتى ... أعادتني عسيفًا عَبْدَ عَبْدِ

إذا ما جئتها قد بعتُ عِذقًا ... تعانقُ أو تُقبِّل أو تُفدِّي[٣]

□ وهذا مالك بن الريب يصور حواره مع ابنته، التي تحاول ثَنْيَه عن الذهاب للجهاد في سبيل الله فيقول:

تقول ابنتي إن انطلاقك واحدًا ... إلى الروع يومًا تاركي لا أباليا

ذريني من الإشفاق أو قَدِّمي لنا ... من الحدثانِ والمنية واقيا

ستتلف نفسي أو سأجمع هجمة ... ترى ساقييها يألمان التراقيا[٤]

□ وهذا جؤية بن النضر، يحكي لنا ما دار بينه وبين زوجه طريفة عندما لامته على كثرة بذله وعطائه فيقول:

قالت طريفةُ ما تبقى دراهِمُنا ... وما بنا سرفٌ فيها ولا خرقُ

إنَّا إذا اجتمعت يومًا دراهمُنا ... ظلَّت إلى سبل المعروف تستبقُ

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم (٣/ ٢٩٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢٤١) برقم (٦١٤)، وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (١٩٩٠).

(٢) العرس: هي الزوجة.

(٣) «عيون الأخبار» (١/ ٢٤٣).

(٤) «عيون الأخبار» (١/ ٢٣٨).

ما يألف الدرهمُ المضروبُ خرقتَنَا ... إلَّا يمر عليها ثم ينطلق

حتى يصيرَ إلى نذلٍ يخلده ... يكاد من صرِّه إياه ينمزق[(١)]

□ وهذا أحدهم يوصي بالخطار بالنفس، ويرى أن الجلوس مع العيال لا يليق بذي الهمة فيقول:

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة ... إن الجلوس مع العيال قبيح[(٢)]

وهذا لا يعني الدعوة على الزوجة والأولاد، وهضمهم حقوقهم، والتقصير في رعايتهم، بقدر ما هو دعوة للتوازن ووضع الأمور في نصابها، ومكانها اللائق بها، من غير ما إفراط أو تفريط[(٣)].

١١- اتباع الهوى.

١٢- العشق:

□ قال ابن عقيل الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: «وما كان العشق إلَّا لأرعنَ بطالٍ، وقلَّ أن يكون في مشغول ولو بصناعة، أو تجارة، فكيف بعلوم شرعية أو حكيمة؟!»[(٤)].

□ فهذا أحد الذين ابتلوا بالعشق ممن قَصَرَ همته على ملاحقة النساء، لما استنفر للجهاد أجاب بقوله:

---

(١) تُنسب الأبيات لحاتم الطائي، وطريفة كانت جارية له انظر: «الحماسة» للتبريزي (٤/ ٨٢٦)، و«ديوان حاتم الطائي» (ص٣٠٢)، وانظر: «الإسلام والحضارة الغربية» د. محمد محمد حسين (ص٢٤٦- ٢٤٧).

(٢) «عيون الأخبار» (١/ ٢٣٨).

(٣) «الهمة العالية» (ص٧١- ٧٣).

(٤) «الآدب الشرعية» (٣/ ١٢٦).

يقولـون جاهـدْ يـا جميـلُ بغـزوة | وأي جهـــادٍ غـــيرَهن أريـــدُ
لكـــلِّ حـــديثٍ بيـــنهن بـــشاشةٌ | وكـــل قتيـــل عنـــدهن شـــهيدُ [١]

فالعشق من مظاهر دنو الهمة، وهو شغل الفارغ، فهو يمثل صورة المعشوق للعاشق في خلوته، فيكون تمثيله لها إلقاءً في باطنه، فإذا تشاغل بما يوجب اشتغال القلب بغير المحبوب درس الحب، ودثر العشق وحصل التناسي [٢].

«فمن لم تكن له همة أبية لم يكد يتخلص من هذه البلية؛ فإن ذا الهمة يأنف أن يملك رقة شيء، وما زال الهوى يذل أهل العز» [٣].

□ فأين هذا الذي يطلق العنان لرغباته، ويرسف في أغلال شهواته من الإمام الشافعي الذي يقول: «لو علمت أن الماء البارد يثلم مروءتي لما شربته» [٤].

□ قال الأعشى:

أرى سـفهًا للمـرء تعليـقَ قلبـه | بغانيـةٍ خـودٍ متـى تَـدنُ تَبعُـدِ [٥]

□ وقال ابن المعتز:

---

(١) «ديوان جميل بثينة» (ص٢١).
(٢) «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص٤٧٣)، و«صيد الخاطر» لابن الجوزي (١/ ١٥٤- ١٥٧).
(٣) «ذم الهوى» (ص٤٧٧).
(٤) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» لابن القيم (ص٤٦٨).
(٥) «ديوان الأعشى» (ص٤٧).

وإني وإن حنَّت إليك ضمائري فما قدرُ حبِّي أن يذل له قدري [(١)]

□ وقال أبو فراس الحمداني مفتخرًا بعلو همته، عائبًا على من سفلت همته، واسترقه هواه:

لقد ضلَّ من تحوي هواه خَرِيدَةٌ وقد ذلَّ من تقضي عليه كعابُ

ولكنني والحمد لله حازمٌ أعزُّ إذا ذلت لهن رقابُ

ولا تملك الحسناءُ قلبي كلَّه ولو شَمَّلَتْها رِقَّةٌ وشبابُ

وأجري ولا أعطي الهوى فضل وأهفو ولا يخفى عليَّ صواب [(٢)]

□ وقال عبد الواحد بن نصر:

وقد رام هذا الحبُّ أن يَسْتَرِقَّني فأنجدني صبرٌ عليَّ جميل [(٣)]

□ وقال أبو علي الشبل:

وآنف أن تعتاق قلبي خريدةٌ بلحظ وأن يروي صداي رضابُ

وللقلب مني زاجرٌ من مروءةٍ يجنِّبُهُ طُرْقَ الهوى فيجاب [(٤)]

□ وقال منصور الهروي:

خلقت أبيَّ النفس لا أتبع الهوى ولا أستقي إلَّا من المشرب الأصفى

ولا أحمل الأثقالَ في طلب العلا ولا أبتغي معروفَ من سامني خسفا

---

(١) «ذم الهوى» (ص٤٧٩).
(٢) «ديوان أبي فراس الحمداني» (ص١٣).
(٣) «ذم الهوى» (ص٤٨٠).
(٤) «ذم الهوى» (ص٤٨٠).

ولا أتحــرَّى العــزَّ فــيما يُــذِلُّني ولا أخطِب الأعـمال كـي لا أرى صرفـا
ولست على طبع الذباب متى يُـذَدْ عن الشيء يسقط فيه وهو يرى الحتفـا[1]

□ وقال ابن المقفع: «اعلم أن من أوقع الأمور في الدين، وأنهكها للجسد، وأتلفها للمال، وأقتلها للعقل، وأزراها للمروءة، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار – الغرامَ بالنساء».

ومن البلاء على المغرم بهن أنه لا ينفك يأجم[2] ما عنده وتطمح عيناه إلى ما ليس عنده منهن، وإنما النساء أشباه.

وما يتزين في العيون والقلوب من فضل مجهولات على معروفات باطلٌ وخدعة، بل كثير مما يَرْغَبُ عنه الراغب مما عنده أفضل مما تتوق إليه نفسه منهن.

وإنما المرتغب[3] عما في رحله منهن إلى ما في رحال الناس كالمرتغب عن طعام بيته إلى ما في بيوت الناس.

بل النساء بالنساء أشبه من الطعام بالطعام، وما في رحال الناس من الأطعمة أشد تفاضلًا وتفاوتًا مما في رحالهم من النساء»[4].

□ وقال: «ومن العجب أن الرجل الذي لا بأس بلبِّه ورأيه يرى المرأة من بعيد مُتَلَفِّفَةً في ثيابها، فيصور لها في قلبه الحسن والجمال، حتى تعلق بها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر».

---

(١) «ذم الهوى» (ص٤٨٠).
(٢) يأجم: يكره ويمل.
(٣) المرتغب: الراغب إلى غير ما عنده.
(٤) «الأدب الصغير والأدب الكبير» لابن المقفع (ص١٤٩ – ١٥٠).

ثم لعله يهجم منها على أقبح القبح، وأدمِّ الدمامة، فلا يعظه ذلك، ولا يقطعه عن أمثالها، ولا يزال مشغوفًا بما لم يذُق، حتى ولو لم يبق في الأرض غيرُ امرأة واحدة لَظَنَّ أن لها شأنًا غير شأن ما ذاق، وهذا هو الحمق، والشقاء، والسفه[1]»اهـ[2].

١٣- التعلُّق بغير الله.

١٤- لا تتعدَّى اللباسَ والمظهَر.

١٥- تَعَلُّق الهمة بالمال والجاه.

١٦- تعلَقُ الهمة بالأكل.

١٧- حب الراحة وكثرةُ النوم.

١٨- الانحراف عن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

١٩- التأثُّر بالصوفيَّة.

٢٠- اضطهاد العاملين للإسلام، والشعور بالإحباط في النُّفوسِ التي لا تفقهُ حقيقةَ البلاء.

٢١- التقليد الأعمى، والتبعِيَّة المطلقة للغرب وألتمسُّح بأعتابه.

٢٢- الرياء وعدم تجرُّد النيَّة.

٢٣- كَذِبُ العزيمةِ وتردُّدُها.

□ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فما على العبد أضرُّ من عشائره وأبناء جنسه؛ فنظره قاصر، وهمَّته واقفة عند التشبُّه بهم ومباهاتهم، والسلوك أين

---

(١) المصدر السابق (ص١٥٠).

(٢) «الهمة العالية» (ص٤٦- ٤٩).

سلكوا، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لأحبَّ أن يدخلَ معهم»[(١)].

□ لسان حاله كما يقول دريد بن الصمَّة: «وما أنا إلَّا مِن غَزِيَّة إن غوت غويت وإن ترشد غزيَّةُ أرشُدِ»[(٢)].

٢٤- ضعف العقل.

٢٥- ضعف البصيرة.

٢٦- طول الأمل.

٢٧- الابتعاد عن الأجواء الإيمانية فترة طويلة.

٢٨- الابتعاد عن القدوة الصالحة.

٢٩- هجر القرآن وترك تدبُّرِه.

٣٠- ضَعْفُ الإيمان وأُلفَة المعاصي.

٣١- ضَعْفُ الغَيْرَة، وضعف تعظيم الحُرُمات.

٣٢- طبيعة الإنسان:

«فهناك من الناس من جُبل على دنو الهمة، والإخلاد إلى الأرض، والميل إلى الراحة الدعة، والكلف بالصغائر ومحقرات الأمور.

فلا يسعى في تطلاب الكمال، ولا يأخذ بالأسباب التي تعلي من همته، وترفع من قدره، فيعيش العمر كله وهو قابع في مكانه، لا يتقدم للأمام خطوة، ولا يرقى في سلم المجد درجة، بل ربما نزل للحضيض دركة بعد دركة.

---

(١) «الرسالة التبوكية» لابن القيم (ص٨٦).

(٢) «الأصمعيات» (ص١٠٧).

٣٣- التربية المنزلية:

فالتربية المنزلية لها دور عظيم في توجيه الأولاد سلبًا أو إيجابًا؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، والولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لوالديه في سلوكه المستقيم، كما أن والديه مسؤولان إلى حد كبير عن انحرافه وفساده (١).

□ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكم ممن أشقى ولده، وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله، وترك تأديبه، وإعانته على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه.

ففاته انتفاعه بولده، وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة.

وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت أن عامته من قبل الآباء»(٢).

فكم من الناس من يربي أولاده على الجبن، والخوف، والهلع، والفزع، فَيُخَوِّفهم بالغول، وبالعفريت؛ ليكفوا عن عبثهم.

وأسوأ ما في ذلك أن يخوفهم بالطبيب أو المعلم.

ومن هنا ينشأ الولد جبانًا رعديدًا يَفْرَقُ من ظله، ويخاف مما لا يُخاف منه.

وكم من الناس من يربي أولاده على الميوعة والترف، والبذخ، والطيش؛ فينشأ الولد مترفًا منعمًا، همه خاصة نفسه فحسب، فلا يهتم بالآخرين، ولا يسأل عن إخوانه المسلمين، فلا يشاركهم أفراحهم، ولا

---

(١) انظر: «أخلاقنا الاجتماعية» للدكتور مصطفى السباعي (ص١٥٥)، و«نظرات في الأسرة المسلمة» للدكتور محمد الصباغ.

(٢) «تحفة المودود في أحكام المولود» لابن القيم (ص١٤٦-١٤٧).

يشاطرهم أتراحهم.

فهذه التربية مما يفسد المروءة، ويقتل الاستقامة، ويقضي على الشهامة والشجاعة.

وكم من الناس من لا يربي أولاده على معالي الأمور، وإنما يربيهم كما تربَّى الخراف سواء بسواء؛ فلا هم له من أولاده إلَّا مطعمهم وملبسهم، وتلبية كافة رغباتهم، أما ما عدا ذلك فلا يخطر له ببال.

وما هنا ينشأ الولد بليدًا، ساقط الهمة، قليل المروءة.

ومن الناس من هو بعكس ما مضى؛ حيث تجده يشتد على أولاده، ويقسو عليهم أكثر من اللازم، فيضربهم ضربًا مبرحًا عند أدنى خطأ، ويبالغ في تعنيفهم عند كل صغيرة وكبيرة.

ومنهم من يهزأ بأولاده، ولا يرى أنهم أهل لشيء من المكرمات.

ومنهم من لا يأبه بمحادثة أولاده، ولا يلقي بالًا لتعليمهم آداب الحديث وطرائقه؛ فلا يصغي إليهم إذا تحدثوا، ولا يجيب عن أسئلتهم إذا سألوا، بل ربما كذَّبهم إذا أخبروا، ونهرهم وأسكتهم إذا تكلموا.

ومنهم من يشتد بالتقتير عليهم، وربما قصَّر عليهم في حاجاتهم الضرورية مع قدرته على توفيرها لهم، مما يشعرهم بالنقص والحاجة، وربما قادهم ذلك إلى البحث عن المال بأية طريقة، إما من السرقة، أو من مسألة الناس، أو بالارتماء في أحضان رفقة السوء.

ومنهم من يحرم أولاده من العطف والشفقة والحنان، مما قد يقودهم إلى البحث عن ذلك خارج المنزل.

إن هذه الأنماط من التربية مما يحول بين الأولاد وبين عزة النفس، وما

يتبعها من قوة القلب، وأصالة الرأي.

بل هي مما يولد الخوف في نفوسهم، ومما يورثهم الذلة، والمهانة، والخجل الشديد، وفقدان الثقة بالنفس.

إن «التربية النافعة ما كانت أثرًا لمحبة يطفئ البأس شيئًا من حرارتها، وصرامة تلطف الشفقة نبذة من شدتها، وهي التي يستوجب بها الوالدان دعاء الولد بقوله: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾»[1].

أضف إلى ذلك أن الأولاد يرثون طباع والديهم كما يرثون قاماتهم وأشكالهم.

□ ولذلك قيل: «إذا أردت ولدًا صحيحًا فتخير له آباء أصحاء أقوياء»[2].

□ ويقول الشاعر العربي في وصف ابنه:

أعـــرف منـــه قِلَّـــة النُّعـــاس ... وخِفَّـــةً في رأســـه مـــن راسي[3]

□ وقال عدي بن الرقاع:

والمـــرء يـــورث جـــوده أبنـــاءه ... ويموت آخر وهـو في الأحيـاء[4]

فإذا كان الوالد عديم المروءة، ساقط الهمة فإن ذلك الأثر سيلحق بالأبناء في الغالب.

---

(١) «حياة الأمة» (ص٢٥)، و«السعادة العظمى» لمحمد الخضر حسين (ص٩٩).

(٢) «الأخلاق» لأحمد أمين (ص٤٣).

(٣) المصدر السابق (ص٤٣).

(٤) «عيون الأخبار» (١/ ٢٣٣).

٣٤- البيئة والمجتمع:

فلهذين الأمرين أهمية كبرى في علو الهمة وسفولها، فقد يكون ذلك سببًا لترقي الإنسان، وقد يكون بالعكس من ذلك تمامًا.

* والشأن في ذلك كالشأن في النبات؛ فالنبات في المنبت السوء لا تزال بيئته به حتى تضعفه وتميته، وفي المنبت الصالح ينمو ويترعرع، وينبت من كل زوج بهيج، ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ [الأعراف: ٥٨].

كذلك الإنسان إذا نشأ في بيئة صالحة؛ من بيت طيب، ومجتمع تشيع فيه الفضيلة، ومدرسة تُعنى بدين الطلاب وخُلُقهم، وكان يحكمه دين صحيح - نبت خير منبت، وتربى خير تربية، وإلَّا فما أحراه أن يكون سافل القدر، شريرًا، لا خير فيه»[1] اهـ[2].

٣٥- قلة وجود المربين الأفذاذ والمعلمين القدوات:

«وهذا الأمر من أعظم أسباب دنو الهمة، فمما يؤسف عليه قلة المربين الأفذاذ، والمعلمين الناصحين القدوات، الذين يربون طلابهم على نشدان المعالي، وتطلاب الكمالات.

فتجد من المعلمين، من لا هم له إلَّا إلقاء الدرس فحسب، بِغَضِّ النظر عن توجيه الطلاب، وتربيتهم، والنصح لهم.

وتجد فيهم من يؤدي درسه بكل تثاقل وبرود، وكأن الدرس جبل على عاتقه يسعى لإزاحته، وبالتالي يفقد الدرس الحرارة والروح، فتقل فائدة

(١) «الأخلاق» (ص٤٨، ٤٩).
(٢) «الهمة العالية» (ص٦٧- ٧٠).

الطلاب من الدرس، فلا يجدون اليدَ الحانيةَ، والقلب الرحيم، والنفس الأبية، التي تنشد عزَّهم، وتروم فلاحهم.

وتجد من المعلمين من هو ضعيف النفس، مهزوم الوجدان، مهزوز الشخصية، ساقط الهمة، ضيِّق النظرة، يربي الطلاب على الجبن والخور، والتقليد الأعمى.

ومن هنا يخرج الجيل الذي تربى على أمثال هؤلاء جيلًا جبانًا، ضعيف النفس، قانعًا بالدون، يرى أستاذه عقبة كؤودًا لا يستطيع تجاوزها.

٣٦- وسائل الإعلام:

فوسائل الإعلام لها دور خطير في التربية، ولديها قدرة كبيرة على الإقناع، وصياغة الأفكار، ولها دور بالغ في تنحية دور الأسرة والمدرسة.

فإذا ما انحرفت تلك الوسائل قادت الناس إلى الهاوية، وأصبحت معاول هدم وتخريب، وأدوات فساد وانحلال، ومدارس لتمييع الأخلاق، وقتل المروءة والرجولة.

وهذا سبب عظيم يقود إلى سفول الهمم ودنوها»[١].

٣٧- قلة التشجيع:

فكثيرًا ما يبرز أحد في ميدان من الميادين، ثم لا يجد من يأخذ بيده، ويعينه على نفسه.

بل ربما وجد من يُخَذِّلُه، ويضع العقبات في طريقه، ومن هنا تخبو ناره،

---

(١) «الهمة العالية» (ص٧٠- ٧١).

وتدنو همته.

٣٨- الإعجاب بالنفس والاستبداد بالرأي:

«فالإعجاب بالنفس، والاستبداد بالرأي آية الجهل، ودليل السفه ونقص العقل؛ فالمعجب بنفسه لا يستشير العقلاء، ولا يستنير برأي الأكياس الفطناء، من أهل العقول الراجحة، والتجارب السالفة، ممن جمعوا إلى جانب سداد الرأي والحكمة – النصحَ والتقوى والديانة؛ ذلك لأن خيالات الغرور ذهبت بذلك الإنسان كل مذهب، فجعلته معتدًّا بنفسه، مستبدًّا برأيه.

وهكذا يقضي العمر وهو يراوح مكانه، لا يتقدم لمكرمة، ولا يرتقي لمنزلة..

مثلُ المُعْجَبِ في إعجابه ... مثلُ الواقفِ في رأس الجبل

يبصر الناس صغارًا وهو في ... أعين الناس صغيرًا لم يزل»[1]

٣٩- استشارة النَّوكى[2] والمخذِّلين:

فكما أن الإعجاب بالنفس، والاستبداد بالرأي سبب لدنو الهمة – فكذلك الاستشارة إذا لم تطلب من أهلها، وتُبتغى من مظانها تكون سببًا لدنو الهمة.

وذلك كحال من يستشير النوكى، والمرجفين، والمخذلين؛ فإن استشارتهم تورد المهالك، وتَثني عن المعالي.

---

(١) المصدر السابق (ص٧٥).

(٢) النَّوكى: جمع أَنْوك وهو الأحمق فالنَّوكى: الحمقى.

٤٠- التردد:

فهناك من هو ذو رأي سديد، ومشاورة لأهل الرأي، فتراه يعزم على القيام بعمل من الأعمال بعد اقتناع تام، ومشاورة جادة، ودراسة متكاملة.

فإذا لم يبق إلَّا التنفيذ تردد وتثاقل، وقدم رجلًا وأخَّر أخرى، ثم يتمادى به الأمر إلى أن يترك ما عزم عليه إلى غير رجعة.

وكثيرًا ما يجيء التردد في أمرٍ ما من ناحية الشهوات والعواطف، كالذي يثق –على سبيل المثال- بما في العلم من خير وشرف، ويقعده عنه حبُّ الراحة، وإيثار الدعة، وما تنزع إليه النفس من اللذة الحاضرة.

□ والذي يقول:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمةٍ ... فإن فساد الرأي أن تترددا

إنما ينبه على التردد الناشئ عن نحو الشهوات والعواطف؛ فلذلك التردد المفسد للرأي، الموقع في خسر.

وإلَّا فلا يُعدُّ من التردد المذموم، ولا من قلة الحزم والعزم أن يستبين الرجل الحق أو المصلحة، فيقف دون عزمه مانع، كأن يعلم أن عقول الجمهور لا تتسع لقبوله، ويخشى الفتنة، فيرجئه ريثما يمهد له بما يجعله مقبولًا سائغًا.

كما لا يعد من قلة العزم أن يرى الرجل رأيًا ويعقد النية على إنفاذه، ثم يبدو له على طريق الحجة أنه غير صالح فينصرف عنه. وبالجملة فقوي العزيمة هو الذي تكون إرادته تحت سلطان عقله، فَيُقْبِل بها على ما يراه صوابًا، ويدبر بها عما يراه فسادًا [١].

(١) انظر: «رسائل الإصلاح» (١/ ٦٨- ٦٩).

□ قال عبد قيس بن خفاف:

وإذا تشاجر في فؤادك مرةً أمران فاعمد للأعفِّ الأجمل

وإذا هممت بأمر سوء فاتئد وإذا هممت بأمر خير فاعجلِ[1]

٤١- المبالغة في احتقار النفس:

فكثير من الناس مصابون بهذا الداء؛ فالواحد من هؤلاء يبخس حظه، ويبالغ في احتقار إمكاناته، ولا يثق في نفسه البتة، بل يرى أنه دون الناس؛ وأنه لا قيمة له، ولا أمل في نجاحه، ولا يمكن أن يصدر عنه عمل عظيم، أو ينتظر منه خير كبير.

فهذا شعور بالضعة وصغرِ الشأن، من شأنه أن يقتل الطموح، ويفقد ثقة الإنسان بنفسه، فإذا هو أقدم على عمل شك في مقدرته، وارتاب في إمكان نجاحه.

ومن طبيعة الناس أنهم يحتقرون من احتقر شأنه، ويدوسون بأقدامهم من استذل.

وفي الوقت نفسه يحترمون المقدام الواثق من نفسه، العالم بقدرها؛ فالثقة بالنفس فضيلة، وشتان بينها وبين الغرور الذي يعد رذيلة؛ فثقتك بنفسك تعني معرفتك الصحيحة بها، وبمقدار ما تتحمله من أعباء، وما تلتزمه من واجبات، وكذلكم علمك بما لديها من استعداد، وملكات، ومواهب.

---

(١) «المفضليَّات» للمفضل الضبي (ص٣٨٥)، و«الأصمعيّات» للأصعمعي (ص٢٣٠).

٤٢- الخور والمبالغة في تعظيم شأن الخوف:

فهذا السبب من أعظم الأسباب الداعية لدنو الهمة إن لم يكن أعظمها؛ فكم من الناس من أقصره الخوف عن تطلب الكمال، والسعي في درج العلا.

فهذا يَثنيه الخوف من الإخفاق عن تقديم أي عمل من الأعمال، وهذا يطير قلبه شعاعًا من الموت فيحجم عن منازلة الأعداء، وهذا يَفْرَقُ من التحدث أمام الناس؛ خشية أن يتلعثم، أو أن يُرْتَجَ عليه، وهذا لا يسطر حرفًا، ولا ينبس ببنت شفةٍ؛ حذرًا من انتقاد الناس له وهكذا..

وربَّ أمور لا تضيرك ضيرةً ... وللقلب من مَخْشَاتِهِنَّ وجيبُ [(١)]

* وللقرآن أبلغ الكلم في تصوير حال الجبناء، فانظروا إليه إذ يصفهم، ويريكم كيف يذوقون موتات الفزع المرة بعد الأخرى، فيقول: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾[المنافقون: ٤].

* ويريكم كيف يظهر أثر الجبن في أبصارهم، إذ يُقلِّبونها وهم في ذهولِ مَنْ أدركه الموت فيقول: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]»[(٢)].

كما أن القرآن نعى على الجبناء، ونبَّه على أنهم قد فقدوا جانبًا في رجولتهم.

* قال تعالى في توبيخ قوم تأخروا عن الجهاد في سبيل الله، وقعدوا مع

---

(١) مخشاتهن: خَشْيَتهنَّ، والواجب: الاضطراب والخوف، انظر: «الأصمعيات» (ص١٨٤).

(٢)«رسائل الإصلاح» (١/ ٨٢)، وانظر: «فيض الخاطر» (٤/ ٢٠٣- ٢٠٤).

مَنْ لم يُخْلَقْنَ للطعن والضرب: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ [التوبة: ٨٧].

ولا يتوارى عن أعين القوم، ولا يسل يده من أيديهم في حرب لهم فيها أمن وسيادة - إلَّا من كان حظه من الرجولة ضئيلًا أو مفقودًا (١).

فهذا النوع من الجبن ضرب من الخوف المذموم؛ فهو نوع من الوهم الذي لا حقيقة له، يقوم في الأذهان الحائرة المبلبلة، فيحول بينها وبين الإقدام؛ فهو خوف مبعثه رضا الناس وسخطهم، وليس الخوف على المبدأ والعقيدة.

فالخوف الذي نشكوه خوف سلبي مانع من الإقدام؛ ولذا صح أن يكون وهمًا من الأوهام، بخلاف الخوف المحمود الذي يبعث على الإقدام، واستفراغ الجهد، واستنفاذ الوسع، وإعداد أعلى العدد (٢).

٤٣- ضيق الأفق:

فلهذا الأمر علاقة كبرى في دنو الهمة؛ فهو يشل العقل، ويصد عن رؤية الحق، ويؤدي إلى حصر التفكير، وضيق الرؤية، وإصدار الأحكام الناقصة أوالباطلة.

كما يؤدي إلى زيادة صغر النفس، والإفراط في الأثرة، والنكوص عن المعالي.

فهناك من الناس من لا يعنيه في هذه الدنيا إلَّا نفسه، وذلك كل تفكيره، وسعيه، وغرضه.

---

(١) انظر: «الهداية الإسلامية» (ص٣٩).

(٢) انظر: «المسؤولية» للدكتور محمد أمين المصري (ص٣١- ٣٢)

فإن عمل خارج هذه الدائرة فلهذه الغاية، فلا يفكر في الآخرين، ولا يعنيه شأنهم، سيان عنده شقوا أم سعدوا.

فهو يحد العالم بحدود نفسه، إذا فكر فكر فيها، وإذا عَمِلَ عمل لها، ولا يعنيه من العمل إلَّا مقدار ربحه، خسر الناس أم ربحوا، قد تعلم درس الأخذ، ولم يتعلم درس العطاء.

وما الدنيا عنده إلَّا قنطرة يعبرها للوصول إلى غاياته.

وهناك من هو أسوأ من هذا، وهو من رفع نفسه فوق الناس؛ فكأنهم لم يخلقوا إلَّا له، فلم تخلق عيونهم لا لتقع على مطالبه، ولا آذانهم إلَّا لتصغي إلى كلمته، ولا أيديهم إلَّا للعمل في خدمته، يسير في الحياة على ما يهوى، ويحب أن يسير الناس على ما يهوى، فهذا – في الحقيقة- طفل كبير، وكم من الناس مِنْ أطفال كبار، وهم في طفولتهم أشكال وألوان؛ فهو طفل في نفسه، وإن كان كبيرًا في سنه وجسمه؛ فالأمر في النفس ليس كالأمر في الجسم؛ فقد ينضج الجسم والنفس لا تزال على حالها نفس طفل، والشاعر كان حقًّا حين قال:

لا بأس بالقوم من طول ومن عِظَـمِ   جسم البغال وأحلام العصافير [1]

وضيِّقُ الأفق جبان رعديد، يخاف الأمور الصغيرة، ويشتد فزعه من الحوادث التافهة، ويغضب أشد الغضب للكلمة النابية، ويصل إلى أقصى حد من الانفعال للحوادث اليومية التي يكفي لمرورها غضُّ الطرف عنها، ويمكن بقليل من سعة العقل، وكبر النفس أن ينظر إليها ويبتسم من

---

(١) «ديوان حسان بن ثابت» (ص١٢٩).

حدوثها، ولكنه يمعن في الألم منها؛ لضيق أفقه، وصغر نفسه، وخفة عقله.

فالذي يؤمن أن يسير الناس كما يشتهي، ويعملوا ما يريد - فخير له ألا ينتظر طويلًا؛ لأنه قد رام مستحيلًا، ولكن خير من ذلك أن تأخذ الناس كما هم، وأن تتلقى شرورهم وأعمالهم الصغيرة بصدر رحب، وأفق واسع، ونفس مطمئنة.

وبالجملة فمن ضاق أفقه ضاق صدره، ودنت همته، وتنغصت حياته، ولم يصدر عنه خير كثير، أو عمل كبير [١].

٤٤- الاندفاع الزائد:

فتجد من الناس من يقبل على عمل من الأعمال باندفاع زائد، ونشاط خارج عن طوره، فيكلف نفسه من المهام ما ينوء بحمله، وما لا تطيقه نفسه، وما هي إلَّا مدة وتني همته، وتنثني عزمته.

٤٥- المبالغة في تطلب الكمال:

فتجد من الناس من تهفو نفسه لغاية شريفة، فيعمل ما في وسعه؛ كي ينالها، ويصل إليها.

فإذا ما حال حائل دون الوصول إليها نزع عنها، ولم يحاول السعي لها مرة أخرى.

◻ قال العلامة محمد الخضر حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخطل أن ينزع الرجل إلى خصلة شريفة، حتى إذا شعر بالعجز عن بلوغ غايتها البعيدة انصرف عنها جملة، والتحق بالطائفة التي ليس لها في هذه الخصلة من نصيب.

---

(١) انظر: «فيض القدير» (٣/ ١٩٤)، (٥/ ١٧٠- ١٧١، ١٨٠).

والذي يوافق الحكمة، ويقتضيه حق التعاون في سعادة الجماعة أن يذهب في همه إلى الغايات البعيدة، ثم يسعى لها سعيها، ولا يقف دون النهاية إلَّا حيث ينفذه جهده، ولا يهتدي للمزيد على ما فعل سبيلًا»[1].

٤٦- قلة الصبر، واستطالة الطريق:

فتجد من الناس من يسلك طريق المجد والمعالي، سواء في طلب العلم، أو في الدعوة إلى الله، أو الجهاد في سبيل الله أو غير ذلك، فإذا ما استقَلَّ الطريق، وتوغل في السير، ورأى كثرة العوائق دونه - نفد صبره، ولم تسعفه همته، فيترك ما هم بالقيام به، ويَقْفُل راجعًا من منتصف الطريق.

□ أما صاحب الهمة العالية، والعزمة الصادقة - فلا يستطيل الطريق، ولا يلتفت إلى بُنَيَّاتها، بل يسير ولسان حاله يقول:

عليَّ طلاب العز من مستقره ... ولا ذنب لي إن عارضتني المقادر[2]

□ ولهذا لما ذهب امرؤ القيس إلى قيصر الروم مستنجدًا به على بني أسد، وردِّ ملك أبيه الذي زال - صحب معه عمرو بن قميئة، وكان من أقدم شعراء بكر، فلما سارا في تلك الرحلة، واستقلا طريقها - بكى عمرو بن قميئة؛ لطول الطريق، فقال امرؤ القيس:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنَّا لاحقان بقيصرا

---

(١) «رسائل الإصلاح» (٢/ ٨٧).

(٢) «ديوان البارودي» (ص٢٣٩).

فقلت له: لا تبكِ عينُك إنما نحاول ملكًا أو نموت فنعذرا[١]

فهو يقول: نحن نطلب الملك، فإذا بلغنا إربنا منه، وإلَّا ألححنا في الطلب، حتى نموت دونه، وفي هذا أشرف العذر لنا.

٤٧- كثرة الشواغل والقواطع:

من أهل، وصحب، وعوائد، وعوائق، ولهث وراء حطام الدنيا، كل ذلك مما يصرف الإنسان عن تطلاب المعالي، وبلوغ الأرب في المجد.

□ قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

لو أن لقمان الحكيم الذي سارت به الركبان بالفضل

بُلي بفقر وعيال لما فرَّق بين التبن والبقل[٢]

٤٨- اختلاق المعاذير:

فمن أعظم أسباب دنو الهمم اختلاق المعاذير، والتماس المسوغات، التي نسوغ بها أخطاءنا وإخفاقنا، ونعلق عليها عجزنا وقعودنا.

وكثيرًا ما تكون تلك المعاذير، والمسوغات مجرد أوهام لا حقيقة تحتها، فلا تزال تلك الأوهام تكبر شيئًا فشيئًا حتى تكوِّن لنا سدًّا كبيرًا منيعًا، حجارتُه سوء الظن أحيانًا، وتخذيل النفس أحيانًا، والشك في النتائج والخوف من الإخفاق أحايين أخر.

وقد تَكُوْنُ تلك المعاذير حقيقية، كحال من يتعلل بقلة الذكاء، أو عدم النبوغ، وكحال من يتعلل بسوء الحظ، وقلة التوفيق، وبأن الظروف لم

---

(١) «ديوان امرئ القيس» (ص ٦٤).

(٢) «ديوان الشافعي» (ص ٧٠).

تواته، ولم تأت على وَفْق ما يريد، وكحال من يتعلل بتربيته الأولى، وأنه قد قُصِّر فيها، فلم يُوجَّه الوجهة الصحيحة، فأخفق ولم يعد قادرًا على استدراك ما فات.

وكحال من يتعلل بالبيئة التي يعيش فيها، أو الصحبة التي ابتلي بها، وكحال من يتعلل بكبر سنه، وضعف قواه، وقلة تحمله، فَيُسَوِّغ بذلك قعوده وعجزه.

فمثل تلك الأعذار والأعاليل قد يكون سببًا حقيقيًّا لدنو الهمة؛ إلَّا أنه لا يليق بالعاقل أن يستسلم لها، أو أن يسترسل معها؛ فمهما يكن من شيء فإن الفرصة متاحة، وإن الباب لمفتوح على مصراعيه لمن أراد المعالي وسعى لها سعيها.

فالإنسان بتوفيق الله، ثم بعزمه، وهمته، وتربيته لنفسه – قادر على التغلب على كثير من العقبات والصعاب.

وما الصعاب في هذه الحياة إلَّا أمور نسبية؛ فكلَّ شيءٍ صعبٌ جدًّا عند النفوس الصغيرة جدًّا، ولا صعوبة عظيمة عند النفس العظيمة؛ فبينما النفس العظيمة تزداد عظمة بمغالبة الصعاب إذا بالنفوس الهزيلة تزداد سقمًا بالفرار منها.

وإنما الصعاب كالكلب العقور؛ إذا رآك خفت منه وجريت نبحك، وعدا وراءك، وإذا رآك تهزأ به، ولا تعيره اهتمامًا أفسح الطريق لك، وانكمش في جلده منك.

فإذا اعتقدت بأنك مخلوق للصغير من الأمور لم تبلغ في الحياة إلَّا الصغير، وإذا اعتقدت أنك مخلوق لعظائم الأمور، وسلكت السبل

الموصلة لها - شعرت بهمة تكسر الحدود والحواجز، وتنفذ منها إلى الساحة الفسيحة، والغرض الأسمى.

ومصداق ذلك حادث في الحياة المادية؛ فمن عزم على المسير ميلًا واحدًا أدركه الإعياء إذا هو قطعه، وإذا هو عزم على قطع خمسة أميال قطع ميلًا، وميلين، وثلاثة من غير تعب؛ لأن غرضه أوسع، وهمته المدخرة أكبر.

إذا كان الأمر كذلك فلا تقنع بالدون، ولا تلتمس المسوغات وتختلق المعاذير.

فلا تتعلل بقلة الذكاء، وإنما استعمل ذكاءك خير استعمال.

نعم إنك لا تقدر أن تكون في الذكاء مئة إذا خلقت وذكاؤك في قوة عشرين، ولكنك قادر على استعمال ذكائك خير استعمال حتى يفيد أكثر ممن ذكاؤه مئة إذا هو أهمله، كمصباح الكهرباء إذا نظف مما علق به، وكانت قوته عشرين شمعة - كان خيرًا من مصباح قُوَّتُه خمسون إذا علته الأتربة، وأهمل شأنه.

ولا تتعلل بأنك لست نابغةً، ولا أن الظروف لا تواتيك، فالعالَمَ لا يحتاج إلى النوابغ وحدهم، والنجاح ليس مقصورًا على النوابغ دون سواهم، ولا على من تواتيهم الظروف.

ولا تتعلل بسوء الحظ؛ فلا يوجد مَنْ منحوا قدرة على التفوق من غير جهد، وعلى الإتيان بالعجائب من غير مشقة، وعلى قلب التراب ذهبًا بعصا سحرية؛ فلا يكن سوء الحظ - كما تزعم - عائقًا لك عن النجاح.

ولا تعتذر بتربيتك الأولى، ولا بعامل البيئة أو الوراثة؛ فهذه لا تعوق

الإنسان عن إسعاد حياته، وملئها بالجد والاجتهاد إذا منح الهمة العالية، والإرادة القوية، والتفكير الصحيح.

ولا تتعلل بكبر السن، وضعف القوى، فتقعد عن كل فضيلة، وتُقصر عن كل مكرمة، بل جدد نشاطك، واستثر همتك، واعمل ما في وسعك.

ولا يعني ذلك أنه يراد منك حال كبرك ما يراد منك حال شبابك، واكتمال نشاطك وفتوتك.

وإنما يراد أن تَجِدَّ في الاستفادة من طاقاتك الكامنة، وخبراتك السابقة قدر الإمكان، فلو سرت على هذا النحو لعادات لك الروح، ولتجدد فيك العزم [1].

□ على أن هناك من أصحاب الهمم العالية من يكبر وتكبر معه هِمَّتُه فهذا ابن عقيل الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «وإني لأجد من حرصي على العلم، وأنا في عُشر الثمانين أشدَّ مما كنت أجدُه وأنا ابن عشرين سنة» [2].

٤٩- قلة الحياء:

فلقلّة الحياء أثر عظيم في دنوِّ الهِمَّة، وسفول القدر، فقليل الحياء لا يأبه بدنو همته، ولا يبالي بسفول قدره، فلا يجد ما يبعثه للنهوض إلى الفضائل، ولا ما يرفعه عما هو مستغرق فيه من الرذائل..

يعيش المرء ما استحيا بخير	ويبقى العود ما بقي اللحاء
إذا لم تخش عاقبة الليالي	ولم تستحي فاصنع ما تشاء

---

(١) انظر: «فيض الخاطر» (٦/ ١٢٧- ١٢٩، ٢٤٤).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب الحنبلي (١/ ١٤٦).

٥٠- قلة الإنصاف:

فقلة الإنصاف خصلة غير حميدة، تنساق بصاحبها إلى دركات سحيقة، فتقوده إلى الظلم، والكبر، وإيثار العاجلة على الآجلة.

□ وقلة الإنصاف تجر إلى التقاطع، وتبعد ما بين الأقارب والأصدقاء، قال الحكيم العربي:

ولم تـزل قلـةُ الإنـصافِ قاطعـةً بين الرجال وإن كانوا ذوي رحـم

وقلة الإنصاف تسقط الاحترام من العيون والقلوب، وتحول بين الرجل وبين أن يزداد علمًا، كما أنها تخذل العلم، وتطمس شيئًا من معالمه، وتحدث فيه فسادًا كبيرًا.

فمن قلة الإنصاف إلصاق التهم بالمخالف، وحمل كلامه على أسوأ المحامل، ورد الحق الذي معه، وأخذه بلازم قوله دون أن يلتزمه.

ومن ذلك ألا ينصف المرء أقرانه، أو من هم أحدث سنًّا منه؛ إما حسدًا من عند نفسه، أو خوفًا من ظهور مزيتهم عليه.

ومن قلة الإنصاف إصرار المرء على خطئه بعد ما يتبين له فساده، وأَنَفَتُه من قبول الحق والرجوع إليه بعد أن يتبين له وجهه؛ إما خوفًا من سقوط منزلته، أو لحسد تنطوي عليه دخيلة نفسه، أو حذرًا من تفوق الخصم، وحرصًا على الانفراد بخصال الحمد، أو متابعة للأصحاب، ومسايرة لمن هم على الشاكلة، أو لإرادة الإضلال، ومحاولة قتل الحق وطمس معالمه، أو غير ذلك من أسباب رد الحق والإصرار على الباطل[١].

---

(١) انظر: «رسائل الإصلاح» (١/ ٣٨- ٤٧)، وانظر: «أخطاء في أدب المحادثة والمجالسة» لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص٧١- ٧٥).

٥١- الحسد:

فالحسد ناتج عن ضعف الإيمان، وضيق العطن، والشح بالخير على عباد الله.

وهذه الأسباب وغيرها من موجبات سفول الهمة؛ ولذلك فالحاسد لا تعلو له مكانة، ولا ترتفع له منزلة؛ لأنه دنيء الهمة، مهين النفس؛ ولأنه بحسده اشتغل بما لا يعنيه، فأضاع ما يعنيه، وما يعود عليه بالنفع والخير.

□ قال ابن المقفع: «ليكن ما تصرف به الأذى عن نفسك ألا تكون حسودًا؛ فإن الحسد خلق لئيم، ومن لؤمه أنه موكَّل بالأدنى فالأدنى من الأقارب، والأكفاء، والمعارف، والخلطاء، والإخوان.

فليكن ما تعامل به الحسد أن تعلم أن خير ما تكون حين مع من هو خير منك، وأن غُنْمًا حسنًا لك أن يكون عشيرك وخليطك أفضل منك في العلم فتقتبس من علمه، وأفضل منك في القوة فيدفع عنك بقوته، وأفضل منك في المال فتفيد من ماله، وأفضل منك في الجاه فتصيب حاجتك بجاهه، وأفضل منك في الدين فتزداد صلاحًا بصلاحه»(١).

٥٢- الطمع والجشع:

□ ذلك أن الطمع والجشع من موجبات الذلة والحقارة، وسقوط الجاه والمنزلة، قال الإمام الشافعي:

العبد حرٌّ إن قنع ... والحر عبدٌ إن طمع

فاقنع ولا تقنع فلا ... شيء يشين سوى الطمع(٢)

---

(١) «الأدب الصغير والأدب الكبير» (ص١٤٤- ١٤٥).

(٢) «ديوان الإمام الشافعي» (ص٥٧).

□ وقال:

حسبي بعلمي إن نفع ... ما الذل إلَّا في الطمع[(١)]

□ وقال الآخر:

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لكنت حرا

٥٣- الفرقة والاختلاف:

فلو أجَلْت النظر في حال المسلمين اليوم لوجدتهم متفرقين مختلفين، عن اليمين وعن الشمال عزين، وكل حزب بما لديهم فرحون إلَّا من رحم ربك وقليل ما هم.

* فالفرقة والاختلاف من أسباب الهزيمة والضعف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦].

وبسبب ذلك ينال العدو نيله من الأمة، ويتمكن من التغلغل فيها، والإيضاع خلالها؛ ابتغاء فتنتها وصدها عن دينها، وتوهين قواها.

وبسبب الخلاف تتفرق الكلمة، وتتبدد الجهود، وتنقبض الأيدي عن التعاون.

وإن المصيبة لتعظم، وإن الخطب ليجل عندما يقع الخلاف بين خاصة المسلمين، وبين أهل العلم والفضل.

ولن يغرق المرء في المثالية، فيحلم بألا يوجد خلاف البتة؛ فذلك غير ممكن؛ فسنة الله اقتضت وجود الخلاف، فليست المشكلة أن نختلف، وإنما هي ألا نعرف كيف نختلف.

---

(١) «ديوان الشافعي» (ص٥٦).

وليس الحل بألا نختلف أبدًا، وإنما هو بألا نُصعِّد الخلاف، وألا نسعى في إذكائه، وبأن نعرف كيف نختلف كما نعرف كيف نتفق، كما كان الصحابة رضي الله عنهم.

فهم خير الناس حال الوفاق وحال الخلاف؛ فمع أن الخلاف وقع بينهم في العديد من المسائل إلَّا أن قلوبهم كانت متوادة، متراحمة، متقاربة، متآلفة.

بل لقد كانوا رضي الله عنهم مثالًا يحتذى، ونهجًا يقتفى حتى في حال الفتنة والقتال؛ فبرغم ما حصل بينهم من قتال وفتنة إلَّا أن منار العدل والتقوى كان قائمًا فيهم؛ فلم يكفر بعض بعضًا، ولم يبدع بعضهم بعضًا.

بل لقد كانوا يأخذون العلم من بعض، ويلتمسون المعاذير لبعض، بل كانوا يثنون على بعض، ويترحمون على بعض.

٥٤- الانحراف في مفهوم الإيمان القدر:

لما انحرف كثير من المسلمين في مفهوم الإيمان بالقدر في العصور المتأخرة – قادهم ذلك إلى التخلف والانحطاط.

وذلك عندما اتخذ كثير منهم من الإيمان بالقدر مسوغًا واهيًا لعجزهم وانهيارهم؛ حيث جعلوه تُكأةً للإخلاد إلى الأرض، وذريعة لترك الحزم والجدِّ، والتفكير في معالي الأمور وسبل العزة والفلاح، تاركين الأخذ بالأسباب، ناسين – أو متناسين- أنَّ أقدار الله إنما تجري وفْق سننه الثابتة التي لا تتبدل ولا تتغير، ولا تحابي أحدًا كائنًا من كان.

فكان المخرج لهؤلاء أن يتكل المرء على القدر، وأن الله هو الفعال لما يريد، وأن ما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن؛ فَلْتمضِ إرادته، ولتكن

مشيئته، ولْيَجْرِ قضاؤه وقدره، فلا حول لنا ولا طول، ولا يدَ لَنَا في ذلك كله.

هكذا بكل يسر وسهولة، استسلام للأقدار دون منازعة لها في فعل الأسباب المشروعة والمباحة.

فلا أمر بالمعروف، ولا نهي عن المنكر، ولا جهاد لأعداء الله، ولا حرص على نشر العلم ورفع الجهل، ولا محاربة للأفكار الهدامة، والمبادئ المضللة، كل ذلك بحجة أن الله شاء ذلك!.

والحقيقة أن هذه مصيبة كبرى، وضلالة عظمى، أدت بالأمة إلى هوة سحيقة من التخلف والانحطاط، وسببت لها تسلط الأعداء، وجرَّت عليها ويلات إثر ويلات.

وإلَّا فالإيمان بالقدر على الوجه الصحيح يقضي على ذلك كله؛ فالأخذ بالأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر، بل هو من تمامه؛ فالله عَزَّ وَجَلَّ أراد بنا أشياء، وأراد منا أشياء، فما أراده بنا طواه عنا، وما أراده منا أمرنا بالقيام به، فالخلط بين هذين الأمرين يُلبس الأمر، ويوقع في المحذور.

وهذا ما لاحظه وألمح إليه أحد المستشرقين الألمان، فقال وهو يؤرخ لحال المسلمين في عصورهم المتأخرة: «طبيعة المسلم التسليم لإرادة الله، والرضا بقضائه وقدره، والخضوع بكل ما يملك للواحد القهار.

وكان لهذه الطاعة أثران مختلفان؛ ففي العصر الإسلامي الأول لعبت دورًا كبيرًا في الحروب، وحققت نصرًا متواصلًا؛ لأنها دفعت في الجندي روح الفداء.

وفي العصور المتأخرة كانت سببًا في الجمود الذي خيَّم على العالم

الإسلامي، فقذف به إلى الانحدار، وعزله وطواه عن تيار الأحداث العالمية»[١].

٥٥- العدوان الخارجي:

مِنْ غزوٍ فكري، واحتلال عسكري، ومكر يهودي صليبي، وما ينضوي تحت ذلك من تنصير واستشراق.

فلقد كان لهذا العدوان على اختلاف طرائقه وأساليبه – أثر بالغ في تخدير الأمة، والوقوف في طريق نهضتها، والحيلولة دون تبوُّئها مكانَها اللائق بها.

ولقد كان الأعداء يرومون إخراج المسلمين من دينهم، وإبقاء الشعوب المسلمة هزيلة مستعبدة، ذليلة لا حول لها ولا طول، بل تكون تابعة للغرب، خاضعة لنفوذه.

وكانوا يرمون إلى قطع حاضر الأمة عن ماضيها؛ حتى تجهله، وتتنكر له، فتلحق بالغرب، وتسير في ركابه.

وكانوا كذلك يريدون الحد من انتشار الإسلام، ونهب الثروات من بلاد المسلمين، وتسخيرها لأطماعهم.

ولقد سلكوا لتحقيق تلك المآرب سبلًا شتى، من تأليف، واستغلال للإعلام، وسيطرة على التعليم إلى غير ذلك مما قاموا به.

وفي ظل ذلك الانحراف نجح الأعداء في تحقيق كثير مما أرادوه، ومما تحقق لهم فأدى إلى إضعاف الهمم أو إماتتها ما يلي:

---

(١) «الإسلام قوة الغد» بأول شمز (ص٩٠)، وانظر: «لماذا تأخَّر المسلمون ولماذا تقدَّم غيرهم» لشكيب أرسلان.

أ- تعطيل الحكم بما أنزل الله، وإحلال القوانين الوضعية محلها في أكثر بلاد المسلمين.

ب- نشر الفساد، والرذيلة، والإباحية الجنسية عن طريق دور السينما، والصحف، والمجلات، ومختلف وسائل الإعلام.

ج- نشر الأدب المتهتك، المستهتر بالقيم والثوابت.

د- إشغال الأمة بالتوافه من رياضة، وفن، ونحوها، حتى ماتت همم كثير من الشعوب، وتبلدت أحاسيسهم، ولم يعودوا يميزون بين ما ينفع وما يضر.

هـ- بلبلة الأفكار، وتشكيك الناس في معتقداتهم، وذلك من خلال الطعن المتواصل في دين الإسلام، وبِنَبِيِّ الإسلام، والقول بأن الإسلام قد استنفذ أغراضه، ولم يعد صالحًا لهذا العصر.

و- إثارة الشبهات حول كثير من القضايا، كإثارتهم لقضية تحرير المرأة، وهي في حقيقتها دعوى يهدف من ورائها إلى تحطيم القيم، والأخلاق، والأسر، ونشر الفساد والانحلال.

وكذلك إثارتهم لبعض المسائل الخلافية، وتضخيم ذلك، وعرضه بصورة يخيل لقليل البضاعة من العلم أن الدين لا يوجد فيه شيء يتفق عليه.

وكذلك إثارتهم لمسألة الحدود الشرعية، وتشنيعهم عليها، وزعمهم بأنها تمثل الوحشية والهمجية.

وكذلك إثارتهم لقضية الميراث، وزعمهم بأنه هضم لحق المرأة، حيث لم تساوَ بالرجال، إلى غير ذلك مما يثيرونه من قضايا.

ز- تهوين شأن الحضارة الإسلامية، وتشويه التاريخ الإسلامي، بهدف تزهيد الناس فيه، ولفت نظرهم إلى الحضارة الغربية التي أضفوا

عليها دعاية مغرية.

ح- احتلالهم لأكثر بلاد المسلمين، ولم يسلم من ذلك إلَّا أقل القليل.

ط- القضاء على الحركات الجهادية.

ي- تمزيق الأمة، وتفريق شملها، وإثارة العداوات والأحقاد داخل صفوفها؛ كي يسهل القضاء عليها.

ك- إحداث الهزيمة النفسية لدى كثير من المسلمين، حيث فقدوا الثقة بأنفسهم وبدينهم، فقادهم ذلك إلى الإعجاب بالغرب، والنظر إليه بإكبار، وإجلال، وأخذ ما عنده دونما نظر أو تمحيص، مما أدى إلى ضياع الشخصية، وفقدان التميز.

ل- التحكم بمصير الشعوب، وامتصاص خيراتها.

م- السيطرة على وسائل الإعلام ووسائل التعليم والتوجيه في كثير من بلاد الإسلام.

ن- اصطناع العملاء من أبناء المسلمين؛ كي يقوموا بالدور المناط بهم من قبل أسيادهم.

س- استهلاك جهود العلماء والدعاة في مقاومة ما يروِّجونه من فساد وتغريب.

ش- رفع الأقزام من ممثلين ولاعبين ومنحرفين، وإضفاء الألقاب الرنانة عليهم، وفي مقابل ذلك يحط من شأن الأعلام من العلماء والقادة العظام.

هذه بعض آثار العدوان الخارجي، وواحدٌ منها كافٍ في إنهاك الأمة،

وإماتة همها؛ فكيف بها إذا اجتمعت كلها؟[1].

مظاهر دنوِّ الهمة:

١- دنو الهمة في طلب العلم.

٢- الكسل في الدعوة إلى الله.

٣- التهرب من المسؤولية.

٤- البخل.

٥- المِنَّة وتعداد الأيادي.

٦- التكاسل في أداء العبادات.

٧- التكلُّف والتصنُّع.

٨- الإغراق في المظهرية الجوفاء.

٩- الاشتغال بما لا يعني، والانصراف عما يعني.

١٠- الانهماك في الترف.

١١- الاشتغال بسفاسف الأمور ومحقرات الأعمال.

١٢- العشق.

١٣- التحسُّر على ماضي وترك العمل.

١٤- كثرة التلاوم وقِلَّة العمل.

١٥- كثرة الشكوى إلى الناس.

١٦- الاسترسال مع الأماني الكاذبة.

١٧- التسويف والتأجيل.

١٨- الافتخار بالآباء العظام والعيش على أمجادهم.

---

(١) انظر: «أسباب دنو الهمة» من كتاب «الهمة العالية» (ص٦٧ - ٩٧).

١٩- كثرة المزاح والإسفاف فيه.

٢٠- اليأس من الإصلاح.

٢١- استجداء الناس ومسألتهم.

٢٢- الكِبر والتعالي.

٢٣- الكذب.

٢٤- قلة الحياء.

٢٥- الحقد.

٢٦- مجاراة السفهاء.

٢٧- تتبَّع العثرات، والفرح بالزلات.

• والأمل كله في رحمة الله ومَنَّه وفضله وكرمه أن يتدارك المرء برحمته «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث فأصلح لي شأني كُلَّه، ولا تَكِلني إلى نفسي طرفةَ عَيْنٍ**»[١].

• عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان إذا كَرَبهُ أمرٌ قال: «**يا حيُّ يا قيُّوم برحمتك أستغيث**»[٢].

اللهم لا كرب يعدل ما أمتنا فيه، فارزقنا همة عالية نصلح به شعث أمورنا ونسير على المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها ولا يزيغ عنها إلَّا هالك.

---

(١) صحيح

(٢) حسن: رواه الترمذي، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٧٧٧).